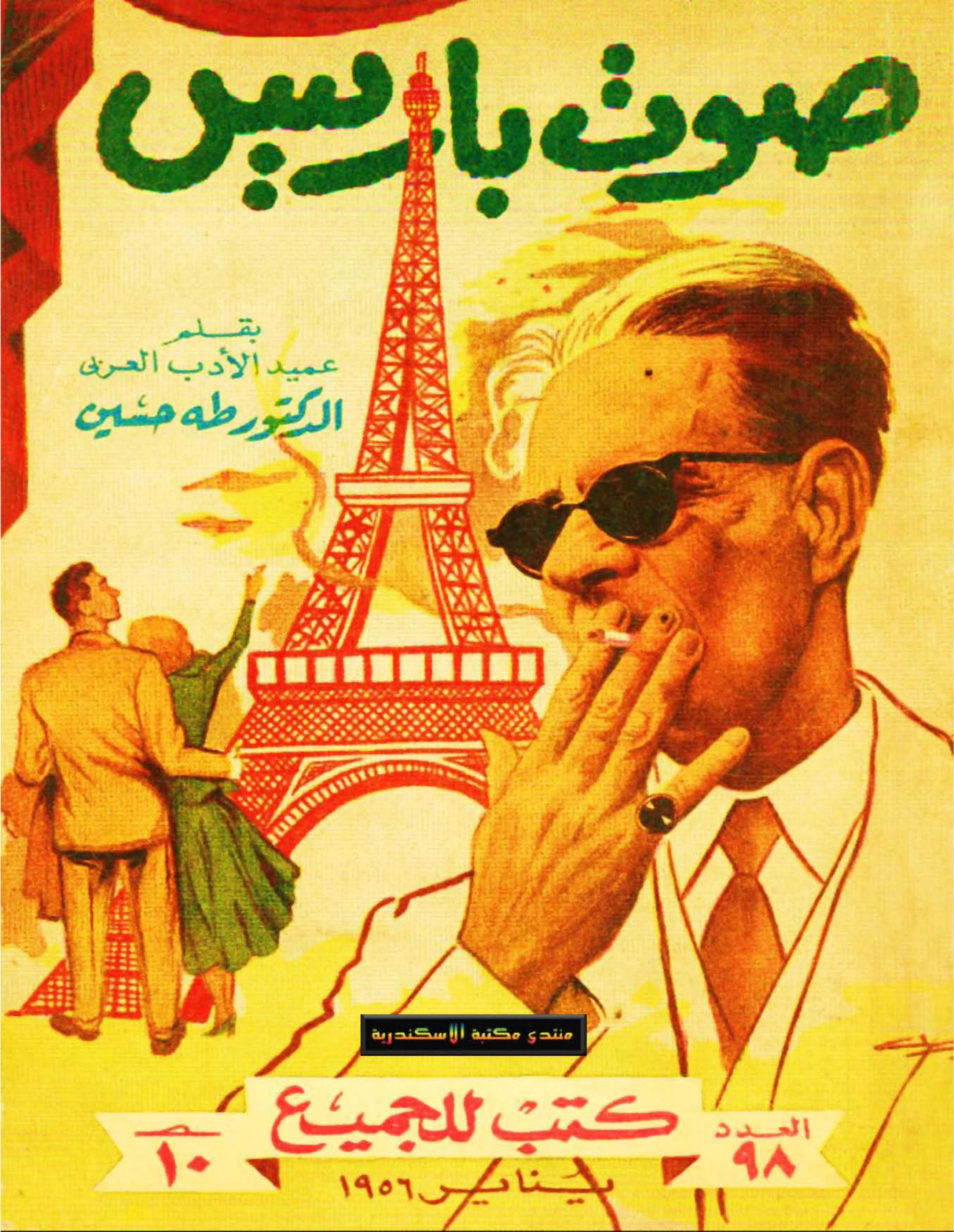

صوت باريس
بقلم
عميد الأدب العربي
الدكتور طه حسين
العدد
٩٨
كتب للجميع
١٠
يناير ١٩٥٦

صوت باريس

بقلم عميد الأدب العربي

الدكتور طه حسين

تصدر عن
دار الجمهورية

هذا المؤلف



ولد الدكتور طه حسين في مغاغة في سنة ١٨٨٩ ، فهو الآن في السادسة والستين من عمره المديد السعيد بمشيئة الله .

وقد تلقى دراسته في الأزهر الشريف ، ثم في الجامعة المصرية القديمة . وكان أول من منح منها درجة الدكتوراه في سنة ١٩١٤ . ثم سافر الى فرنسا حيث أتم دراسته في السوربون.

وقد عين أستاذا للأدب العربي بالجامعة المصرية في سنة ١٩٢٥ . ثم عميدا لكلية الآداب في سنة ١٩٣٠ . ثم مراقبا للثقافة في سنة ١٩٣٩ . ثم مستشارا لوزارة المعارف ومديرا لجامعة الاسكندرية في سنة ١٩٤٢ . ثم وزيرا للمعارف في سنة ١٩٥٠ . ثم رئيسا للجنة الثقافية بالجامعة العربية في سنة ١٩٥٤ .

والدكتور طه حسين عميد الأدب العربي غير منازع . وقد كتب ما يزيد على خمسين كتابا في مختلف أنواع الأدب . من نقد ، وبحث ، وقصص ، وتاريخ .

وقد نال الدكتور طه حسين من الأوسمة أرفعها . وهو عضو بالمجمع اللغوى ، والمجمع العلمى المصرى ، ومجامع أخرى فى الشرق والغرب .

ومن مآثر الدكتور طه حسين التى لا تنسى ؛ عمله على تيسير التعليم لكافة أبناء الشعب ، بتقرير مجانيته فى مراحله الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وقد شجع على نشر التعليم بكل وسيلة ممكنة . واليه يرجع الفضل فى اعادة اعفاء المعاهد التعليمية من الضرائب بعد الغاء هذا الاعفاء .

وقد حرصت « كتب للجميع » منذ انشائها على أن تقدم لقرائها كتابا على الأقل من كتب الدكتور طه حسين فى كل عام من أعوامها تمكينا للجميع من الاطلاع على أدبه الخالد . فنشرت له « جنة الحيوان » و « قصص تمثيلية » و « القدر أو زاديج » عن فولتير و « أديب » و « نفوس للبيع » .

وكان بين الكتب التى حال العهد البائد بين هذه المجلة وبين نشرها كتاب « المعذبون فى الأرض » . فقد خيل للملك السابق من بعض الاعلانات التى نشرت عنه أن فيه دعوة الى الشيوعية والانتقاص من حقوق السلطان فى سبيل الشعب . فصدر الأمر بمصادرته بعد طبعه وموافقة الرقابة عليه واستولت السلطة على نسخ الكتاب وأعدمتها مما اضطر الدار التى تقوم على نشر هذه المجلة الى رفع دعوى أمام القضاء لا تزال منظورة حتى الآن .

وانه ليسر مجلة « كتب للجميع » أن تقدم الى قرائها بمناسبة العام الجديد هذا الكتاب « صوت باريس » وأترك الكلام عنه للمؤلف العظيم فى مقدمته بأسلوبه البارع الذى لا يبارى .

« دكتور فائق الجوهرى »

كلمة المؤلف

هذا كلام نشر لأول مرة منذ عهد بعيد، وقرأه في تلك الأيام شباب عسى أن تكون الشيخوخة قد أدركتهم الآن فتأثروا به واهتموا له وحاولوا أن يعربوا التمثيل ويوطنوه في مصر . ولكن عدت عواد وتتابعت خطوب فحيل بينهم وبين ماكانوا يشتهون .

ثم نشر مرة أخرى منذ خمس عشرة سنة وقرأه شباب آخرون لعلهم قد بلغوا الآن سن الكهول ، ولكنهم شغلوا عن التأثر به بأحداث حدثت وصروف ألمت . فلم يزيدوا على القراءة ولم يفكروا في تعريب التمثيل ولا في توطينه .

وسيقرؤه الآن شباب ناشئون لم يقرأوه من قبل ، ولعلهم لم يعرفوه ، ومن يدري لعل بعضهم أن يتأثر به ويحاول تعريب التمثيل وتوطينه في مصر . فقد آن للتمثيل ألا يظل عندنا فنا دخيلا أو لونا من ألوان العبث .

ومن أجل هذا قبلت نشر هذا الكتاب وأمثاله مما يشبهه ، أمخطيء أنا في ذلك أم مصيب !!

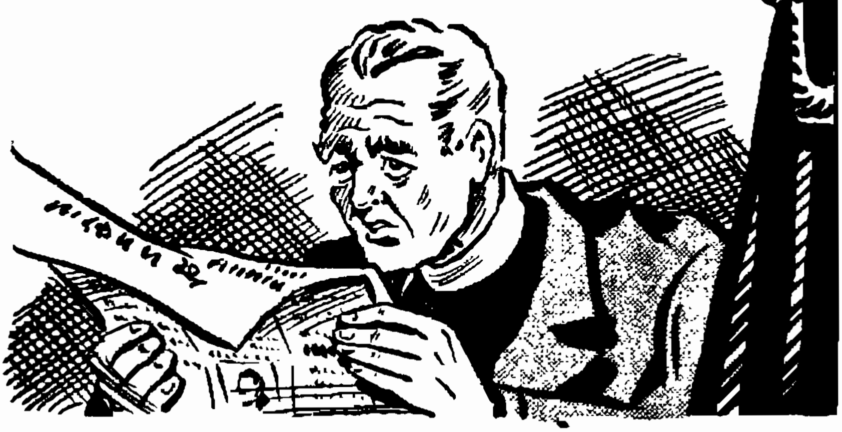
« طه حسين »



صوت

قصة تمثيلية للكاتب الامريكي

ادوارد شلدون



ينبغي أن تفهم هذا العنوان كما تفهمــه حين تجده في كتاب الأغاني ، فهو يدل على مقطوعة من الشعر يغنى بها ، وكذلك أراد صاحب هذه القصة التي أريد أن أحدثك عنها في شيء من الايجاز كثير • فأنا ــ كما قلت في غير هذا الموضع ــ حين انحو هذا النحو من تلخيص القصص التمثيل أو غير التمثيل لا اريد أن أغني القارىء العربي عن الأصــل الأوربي ، انما أريد أن ارغبه فيه وأحبب اليه قراءته ودرسه • فهذه الفصول المتواضعة ترغيب في قراءة تلك القصص الممتعة لا أكثر ولا أقل •

وقصتنا هذه ممتعة في موضوعها ، ممتعة في شكلها ، ممتعة في لغتها ، وممتعــة بنوع خاص لأنها تمثل التئــام الذوقــين الأمريكي والفرنسي التئاما بديعا •

وضع لها صاحبها هذا العنوان لأنهــا تبتدىء بصوت من الغناء وتنتهي بهذا الصوت ، ولأن هذا الصوت نفسه رشيق عذب فيه ســذاجة ورقة ، ولأنك لا تكاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تجد فيها هذه العذوبة وهذه الرشاقة وهذه السذاجة ملتئمة أحسن الالتئام مع حقائق الحياة الواقعة وما فيها من خشونة وغلظة وتعقيد •

وان أعجب لشيء فانما أعجب لأن هذه القصــة لم توقع بعد على الألحان الموسيقية كما أوقعت من قبل قصص تشبهها كل الشبه •

على أني لا أريد أن أطيل في المقدمات ولا أن أسرف في التحليل ، وانمــا أسرع بك الى القصة نفسها ، وأعتمد على الترجمة أحيانا لأدلك على ما فيهــا من جمال وروعة •

* * *

نحن في مدينــة نيويورك في مــكتب الأســقف البروتستانتي « توم ارمسترونج » وهو شيخ في السبعين من عمره ، قد جلس الى النار يصطليها أول الليل ، وحفيدته تقرأ له احدى الصحف • ونحن نحس أنها تقرأ له هذه

الصحيفة فى شيء من السأم والضجر لأنها تؤثر أن تتحدث اليه أو تلهو معه بشيء آخر . وآية ذلك أنها لا تكاد تمضى فى القراءة حتى تقف سائلة جدها الأسقف : أليس يؤثر على هذا الكلام صوتا من أصوات الفنوغراف ؟ ثم تدع الصحيفة وتعمد الى الفنوغراف فتنطقه بالصوت المعروف :

« أتعرف ذلك البلد الذى يزهر فيه البرتقال ... ! » : فما هى الا أن يظهر الشيخ شيئا من الضيق ويطلب الى حفيدته فى رفق أن تدع هذا الصوت الى صوت آخر ، فاذا سألته الفتاة عـــن مصدر هذا الضيق أبى عليهـــا ، وأحسسنا نحن أنه لا يكره هذا الصوت ولكنه يشفق من استماعه .

والفتاة لم تدع الصحيفة الى الفنوغراف الا لتدع الفنوغراف أيضـــا الى الحديث ، فهى تريد أن تتحدث الى جدها فى أمر ذى بال ، تريد أن تتحدث الى الشيخ فى أمر أخيها الشاب «هنرى» فقد أحب هذا الشاب فتاة ممثلة جميلة رائعة الطلعة يتيمة فقيرة سيئة الحظ ، وهو يريد أن يتزوجها ، وهو يريد أن يتحدث فى هذا الزواج الى جده ، ولـــكنه كلف أخته أن تعد الشيخ لهـــذا الحديث ، وقد فعلت . وأقبل الفتى وانصرفت الفتاة وخلا الشاب الى جده وذكر له قصته وأسرف له فى الثناء على هذه الفتاة وأعلن اليه أنه يريد أن يتخذها له زوجا . فيأبى عليه الشيخ فى رفق معلنا اليــه أنه حدث قليل التجربة ، وأن الخير فى أن يروى ويفكر حتى اذا كانت السنة المقبلة رأى فى ذلك رأيه . وليست السنة المقبلة بعيدة فستبدأ بعد ساعات لأننا فى اليوم الأخير من شهر ديسمبر . ولكن اباء الشيخ يشق على الفتى ويؤلمه فيقول لجده : لو عاش أبواى الشابان لاستطاعا أن يفهما عاطفة الحب . ويقدراها فقد تقدمت بك السن حتى نسيت شبابك وعجزت عن فهم عواطف الشباب .

تقع هذه الكلمات فى نفس الشيخ موقعا مؤلما ، فيدعو الفتى الى البقاء وكان قد هم بالانصراف ، ويأمره أن يحمل اليه صندوقا صغيرا على مائدة فى ناحية من نواحى الحجرة ، فاذا حمل اليه هذا الصندوق فتحه وأخـــرج منه منديلا وزهرات من البنفسج قد أتى عليها الدهر فأصبحت هشيما ، وبدأ يقص على حفيده قصـــة هذا المنديل وهذه الزهـــرات ليثبت له أنه عـــلى

شيخوخته وتقدم السن به لم ينس شبابه ، ولم ينس أنه أحب وألم للحب . وهنا يتحول المسرح وتستخفى الحجرة والشيخ والفتى وتمثل أمامك القصة التي بدأ الشيخ يقصها على الشاب .

* * *

فأما الفصل الأول من هذه القصة فيقع في قصر رجل من أغنياء الأمريكيين حين كان الأسقف في الخامسة والعشرين من عمـره . وقد أقام هذا الرجل الغني في قصره حفلا دعا اليه وجوه المدينـة وأغنياءهـا وذوي المكانة فيهـا ليسمعوا عنده مغنية ايطالية ذائعة الصيت قد اتخذها الموسيقيان الشهيران « روسيني » و « فردي » ترجمانا لما يضعان من الموسيقى . وهي رائعة فاتنة قد شغف بها من أغنياء أوربا وأمرائها خلق كثير . وانتهى الأمر بها الى هذا الغني الأمريكي الذي يتصل بأسرة فرنسية هاجرت الى أمريكا في آخر القرن الثامن عشر . أحبها هذا الغني وكلف بها كلفا شديدا فدعاها الى نيويورك وقدمها الى وجوه المدينة وعشاق الفن الموسيقي فيها . ونحن نرى قصر هذا الغني مزدحما بمن فيه من الشباب والكهول والشيوخ رجالا ونساء ، ونحن نرى ونسمع من عبث الأمريكيين وحوارهم ما يلذ ويضحك وما لا سبيل الى أن نلم به في هذا الفصل . ولكني أقف بك عند رجل من الأغنياء قد دعي الى هذا المحفل فأقبل ، وانه لشديد السخط على القصر وصاحبه ومن فيه ، هو رجل قد أكل الحقد قلبه فهو لا يرضى عـن شيء ولا عن أحد ، وهو ضخم الثروة ولكنه شديد البخل مسرف في الحرص عظيم الشره يريد أن يستمتع بكل ما يجد دون أن يعترف بشيء من الاستمتاع . ضاق صدره بالمدعوين ففر منهم الى احدى غرف القصر وأمر الخادم أن يحمل اليه طعامه وشرابه ؛ فاذا دخل الغرفة نظر فاذا علبة فيها سيجار فيلقي على هذه العلبة نظرة احتقار وازدراء ثم لا يلبث أن يتحقق أن مـا فيها جيد النوع ، فيأخـذ واحدا ، ثم لا يكفيه ما أخذ فيأخذ طائفة أخرى من السيجـار ويدسها في جيبه . ويأتي الخادم وقد حمل اليه من الطعام والشراب ما استطاع فيلقي الى ما حمل اليه نظرة ازدراء واحتقار ، ثم ينتهر الخادم لأنه لم يحمل اليه الا قليلا ويجلس كارها الى طعامه ولكنه لا يـكاد يذوقه حتى يستجيـده فيسرف في الأكل

والشرب ، وانه لفي ذلك اذ يدخل عليه القسيس الشاب « توم ارمسترونج » وهو ، كما قدمت ، في الخامسة والعشرين من عمره ، جميل الطلعة ، واضح الأسارير ، ممتلىء نشاطا وقوة ، قد عرف بالاخلاص في خدمة الدين ، وبالعناية في خدمة الفقراء والبائسين ، خفيف الظل حلو الروح يحبه صاحب القصر ويرجو أن يزوجه من احدى قريباته . يدخل هذا القسيس على صاحبنا وهو منهمك في طعامه وشرابه فلا يكاد يراه حتى ينصرف عما هو فيه من طعام الى صاحب القصر فينال منه في لفظ منكر قبيح ، ويعيب عليه هذه المغنية التي دعا الناس لاستماعها في قصره لأنها خليلته ، ولأنها معروفة بسوء السيرة ، ويلوم القسيس لأنه يرضى عن هذه الآثام ويقصر في تأدية واجبه الديني فلا يكف صاحب القصر عن هذه الفضيحة ، فيسمع له القسيس ، حتى اذا فرغ من كلامه قال له هذه الجملة التي تعطيك منه صورة واضحة : لمن هذا الطعام الذي تزدرده ؟ ولمن هذا الشراب الذي تعب فيه عبا ؟ ولمن هذا السيجار الذي تدسه في جيبك ؟ أليس هذا كله لصاحب القصر ؟ ! يجيبه الغني : بلى . وأنت ترى أن من واجب القسيس هو أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويأخذهم بترك ما يتورطون فيه من شر . يجيبه الآخر : نعم ! وآذن فلأبدأ بك ، فقد أتيت نكرا لا يعد له نكر حتى اغتبت صاحب هذا القصر على هذا النحو القبيح وأنت في قصر تأكل من طعامه وتشرب من شرابه ! . وهما في هذا الحوار اذ يأتي « دي روشار » صاحب القصر ، فينصرف هذا الغني . ولا يكاد القسيس يخلو الى صاحب القصر حتى يبدأ في تأدية واجبه الديني من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ولكنه يجد في هذا مشقة ، فهو يكبر صاحب القصر ويجله ، وهو مدين له في مركزه في الكنيسة . على أن هذه المشقة لا تصرفه عن أداء هذا الواجب ، فهو يلوم صاحب القصر على ما بينه وبين هذه المغنية من صلة ، وصاحب القصر يجيبه معتذرا اليه في شيء من الرفق والفلسفة والشك في معنى الخير والشر وقيمة الفضيلة والرذيلة ، ويعلن اليه أنه يرى السعادة الحقيقية في حب الخير والجمال والشباب . وهما في هذا الحوار واذا المغنية قد فرغت من غنائها وأقبلت يتبعها المعجبون بها ، فينصرف القسيس وتخلو هذه المغنية الى صاحبها ، ليكون بينهما حوار نفهم منه أن وعظ القسيس قد أثر في نفس

هذا الرجل من حيث لم يشعر · انظر اليه يتحدث الى صاحبته بأنه فى الحادية والخمسين من عمره وأن أسباب اللهو والنعيم قد تقطعت به · وأن الخير انما هو فى أن يستحيل حبهما الى مودة بريئة، وهى تستمع له راضية حينا وساخطة حينا آخر ، غاضبة مرة ، مداعبة مرة أخرى ، مزدرية لما يقول ، حريصة على أن يعدل عنه ، ولكنها على كل حال قد رأت القسيس وهو ينصرف فوقع من نفسها ، وهى تعلن الى صاحبها فى صراحة أنها تكره البروتستانتية من الموسيقى والبخور والاعتراف ، ولكنها تحب البروتستانتية لأن قسسها حسان · وما زالت بصاحبها حتى أقنعته بأنه لم يبلغ الخمسين من عمره وأنه ما زال يستمتع ببقية من شباب وحتى ضربت معه موعدا للنزهة اذا كانت الساعة الرابعة من مساء · ثم تطلب اليه أن يدعها لتستريح قبل استئناف الغناء وأن يرسل اليها شيئا من الخمر والليمون ·

فلا تكاد تخلو الى نفسها حتى يمر القسيس فتتناوم وتدع رداءها يسقط عنها · وقد نظر اليها القسيس وحدق فيها وكأنها وقعت فى نفسه ، فيدنو منها فى خفة ويعيد اليها الرداء وينصرف ، ولكنه لا يكاد يتجاوز الغرفة حتى يسمع صوتها وهى تشكره · وما هو الا أن يسمع هذا الصوت حتى يضطرب ولا يدرى أيمضى أم يقف ، فتستوقفه وتستدنيه ويجيبها الى ما تريد فى شيء من الاضطراب والذهول · ويأخذان فى الحديث ، واذا هى تخفى على القسيس نفسها وتأخذ فى اغتياب المغنية فيلومها القسيس ويطلب اليها أن تستغفر الله من هذا الاثم فتأبى فيغضب ويهم أن ينصرف · ولكن الخادم قد أقبل يحمل الشراب ، فتطلب اليه أن يصب لها فى القدح فيفعل ، ثم تطلب اليه أن يصب فى قدح آخر فيفعل ، ثم تدفع اليه أحد القدحين فلا يستطيع أن يرده ، ثم تأمره أن يحدق فيها وتعلن اليه أنها ستحدق فيه وتقترح أن يشربا قدحيهما على هذا النحو · فاذا فرغا من الشرب رأيناهما وقد فتن كل منهما بصاحبه فتنة قوية · فأما هى فتستغفر الله فى اثمها حين اغتابت المغنية ، وأما هو فيطلب اليها موعدا لأنه يريد أن يراها وأن يتحدث اليها بأشياء كثيرة ما كانت لتخطر له من قبل · وهما فى هذا الحوار اذ يقبل صاحب القصر فيراهما على هذه الحال : وهى كالنائمة وهو جاث بين يديها يناجيها ·

وانت تستطيع أن تقدر دهش صـــاحب القصر حين يرى مكان القسيس من المغنية وهو الذى كان يلومه فيها منذ حين • تنهض المغنية لتستأنف الغنـاء ولكن القسيس يلح عليها فى الموعد غير حافل بمكان صاحب القصر ، فتضرب له الموعد من الساعة الرابعة من مساء غد ، فاذا ذكرها صاحب القصر بأنها قد ضربت له الموعد فى هذه الساعة نفسها أجابته : اما موعدك فمؤجل وتنصرف وقد سقط من يدها منديل فيهوى القسيس فيأخذه •

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى بيت القسيس ، فى حجرة عمله ، نرى عمتيه قد جلستا تتنازعان ، احداهما فى الثـــامنة والخمســـين ، والأخرى فى الستين ، وكلتاهما قد وقفت حياتها على القسيس لا تدرى ماذا تصنع لترضيه وتعنى بطعامـــه وشرابه ولباسه ، والخصومة بينهما فى ذلك متصلة مضحكة ، ولكنهما رغم هذه الخصومـــة متفقتان فى الألم لأن الشاب قد تغيرت حياته تغيرا شديدا منـــذ ثلاثة أسابيع ، فهـــو شديد الكلف بهذه المغنية الايطاليـــة يقضى معها شطـرا من كل يوم حتى نسى خطيبته وحتى أخذ الناس يتحدثون عن كلفـــه بهذه الفتاة ، وهمـا تصليان وتضرعان الى الله أن يصرف عن القسيس هـــذا المكروه ، وهمـــا تستعينان بـ « دى روشار » صديقهما وصديق القسيس وعم خطيبتـــه ، وهماتنتظران عودة الشاب بعد حين ، ولكنهما لا تعرفان من الذى أرسل هذه الطاقة من الزهر دون أن يرسل اسمه معها ، ولا تفهمان لم لا يريد الشاب أن يأخذ الشاى معهما ، ولا تعرفان هذا الشخص الذى سيتناول الشاى مع القسيس •

وقد أقبـــل صديقهما دى روشار • قصتا عليه القصة وألحتا عليه فى أن يحاول صرف الشاب عن هذه المغنية الأجنبية فيعدهما ، وينبئهما بأن الأمر يعنيه كما يعنيهما ، لأنه يحب القسيس كما تحبـانه ، ويعلن اليهمـا أيضـا أنه سينتظر الشـــاب ليتحدث اليه ، فتنصرفان عنه • ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى تقبل المغنية فيلقاها دهشا ؟ أما هى فيصـــيبها شىء من الذهـــول ، ثم يتحـدثان فتفهم من حديثهما أن الحب قـــد اتصـل

قويا عنيفا بينها وبين الشاب ، وأن هذا الحب على قوته وعنفه طاهر برىء يقوم على أكذوبة أو على طائفة من الأكاذيب ، فان الفتاة لم تستطع أن تنبىء صاحبها بحقيقة أمرها ولا بما تشتمل عليه حياتها من الآثام ، وانما تركته يصورها كما أراد له خياله وحبه نقية طاهرة مثالا للفضيلة والبراءة والطهر . وهى تستعذب هذا الحب الأفلاطونى ، ولا تريد أن تكذب ظن الشاب . ولم تكذب ظنه وستعود الى أوربا بعد خمسة عشر يوما فتنقطع بينهما الأسباب ، وتكون قد سعدت فى حياتها بحلم لذيذ . ولكن «دى روشار» يلفتها الى أن الأمر أشد خطرا مما تظن ، فالشاب يحبها حقا وسيطلب اليها أن تكون زوجة وليس الى ذلك من سبيل ، وهو يقترح عليها أن تسافر من الغد وأن تنصرف الآن دون أن تراه ، وهى مستعدة للانصراف ، ولكن القسيس قد أقبل وما يكاد يراها وتراه حتى ينسيا كل شىء وينصرف كل منهما الى صاحبه ، ويضطر دى روشار الى أن يدعهما حينا . وهنا موقف بين العاشقين شديد التأثير حقا ، فيه لين ودعة وعذوبة ، وفيه حب يبلغ به العنف أقصاه ، ولكنه سعيد كله غبطة وأمل ، ثم فيه أمل تتفطر له القلوب وتتفرق له النفوس شعاعا . انظر اليه راضيا مغتبطا شديد الابتهاج بزيارتها اياه ، انظر اليه فى وداعة الطفل يظهرها على ما فى غرفته من متاع ، انظر اليه يظهرها على صورة أمه التى ماتت شابة ، واسمع له يتحدث عن أمه : يصفها بالجمال وعذوبة الخلق ورضا النفس ، واسمع له يذكر أمه وما كانت تشعر به لو أنها رأت صاحبته ، ثم انظر اليه يهدى الى صاحبته عقد أمه وهى تأخذ هذا العقد وتطوق به جيدها ، ثم اسمع لهما يغنيان معا صوتا كانت أمه تغنيه ، ثم انظر اليهما وقد نسيا كل شىء وفنى كل منهما فى صاحبه وقد أقبل اليها فضمها بين ذراعيه لحظة ثم أطلقها وهو يطلب اليها أن تكون له زوجا . هنا تعود الفتاة الى نفسها وتذكر حياتها الآثمة ويحس منها هذا ، ولكنه قسيس وهو يحب ، فما أسرع ما ينتهى به حبه ودينه ومركزه الدينى أيضا الى العفو ، فهو ينسى ماضيها بل يمحوه وهو يلح عليها فى أن تكون له زوجا ، وهو يعلن اليها مبتهجا أنه سيدعو عمتيه ودى روشار لينبئهما النبأ .

فلا تكاد تسمع اسم دى روشار حتى تضطرب ويريبه هذا الاضطراب والعجب أنه نسى كل ماضيها وعفا عن آثامها جميعا ، ولكنه شديد الحرص على أن يعلم أنه لم يكن بينها وبين هذا الرجل شيء ، هو يلح عليها وهى تتردد حتى اذا أشفقت عليه من الحق كذبت وزعمت له أنه لم يكن بينهـا وبين هذا الرجل شيء ، فيستحلفها على التوراة فتهم باقسام اليمين ، ولكن دى روشار قد اقبل ، فينبئه القسيس بحبه وخطبته ، ولكنه لا يرى منـه ابتهـاجا فيريبه ذلك ، وانظر اليه قد اندفع به الحب والريب حتى انتهى الى ذهول يشبه الجنون ؛ فهو ماثل أمام هذا الرجل وهذه المرأة يستحلفهما على التوراة أن لم يكن بينهما شيء ٠ فأما الرجل فقد رق له فـكذب عليه ، وأما المرأة فقد كان حبها من القوة والصدق والاخلاص بحيث حال بينها وبين الكذب مرة أخرى ٠ فاسمع لها تعلن فى صراحة وألم أنها كذبت وأن هذا الرجل قد كذب أيضا ، وأنها كانت خلته منذ سنتين ، وأن آثامها فى الحياة أكثر عدداً من صلوات القسيس ، وأنها آتخذت جسمها تجارة ، وأنها لاتصلح له زوجا ، وأنها تنبئه بهذا كله لأنها تحبه حقا ٠ أما هو فقد فقد رشده أو كاد ، وهو الآن جالس مطرق وقد انصرف عنه الرجل وهمت هى أن تحدثه فلم يسمع لها فتنصرف ، حتى اذا سمع البـاب يغلق من دونها أغرق فى البكاء كأنه طفل ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى الفنـدق الذى تقيم فيـه المغنية وقد مضت أيام على ما كان فى الفصل الثانى ٠ ونحن نرى خادم المغنية قدجلست الى النار تهيىء طعام سيدتها ، وفى الغـرفة اضطراب يدل عـلى استعداد للسفر ٠ وأنا أعفيك ــ كارها ــ من ضروب الحوار المضحك بين هذه الخادم وأهل الفندق ، وأعفيك أيضا من كثير من الحوار اللذيذ لأنتهى بك مسرعا الى القصة ٠

فقد أقبل دى روشار معلنا أن المغنية قد ظفرت فى مسرح الاوبرا بفـوز لا يشبهه فوز ، وأنه ينتظرها فى هذه الغرفة ، وما هى الا أن تقبل الفتاة رائعة مروعة أيضا قد أنفقت جهدا عظيما لتخفى ما تحس من ألم ، ولتؤدى

واجبها فى الأوبرا · وقد انتهت من هذا الجهد ووصلت الآن الى غرفتها فتستطيع أن تستسلم لآلامها وهى مستسلمة لهذه الآلام · أليست منصرفة عن صاحبها هذا ، منصرفة عن خادمها ، منصرفة عن هذه الجموع التى أقبلت من الأوبرا تشيعها وتهتف باسمها ، منصرفة عن كل شيء ، قد ألقت بنفسها على الأرض مفكرة أو كالمفكرة والناس يحاورونها ويلحون عليها وهى لا تجيب الا فى كره وسخط ، وانظر اليها تنهر خادمها فى عنف ثم لا تلبث أن ترق لهذه الخادم فتقبلها فى حنان ، وانظر اليها معرضة عن صاحبها حتى اذا هم أن ينصرف أمسكته ، هى ذاهلة لا تفكر الا فى صاحبها القسيس وما بعثت فى نفسه من الألم منذ حين ، وهى تتحدث بذلك الى نفسها مرة والى صاحبها مرة أخرى ، حتى اذا عجزت الخادم وعجز صاحبها عن تسليتها أو حملها على أن تأكل انصرفا عنها فخلت الى نفسها ، وما هى الا أن أقبلت على الصلاة جاثية · ولكن بابها يطرق مرة ومرة ومرة أخرى ، فتنهض وتفتح الباب واذا القسيس مقبل فى شكل بشع رائع ، مضطرب أشد الاضطراب ، ظاهر الذهول ، حائر الطرف ، لا يكاد يبين ، قد جلل الثلج ثيابه ، ودلت هيئته على أنه قد هام على وجهه غير قليل ، وهو يرتعش من البرد · فاذا سألته فيم أقبل أجابها أجمل جواب وأبدعه وأشده فى النفوس تأثيرا · أجابها : لقد خرجت فهمت ساعات لا أدرى أين أنا والى أى وجه أقصد ، ولقيتنى فتاة سألتنى عن طريقها وكنت أنت هذه الفتاة · منذ ذلك الوقت اختلفت على صور منك لا تحصى ، رأيتك طفلة بائسة تعسة ، ورأيتك فتاة تتغنى فى الشوارع ، ورأيتك باغية تسرف فى الاثم ، ورأيتك لاهية ، ورأيتك جميلة ، ورأيتك دميمة ، رأيتك فى عزة ، ورأيتك فى ذلة ، وأحاطت بى منك صور لا تحصى ، ومضيت وهذه الصور من حولى حتى مررت بكنيسة كاثوليكية من كنائسكم فدخلت وجثيت وصليت وفهمت ·· فهمت انى آثم ·· آثم حقا ، مسرف فى الاثم ، فهمت أنى أشر ، فهمت أنى مقصر لم أؤد واجبى ، كان حقا على ان انقذك بعد أن رأيتك فيما رأيتك فيه من اثم وذل وألم ، ولكنى آثرت نفسى عليك ففررت منك ··· نعم فهمت وجئت الآن لأؤدى هذا الواجب ·

أما هي فما كادت تسمع حديثه هذا حتى أخذها شيء من الذهول أشبه شيء بذهول الصوفية • وفي الحق انها تغيرت تغيرا تاما وانقطعت الصلة بين حياتها القديمة وحياتها الجديدة • فاسمع لها تهون على صاحبها القسيس وتنبئه بأنه قد بلغ ما كان يريد لأنه قد استنقذها من الآثام وطهرها من الرجس ، فجحدت حياتها الماضية وابتدأت حياة جديدة ، أو قل خلعت شخصها الأول واستحالت شخصا جديدا • واسمع له وهو يسألها أن تعده الا تقوم منذ اليوم على اثم وألا تكون منذ اليوم أداة لهو وعبث • فتدفع له كتابا قد كانت كتبته فيه هذا الوعد ، ولكن قراءة هذا الكتاب تغير من صاحبنا كل شيء ، فانظر الى نفسه وعواطفه وشهواته الانسانية وقد ثارت ثورة عنيفة منكرة فمزقت ثياب القسيس وألقتها عنه ، واذا هو رجل قائم يحس ويشعر ويحب ويشتهي ويرى أمامه موضوع حبه وشهواته ، واذا هو يعلن هذا الى الفتاة في عنف ويسرع اليها فيضمها اليه ، واذا هي تضطرب بين ذراعيه اضطراب الطامع المشفق ، يرغبها حبها في الاسماح ، ويصرفها ما نذرت عن اللهو ، واذا هي تضرع اليه أن يخليها وترغب اليه في الايكون كغيره من الناس والا يتخذ جسمها كما اتخذوه متاعا ، واذا هي تعلن اليه في ضراعة واشفاق ورهبة أن أمرها بين يديه ان شاء تركها صالحة وان شاء ردها الى حيث كانت من الاثم والفساد • واذا كلماتها ورغبتها واشفاقها تؤثر في هذا الرجل فتنطلق ذراعاه عنها قليلا قليلا • واذا هو جاث مطرق مغرق في تفكير عميق ، ولكن الليل انتصف وابتدأت السنة ودقت أجراس الكنائس ، وانطلقت بالصلوات ألسنة المؤمنين ، وكان هذا كله قد انتهى الى القسيس فأيقظه من نومه ، فينهض متثاقلا ، ويمر يده على جبينه ، يعتذر ويستأذن في الانصراف ليلحق بالمصلين • وانظر اليه يخرج متثاقلا وان الظلمة لتنتشر في الغرفة شيئا فشيئا حتى تغمرها وتخفي فيها كل شيء • واذا المسرح يتغير فجاة كما تغير في أول القصة ، واذا نحن في حجرة الأسقف حين تركناه في أول القصة يقص على حفيده ما كان من أمره في شبابه • والفتى يسأله : ثم ماذا كان من أمر هذه المغنية ؟ فيجيبه : لم أعلم من أمرها شيئا ، انما قصصت عليك هذه القصة لتعلم أن تقدم السن

بى لم ينسنى أنى كنت شابا وأنى قد أحببت ، ففكر فى أمر زواجك قبل أن تقدم عليه ، وادع لى أختك فانها لم تتم لى قراءة الصحيفة ٠

ويخرج الفتى فيدعو أخته فتقبل وتستأنف القراءة ، فاذا هى فى الأخبار البرقية واذا هى تقرأ هذا العنوان : موت مغنية شهيرة «كافالينى» ٠ فاذا سمع الأسقف هذا الاسم اضطرب قليلا وطلب الى الفتاة أن تقرأ ، فتقرأ أن هذه المغنية التى ماتت قد انقطعت عن الغناء وانصرفت عن المجد وزخرف الحياة فى ريعان شبابها منذ سنة ١٨٧٣ ووقفت ثروتها الضخمة على أعمال البر ، وان الفتاة لتقرأ واذا الأجراس تدق ، فقد انتصف الليل وابتدأت السنة ٠ وألقت الفتاة صحيفتها وتقبل على جدها تهنئه وتقبله ، ولكنها ترتد عنه قائلة : أرى خدك مبتلا ! ٠٠٠ وخدك الآخر ٠٠٠ انك تبكى ٠٠٠ كلا يا ابنتى ولكن أين أخوك ؟ فتدعو له الفتى ، فاذا أقبل مهنئا دفع الشيخ اليه الصحيفة وقال له : اقرأ هذا ٠ فاذا حاول الفتى أن يظهر شيئا من الدهش دعاه الشيخ الى الصمت قائلا : أتذكر صاحبتك الممثلة ، آتخذها زوجا ، وانه ليقول ذلك وان القصة لتنتهى بينما تصل الى الآذان من بعيد جدا أنغام هذا الصوت الذى سمعناه أول القصة ٠

« أتعرف ذلك البلد الذى يزهر فيه البرتقال ٠٠٠ ؟ »


ميشيل بوبير
قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسى
هنرى بيك

وكان الكاتب يستطيع ان يسميها غير هذا الاسم ، وأن يتخذ أى اسم من أسماء أشخاصها عنوانا لها. فجميع أشخاص هذه القصة خليقون أن يعطوها أسماءهم لأنهم جميعا خليقون بالعناية ، مثيرون في نفسك رغبة الاستطلاع ، وباعثون فيها عاطفة قوية ، عاطفة الاعجاب حينا وعاطفة الاشفاق حينا آخر ، وعاطفة الغضب مرة ، وعاطفة الرضا مرة أخرى • كلهم خليق بالعناية ، وكلهم يصلح موضوعا لبحث نفسى منتج قوى يلذ العقل ويلذ الشعور معا • وقد يكون هذا الاسم الذى اختاره المؤلف أظهر أسماء القصة ، وقد يكون هذا الشخص الذى آثره الكاتب اشد أشخاص القصة استثارة لاعجاب الجماهير وعامة القراء والنظارة • ولكنى أوثر على هذا الشخص مع اعجابى به وعطفى عليه شخصين آخرين : أحدهما يستحق الاعجاب المطلق والاجلال الذى لا حد له ، والآخر يستحق شيئا من الاشفاق غير قليل ويدعو مع استحقاقه للاشفاق الى شىء كثير من الروية والتفكير •

وليس هؤلاء الأشخاص الثلاثة وحدهم هم الذين يستحقون العناية ويضطرون القارىء الى التأمل فيهم والتفكير فى أمرهم ، بل هناك أشخاص ثلاثة آخرون كلهم خليق بالتفكير ، وكلهم يستثير فى نفسك عاطفة قوية كما قلت • وفى الحق أنى لست أدرى أنحن بازاء قصة واحدة أم قصتين أم قصص ثلاث أم أكثر من هذه القصص الثلاث أيضا• بل فى الحق أنى لست أدرى أنحن بازاء قصة أو قصص تدرس الأشخاص وحياتهم النفسية القيمة ، أم نحن بازاء قصة أو قصص تدرس طائفة من الأخلاق وضروبا من أطوار النفس الانسانية عامة وألوانا من الحياة الانسانية من حيث هى • وقد تكون بازاء هذه القصص جميعا ، وقد نستطيع أن ننظر الى هذه القصة من جميع هذه الأنحاء • فمن أراد درس الأشخاص وما يمتازون به من قوة وضعف وما يتصفون به من خلال تدعو الى الاعجاب ونقائص تثير الغضب وجد فيها حاجته ، ومن أراد درس الآراء والنظريات الخلقية والعلمية وما بينها وبين حياة الناس من صلة وما لها فى حياة الأفراد

والجماعات من أثر يجد فيها حاجته . ماذا أقول ! انك تستطيع أن تلتمس فيها شيئا آخر غير الأشخاص وحياتهم وعواطفهم وغير النظريات العلميـة وصـلاتها وآثارها ، تستطيع أن تلتمس فيها السياسة ومكانها من أهواء الأفراد والجماعات وأثرها في نفوس الأفراد والجماعات أيضا . تستطيع أن تجد في هذه القصة الممتعة هذا كله وأكثر من هذا كله ، وأنت تجده في دعة وهدوء واطمئنان لا يحول بينـك وبين الحزن الشديد ولا يحـرمك الابتسامة الخالصة الصافية ، ولكنه يعطيك منهما حظا معتدلا يتيح لك أن تتعظ ولكن في غير يأس ، وأن ترضى ولـــكن في غير اسراف ، ويجـلى لك الحياة كما هي مملوءة بالخير والشر ، قد امتزج فيها الحلو والمر والتأم فيها النعيم والشقاء . وأنت الى هذه اللذة العقلية والقلبية لا تحرم اللذة الفنية أيضا ؛ فاللفظ سهل حلو منوع رشيق ، والأسلوب عذب سائغ مريح . تقرأ فلا يخيل اليك أنك تقرأ ، وانما تحس أنك تحيا وتشهد هذه الحركات والأطوار المختلفة التي تكون الناس وحياة الناس .

ولكني لا أريد أن أطيل في تقريظ القصـة أو نقدها ، فهي في نفسها طويلة ، وانما أريد أن أظهرك عليها في تلخيص شـــديد ودون الحاح في المقدمات . وكيف أظهرك على هذه القصة التي هي في حقيقة الأمر طائفة من القصص دون أن أقدم اليك أشخاصها قبل كل شيء ؛ فحياتهم معقدة ، ونفوسهم على سذاجتها شديدة التركيب ، وكلهم يمثل لونا من ألوان الناس وناحية من نواحي الحياة الاجتماعية ، فهم ليسوا أفرادا ، وانما هم جماعات ، وحظوظهم من الحياة ليست حظوظ الأفراد ، وانما هي النتائج الطبيعة التي تنتهي اليها حياة الجماعات وما يختلف عليها من الأطوار .

تجد في هذه القصـــة شخص هذا الرجل الذي كان غنيا واسع الغنى ومثريا ضخم الثروة ، وشريفـا مؤثل المجد ، نشـأ في أسرة منصرفة الى ما يدعو اليه الشرف من ضروب المجـد والزخرف والزينة واللهو ، ولـكنه انصرف الى العلم فأحبـــه وتهالك عليه ووقف عـلى تحصيله والنبوغ فيه جهوده وأوقاته وثروته ، وأبلى في ذلك أحسن البلاء ، ولكنه لم يظفر من هذا كله بشيء ، وانما استقبل الهرم والشيخوخة في فقر وبؤس وشقاء .

على أن هذا كله لم يغير من هذه النفس الراضية التى كونها البحث العلمى وعلمها أن تكون جلدة قوية شديدة الاحتمال ، فهى مبتسمة أبداً ، وهى راضية أبداً ، وهى طيبة شديدة الميل الى العفو والمغفرة ومعونة الضعفاء والاغضاء عن هفوات الناس . هذا الشخص هو البارون «فون ديرهلويك» .

وتجد فى القصة شخصا آخر نشأ فى أسرة بائسة معدمة ، فذاق ألوان الألم وتقلب فى ضروب الشقاء ، ولكنه أحب العلم كما أحبه ذلك الرجل الغنى ، ولم يقف عليه مالا ولا ثروة ، وانما وقف عليه ذكاء وقوة فوفق لكثير ، واذا هو يظفر بالاختراع بعد الاختراع ، واذا هو يستعين بالأغنياء وأصحاب الثروة على تحقيق آماله العلمية ، فيخدعونه ويعبثون به ، ويستغلون ذكاءه وعلمه ، وهو يعلم هذا ولا يحسن الدفاع عن نفسه ، فيتعزى عن آلام الحياة بالعلم مرة وبالخمرة مرة أخرى ، حتى يعرض له الحب ، فاذا هو قد أضاء نفسه وملأ قلبه ونظم حياته وبرأه من داء الخمر ، فانصرف الى العلم وجد فيه ، وفرغ للحب واستعان به ، واذا هو عالم ، واذا هو غنى قد ظفر بكل ما كان يريد من علم وحب وسعادة . ولكنه لايكاد يستمتع بنتيجة هذه الحياة الطويلة الشاقة حتى تظهر له الخيانة فتقضى على كل ما كان قد حصل وأفاد ، وتصرفه عن هذا البحث المنظم المنتج الى ذلك البحث المشوش المضطرب . تصرفه عن العلم والحب الى العلم والخمر ، فما يزال يبحث ويشرب حتى يقتله البحث والشرب . وهذا الشخص هو «ميشيل بوابير» والذى اتخذ الكاتب اسمه عنوانا لهذه القصة .

وتجد فيها شخصا آخر ذكيا قوى الذكاء ، غنيا موفور الغنى ، قد اجتهد فى أن يجعل ذكاءه وثروته وسيلة الى استغلال العلم والعلماء ، ولكن ذكاءه أعظم من ثروته ، وأمله أوسع من جهده ، فهو يمضى أمامه غير مقدر للظروف ولا متبصر فى العواقب ، مستغل هذا العالم وآثاره فيفقره ويفقر نفسه ، ولكنه يجد فى نفسه من القوة ما ينهضه من كبوته ، فما يزال يمضى فى طريقه متخلصا من كل ضائقة ، ناهضا من كل عثرة ، حتى يعرض له الحب الآثم من جهة والحرص على الثراء من جهة أخرى ، واذا هو قد انتهى الى الضائقة التى لا مخلص منها ، واذا هو بين اثنين : الموت

والسجن ، فيؤثر الموت ، وهذا الشخص هو : « ديلا روزويه » زعيم الأسرة التى تدرسها هذه القصة ٠

ثم تجد فى هذه القصة شخصا رابعا هو امـــرأة ٠ هذه المرأة خليقــة باعجابك كله ، وخليقــة باشفاقك كله ، وخليقــة أن تكون المثل الأعــلى للنساء ٠ أحبت زوجها وكلفت به وأخلصت له وقدمت له ثروة ضخمة يوم تزوجته ، ووقفت حياتها كلها عــلى معونته وتشجيعه ومواســاته وتربيــة ابنتها ٠ أخلصت فى هذا كله راضيــة مبتسمة ، ثم أحســت من زوجها الخيانة والاثم فتألمت ولكن فى صمت ، وبكت ولكن فى استخفاء ، ثم رأت زوجها وقد تورط فى الاثم وألحت عليه أثقال الحياة فعفت له عن خيانته وردت اليه قلبها وحبها كاملين ، وبدأت تغتبط بهذه الحياة المقبلة يملؤها البؤس والشقاء ، ولكن يضيئها الحب والوفاء ٠ غير أن زوجها يسالها أيهما خليق بالعناية والحرص : الحياة أم الشرف ؟ فتجيبه : الشرف ، فتقتل زوجها بهذا الجواب وتعرض أسرتها لحياة ملؤها الشر والمكروه ، على أنها تحتمل هذا الشر راضية مطمئنة ، وتجاهدهقوية جلدة وتكاد تنتصر عليه ٠ قد أخلصت لزوجها ما عاش ، وهى الآن مخلصة لابنتها ، وهى تكاد تجتنى ثمرة هذا الاخلاص ، ولكن الخيانة كانت تنتظرها ، فهى لا تظفر من هــذه الحياة الطويلة الشاقة الا بهذا الاذعان المر الهادىء للقضاء ٠ وهذه المرأة هى زعيمة الأسرة التى يدرسها الكاتب فى هذه القصة ٠

وامرأة أخرى تجدها فى هذه القصة ، خليقة بالتفكير والروية ، خليقــة بالعناية والدرس ؛ لأنها تمثل التربية السيئة وأثرها فى الحياة ، ولأنها تمثل هذه الظروف المنكرة التى تعرض للشباب ولما يتهيأ لمقاومتها فتفســد عليه أمره وتصرفه عن طريق الرشد الى طرق الغى والفساد ٠ نشأت فى ثروة وعز بين أب يحبها ويسرف فى حبها وأم تؤثرها وتحنو عليها ، فلم تذق للشقاء طعما ولم تبل مرارة الحاجة ، ولم تعرف كيف تحتمل الحرمان ، وانما كانت موضوع عناية هذين الأبوين حتى شبت ناعمة راضية طامعة ، لا ترضى من الحياة بما فيها وانما تستزيدها الخير وتطلب اليها ما لا تملك ٠ وقد قرأت كتبا وقصصا افسدت عليها عقلها أوكادت تفسده ، فهىمنصرفة

الى الخيال مغرقة فى الأعلى ، لا ترى الحياة كما هى ولا ترضاها كما هى . ثم عرض لها فتى جميل فاتن غنى ، أظهر لها الحب فأحبتـــه وما كان الا مخادعا ، ثم حاولت أن تقاومه وتتقى شره فلم تجد الى ذلك سبيلا فتورطت فى الاثم ، ولكنها استطاعت بعد ذلك أن تندم وتمحو خطيئتها . ومـا كان أسعدها بأن تجد الحياة الهادئة المستقيمة وأن تخلص لزوج يحبها ويكلف بها ، وقد وجدت هذا كله وكادت تظفر بالسعادة لولا أنها أرادت أن تكون هذهالسعادةخالصةصافية، فاعترفتلزوجهابالاثمفقتلتزوجهابهذا الاعتراف، واضطرت هى الى أن تتردى فى الهوة التى كانت قد خلصت منها فعاشـــت فيها حينا ، ثم جاهدت حتى خلصت منها مرة أخرى ، ولكنها لم تجد بعـد هذا الخلاص الا الحزن والشقاء والندم الذى اتخذته قرينا لحياتها ، وهــذه الفتاة هى « هيلين » بطلة هذه القصة .

وهل أذكر لك هذا الفتى المخادع الذى أشرت اليه والذى لا يرى الحياة الا لعبا ولهوا ، ولا يرى الأخلاق الا سخفا وهزؤا ، والذى لا يرى النساء الا لذة ومتعة ؟ ..

وهل أذكر لك هذه الخادم التى أحبت سادتها ووفت لهم وشـــاركتهم فى الخير وأعانتهم على الشر ، ولكنها رأت آثام الحياة ونقائصها فآثرت أن تترك هذه الآثام والنقائص وأن تفارق باريس .

هؤلاء هم أشخاص القصة . كلهـم كما قلت خليق بالعناية والتفـكير . أفأنت محتاج بعد هذا كله أن ألخص لك القصة تلخيصا مفصــلا ، أم ترى مثلى أنى أستطيع بعد هذا التفصيل أن أوجز لك هذا التلخيص ايجازا ؟ .

* * *

نحن فى باريس فى بيت « ديلا روزريه » نرى ذلك العـالم الشيخ الذى أشرت اليه فى أول هذا الفصل يتحدث الى زعيمة الأسرة ، وهما يعرضان

الحياة وما فيها من لذة ومن ألم ، يذكران الفقر والغنى ، والصحة والمرض ، والموت والحياة ٠ وصاحبة البيت تسأل جليسها عن قريب له من الأشراف هو الكونت « دى ريفاى » ، قدم اليها منذ حين ، وكأنها تفكر فى أن تتخذه زوجا لابنتها ، فلا يذكره الشيخ الا بسوء ، فهو شريف مؤثل المجد ، ولكنه رجل لا خلق له ولا دين ولا كرامة ولا مبدأ ، ينفق مائة ألف فرنك فى الميسر ، ولكنه لا ينفق فلسا واحدا فى الصدقة ٠ ويتصل بين الجليسين هذا الحديث حتى تحس المرأة أن زائرين قد أقبلوا ، فتنصرف ، واذا الخادم يدخل ومعه رجل آخر ينازعه ويدافعه وهو ميشيل بوبير ، فينصرف الخادم ويتحدث الرجلان فتعرف من حديثهما ما قدمت لك فى وصفهما ، وتعرف أن ميشيل بوبيرهذا رجل ذكى عالم بمخترعاته ولكنه فقير ، يستغله التجار الذين يتجرون بمخترعاته ، ومنهم صاحبهذا البيت٠ وقد أقبل هذا العالم المخترع بعد أن أسرف فىشرب الخمر متعمدا ؛ ليحاسب هذا الرجل وليستخلص منه حقوقه ٠ وما هى الا أن يقبل صاحب البيت فيدافع العالم عننفسه حينا ، حتىاذا أحس منه الاصرار على المقاومة أراد أن يفرغ له ، فيسأل الشيخ عن حاجته ، فاذا الشيخ قد أقبل يسأله المعونة على الحياة ، ولكن الرجل يعتذر وينصرف الشيخ العالم راضيا عاذرا ٠ ويخلو صاحب البيت الى مطالبه ، فلا يكادان يتحدثان حتى نفهم أن ميشيل بوبير صاحب حق ، وأنه قد استكشف فى معمله طائفة من الألوان يستغلها صاحب البيت ولا يعطيه من ربحه شيئا ٠ وقد أقبل يطلب حسابه ، وصاحب البيت يدفعه عن نفسه بشىء من المال يعرضه عليه فيأبى الا الحساب ٠ وهما فى هذا الجدال اذ تقبل « هيلين » فتتحدث الى أبيها فى دعة ودل ودعابة ، وتسخر من هذا الرجل السكران الذىيهذى ويصيح ، ويتحدث اليها أبوها فى رفق وحب واكبار ، حتى اذا انصرفت الفتاة كان قد تغير فى نفس هذا العالم السكران كل شىء ، لأنه أحب الفتاة وكلف بها ، فهو لايطلب حسابا وهو لا يقبل مالا ، وهو يحس أن صاحبه فى حاجة الى المعونة فيعرض عليه معونته ، ولكنه يخطب اليه ابنته ، فيأبى الرجل ؛ لأن ابنته لا ينبغى أن

تكون سلعة يتجر بها ؛ ومع ذلك فان الرجلين يفترقان على خير مـا يفترق النـاس ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فنحن حيث كنا في الفصـل الأول ، وقد مضى حين على ما قدمت لك ، ونحن نرى صاحبة البيت وحدها محزونة كئيبة تنتحب وتتحدث الى نفسها بكلام يقطر القلوب ، فيه رثاء لحال المرأة المخلصة الوفية التي قدمت نفسها وحبها ومالها للرجل ، فانتفـع بهذا كله في أثرة وعقوق ، ثم انصرف عن امرأته الى اثمه وخيانته٠ وقد دخلت عليها ابنتها ، فهما يتحدثان ، ونفهم من حديثهما أن زعيم الأسرة شقي مثقل بالهموم يكتم أمره عنهما جميعا ، وأن امرأته تريد أن تتبين مصدر هذا فلا توفق ، وهي تلوم زوجها على اسرافه ، وتعاتب ابنتها في ترفها ٠ وما هي الا أن تعرضها للزواج ، فاذا الأم تذكر ميشيل بوبير والفتاة تزدريه لأنها رأته سكران ٠ ولكنه قد انصرف عن الخمر وأصلح من أمره ونظم حياته ، فهو رجل مستقيم طيب النفس طاهر القلب ذكي الفؤاد خليق أن يكفل السعادة لزوجته٠ ولكن الفتاة لا تسمع لشيء من هذا وهي لا تريد أن تتزوج ، وقد تركتها أمهـــا وانصرفت تريد أن تزور قبر أبويها ٠

أحق أن الفتاة لا تريد أن تتزوج ؟ كلا ! ٠ انها تحب ، وتريد أن تتزوج ٠ انظر اليها ، لم تكد تخلو الى نفسها حتى دعت الخادم وأمرتها أن تذهب الى الكونت دي ريفاى فتنبئه بأنها وحدها الآن ، وأنها تريد أن تراه ٠ وانظر اليها وقد خلت الى نفسها وهي تذكر حبهـا لهذا الشاب والمهـا بهذا الحب واعجابها بهذا الفتى الذي يحبها ويأبى الزواج ٠ وقد اقبل هذا الفتى ، فلا يكاديتحدث حتى نحس منه غرورا وفجورا وحرصاعلى اللذة وحدهاوازدراء لقواعد الأخلاق والحياة الاجتماعية ٠ وهو يدعو الفتاة الى الهرب معه والفتاة تأبى الا الزواج ، وقد اختصما وهما يكادان يفترقان ٠ ولكن زعيم الأسرة قد أقبل ذاهلا مضطربا ، وقد دفعت اليه الخادم كتابا ، قرأه فلم يزدد الا ذهولا واضطرابا ، وانظر اليه يمسك صاحب ابنته ويزيد أن يخلو اليه

فاذا انصرفت ابنته وتحـــدث الرجلان رأينـــا زعيم الأسرة يطلب الى صاحبه المعونة المالية فيأباها عليه ، وقد انتهى به الجزع الى أقصاه ، فهو يقص أمره ويا شر ما يقص ! فقد اضطرته أعماله المالية الى التزوير ، فأما ان يجد المال واما أن يلقى في السجن • وقد سمع صاحبه لهذا ثم نهض وهو يرى أنه ليس من هـذا المـــأزق مخرج الا الموت • وتقبل زعيمـة الأسرة فتخلو الى زوجها وتسأله عن أمره ، ومـا تزال تلح عليه حتى تظفر منـــه بالجواب ، وتعلم أن الأسرة قد فقدت ثروتها كلها •ولكن هذا شيء ميسور يمكن احتماله اذا ظفرت الأسرة بما كان يجمعها من حب ، وأنى لهـا هذا الحب والرجـــل يخـون امرأته وينفـق حياته فى اللهو والاثم ! ولكن الرجل تائب معتذر ، وهو يستعطف امـــرأته ويتضرع اليها وقد طابت له نفسها فهى تعفو عنه ، وهما خليقان أن يستأنفا حياة سعيدة على ما فيها من فقر وبؤس • ولكن الرجل يسأل امرأته وقد عرف أن الفقر لا يخيفها : هبى رجلا بين اثنتين اما أن ينقذ حياته ، واما أن ينقذ شرفه ، فما أخلق الأمرين بهذا الرجل ؟ تجيبه : انقاذ الشرف • فيقول الرجل لنفسه : لقد قتلتنى ، ثم يطلب الى امرأته بعض الأمر ، فاذا انصرفت الى الغرفة المجاورة قتـــل نفســـه •

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضت أشهر على هذا ، ونحن فى ضاحية من ضواحي باريس في بيت لا تظهر عليه النعمة ولكنه ليس سيىء الحال• ونحن نرى الأم تتحـدث الى ذلك الشيخ العالم الذى رأينـاه فى الفصل الأول ، ونفهم من حديثهما أن المرأة تلتمس لابنتها عمل مربية فى أسرة غنية شريفة ، وأن هذا الشيخ قد وجد لها ما تريد ، ولكنه ينصح لها ألا تقر ابنتها عـــلى هذا ، وأن تحبب اليها الحياة وتأسيس أسرة ، فتجيبه : ان ابنتها ترفض الزواج رفضا قاطعا ، وانهما قد سئمتا هذه الحياة فى هـــذا البيت الذى أسكنهما فيه ميشيل بوبير قريبا من معمله • وقد فهمنا أن ميشيل بوبير قد صلح أمره حتى أصبح رئيس مصنع ضخم ، وحتى أصبح غنيا يحبه العمال ويخلصون له • وهما فى هذا الحديث اذ يقبل أحد العمال فيدعو السيدة الى

المصنع ويلح فى هذه الدعوة ، فتنصرف المرأة وتترك الشيخ مع ابنتها فينصح الشيخ للفتاة ألا تتم ما أرادت وينصح لها بالزواج ولكنها تأبى وما يزال بها حتى تنبئه جلية أمرها . ذلك أنها لقيت بعد موت أبيها عاشقها الكونت ، فأظهر حبا لها وعطفا عليها ، ثم أرادها على الاثم فدافعته وامتنعت عليه ، ولكنها رأت منه الشر وعلمت أنه لن يتركها حتى يفتك بها ولو جثة هامدة فأسمحت ، وهى الآن تريد أن تكفر عن سيئتها بحياة هادئة لا لذة فيها ولا حب . ولكن الخادم أقبلت تستأذن لهذا العاشق ، فينصح الشيخ برده ، وتأبى الفتاة الا استقباله ؛ لأنها تطمع منه فى أن يتزوجها ، فينصح الشيخ أن تتركه معه حينا فتفعل . ويتحدث الرجلان ، فاذا الشيخ يلوم الشاب ويؤنبه ، واذا الفتى لا يظهر أمام هذا اللوم الا ازدراء لكل خلق وعبثا بكل فضيلة واحتقارا للزواج ، بل احتقارا لصاحبته ، فهو انما أقبل ليلتمس عندها اللذة . أليس قد أسمحت له مرة ؟ فلم لا تمضى فى هذا الاسماح حتى اذا انصرفت عنها نفسه التمس اللذة عند غيرها ؟ ! والفتاة تسمع هذا كله فى مخبئها ، واذا هى قد أقبلت مغضبة ثائرة فبلغت من تحقير هذا الشاب وازدرائه بكلام غليظ ما شاءت أن تبلغ . ولكننا نسمع ضجيجا ، ونرى الأم مقبلة ومعها ميشيل بوبير ومن ورائهما طائفة من العمال وأهل القرية وكلهم يصيحون بحياة ميشيل بوبير . ولست أطيل عليك بتلخيص هذا القسم اللذيذ من القصة ، فحسبك أن تعلم أن ميشيل بوبير قد عرض حياته للخطر لينقذ عماله من كارثة ، وأقبل العمال يشكرونه ويهنئونه . وكانت فى ذلك خطب تمس السياسة الفرنسية عقب الحرب . وانصرف هؤلاء الناس جميعا الا ميشيل بوبير . واذا نحن نرى الشيخ يتقدم الى الأم يخطب اليها ابنتها لنفسه . فنرى اضطراب الأم والفتاة وغضب ميشيل . ولكننا فهمنا أن هذا الشيخ لم يتقدم بهذه الخطبة الا ليعلن أمام ميشيل وأمام الفتى أنه على شرفه ومكانته يكبر الفتاة ويراها أهلا للاقتران بأرفع الناس مكانة وأعظمهم شرفا .

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فنحن فى بيت فى باريس لم نعرفه من قبل ، وقد تم الزواج بين هيلين وميشيل بوبير . ولست ألخص لك ما بين الأم وابنتها من

حديث ، ولا هذه الصلوات الحارة التي يتقدم بها الزوج الى امرأته ، ولكن يكفى أن تعلم أن هذا الزوج ما زال يذكر حبه وتأثير هذا الحب فى حياته حتى ثر فى امرأته تأثيرا شديدا فأحبته ، ولكن أرادت ألا تخدعه ولا تشغله فاعترفت له باثمها وسألته أن يعفو عنها • ولم يكد الرجل يسمع هذا حتى ثار ثائره وهم بامرأته يريد أن يقتلها ، ثم انصرف عنها صائحا وترك البيت • وهى الآن تبكى وتنتحب ، ولكنها قد سئمت الحياة وندمت على ما كان منها من صدق واخلاص ، واذا هى تدعو الخادم وترسلها الى عاشقها • وماهى الا لحظات حتى يأتى هذا العاشق وقد أزمعت الفتاة باكية أن تعيش عيشة الاثم بعد أن لم توفق لعيشة الطهر ، وقد أسدل الستار ورفع • واذا أنت ترى ميشيل سكران يترنح سكرا وهو يتغنى سوء حظه ، وما زال يتغنى حتى يسقط صريعا أمام باب الدار ، واذا هذا الباب يفتح وتخرج منه امرأته ومعها عاشقها فيكادان يطآن جسمه فى طريقهما •

* * *

فاذا كان الفصل الخامس فنحن فى معمل ميشيل بوبير نرى هذا الشيخ العالم يتحدث الى الطبيب فنفهم من حديثهما أن ميشيل بوبير قد جن وأنه أشرف على الموت ، وأن الخمر هى التى انتهت به الى هذه الحال ، ثم يخرج الطبيب وتأتى أم الفتاة • فنفهم أنها قد وقفت نفسها على صهرها منذ ظهر اثم ابنتها فانقطعت للعناية به والسهر عليه ، وهى تحبه كما تحب ابنها وتشفق عليه اشفاقا شديدا • والشيخ يذكر لها ابنتها ويستعطفها عليها وينبئها بأن قد فسد ما بينها وبين عاشقها فلا يجد منها الا سخطا واعراضا ، فهى لا تعرف ابنتها ولا تريد أن تعرفها ، ولكنها تنظر فاذا ابنتها مقبلة ، واذا هى قد نسيت كل شىء وأطبقت ذراعيها على هذه الفتاة الآثمة تقبلها وتصفح عنها وتلح عليها فى العودة الى حيث كانت حتى لا يراها زوجها • غير أن هذه الفتاة انما أقبلت لترى زوجها وهى تلح فى هذا ، وأمها تدافعها • ولكن انظر هذا ميشيل بوبير قد أقبل ذاهلا مفقود الرشد يخيل اليه أن أم امرأته أمه وهو يهذى بكلام لا خير فيه • فاذا رأى امرأته أنكرها ولم يعرف من أمرها شيئا • ولكن امرأته تلح حتى يخلو اليها ، فتحاول أن تحدثه عن

نفسها وان تذكره ما كان من أمرها فلا يذكر شيئا أو قل أنه يألم ويشتد ألمه لهذه الذكرى ، واذا هو مختنق ، واذا هو يدعو الى المعونة ، فتحاول امرأته أن تدعو أمها فيتبعها صائحا : أنك تسرقين الماس • وانظر اليه قد عمد الى شيء فاستخرجه ، فاذا قطع ضخمة من الماس ملأت المعمـــل نوراً ، تلك هي نتيجة بحثه العلمي قد انتهى اليها بين السكر والبحث ، فاستطاع ان يحول الفحم الى ماس ، والى هذه النتيجة كان يسعى طول حياته وقد ظفر بها • ولكن أدركه الجنون • وانظر اليه الآن يظهر هذه النتيجة ويحرص عليها ، ولكنه مضطرب ذاهب القوى ، فهو يسقط صريعا ، وتسقط قطعة الماس من يده فتتحطم ويدخل الشيخ ومعه أم الفتاة ، فاذا نظر الى هذا الصريع ومن حوله قطع الماس قال : لقد فقد الناس عالما كبيراً ، وفقد العلم سرا عظيما •

الشاب الجميل

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

الفريد كابو



هى احــدى هذه القصص التى يتقنهــا كبار الــكتاب الفرنسيين ، والتى تقرؤها او تشهدها فتشــعر بشىء كثير من الراحة لقراءتها او رؤيتهــا ، وتشعر بان الكاتب لم يتـكلف جهدا ولا مشقة حين كتبها ، بل تشعر بأن الكاتب قد استراح الى كتابتهــا ، ووجد من اللذة فى تنسيق فصولها ومناظــرها مثل ما تجد انت فى قراءتهــا او النظر اليهــا ، بل تشعر بأن الكاتب قد ابتسم عندما خطر له موضوعها ، ونشط للكتابة فى هذا الموضوع فاخذ قلمه باسما ، وظل يــكتب باسما ، وانتهى من الكتابة ولم تفارقه بسمته ، او قل انتهى من الكتابة وهو يضحك .

على أنك تشعر فوق هذا كله بأن ابتسامة الكاتب وابتســامتك أنت حين تقرأ القصة أو تشهدها ليست ابتسامة حلوة كلها وانما تشوب حلاوتهــا مرارة ما . ليست ابتسامة عبث ، ولا ابتسامة سخرية ، وانمــا هى احدى هذه الابتسامات التى تمثل الأمرين جميعا : فيها العبث لأن بين الأشخاص وفى أخلاقهم وحركاتهم ما يدعو اليه . وفيها السخرية لأن فى هذه الأخلاق والحركات ما يحمل الرجل المستقيم ذا المزاج المعتــدل على أن يهز كتفيــه . وفيها الى هذا العبث وهذه السخــرية شىء من الألم الهــادىء والأمل الذى يخلق بالفيلسوف ؛ لأن هذه الأخلاق والحركات ــ عــلى أنها خليقة بشىء من الازدراء وعلى أنها شائعة وعلى أنها قوام الحياة ــ ليست خالدة جامدة ، ولا عسيرة مستعصية على الاصلاح ، فهى منكرة بعض النكر ، ولكنها قابلة لأن يعتدل منحرفها ويستقيم بعض ما فيها من العوج .

تجد هذا كله حين تقرأ القصة أو تشهدها . وتشعر بشىء من الغبطــة والرضا والحاجة الى أن تشكر للكاتب أنه قد أرضاك وألهاك دون أن يثــير فى نفسك هذه الانفعالات الحادة التى تثيرهــا القصص المحــزنة ، ودون أن يسلط عليك هذا الضحك العنيف الذى تبعثه القصص المضحكة بالمعنى الذى يفهمه الممثلون لهذه الكلمة ، وانما أرضاك وألهاك فى هدوء ودعة ، أو قل

انه حقق ما أنت محتاج اليه من هذه الراحة التى يطمــع فيها العاملون وقد أنفقوا يومهم فى الجهد والمشقة .

ثم انت واجد فى هذه القصة ناحية من الحياة الفرنسية قلما تجدها فيما ألفت قراءته ورؤيتــه من القصص التمثيليــة ، وهى حيــاة طائفة من أهل الأقاليم . ولكاتبنا هذا عناية بأهل الأقاليم نعرض عليك منها نموذجا فى هذا التلخيص ، ونرجو أن نعــرض عليك منهــا نموذجا آخــر فى غير هذا الفصل . ثم أنت واجد فى هذه القصة ما تجده فى قصص هذا الكاتب جميعا من هذا المذهب الفلسفى الذى يقوم على المصادفة ويضيف اليها الأثر الأكبر فيما يملأ الحياة من عمل ، وما يعترض الناس من خطوب .

ولقد أحب أن أسلك فى هذه القصة نفس الطريق التى تعودت أن أسلكها فى القصص الأخرى ، فأقدم اليك أشخاصها فى شىء من الايجاز . ولــكنى اشعر بأن هذه التقدمة لن تكون قوية ولا خلابة لأن الأشخاص فى أنفسهم ليسوا أقوياء ولا خلابين . وأشعر أيضــــا بشىء من الخوف لأنى أحس أنى سأتورط فى تقصير شديد عن أن أبعث فى نفسك مثل الكاتب فى نفسى من الراحة والرضا والابتهاج . ذلك لأن لذة هذه القصة وأمثالها تأتى من اللفظ فى كثير من الأحيان ، وتأتى من اللفظ لنفسه أى من حيث يصعب أن يترجم وينقل من لغة الى لغة . ولكنى على هذا كله مجتهـــد فى تلخيص هذه القصة .

واذا لم يكن بد من تقديم هؤلاء الأشخاص فلأبدأ بأشدهم قوة وأعظمهم أثرا فيها ، وهو « فالنتين بريدو » شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، وسيم الطلعة حين تقع العين عليه ، ولــكنه ليس بالجميــل حقا اذا أحسنت التحديق فيه ، قد ظفر بالشهادة الثــانوية فى الآداب ، وهو اذا تــكلم أو كتب خيل الى من يسمعه أو يقرؤه أنه عظيم الحظ من العلم ، كاتب متحدث منطلق اللسان ، فاذا حقق النظر فيه ظهــر أنه ليس شيئا أو لا يكاد يكون شيئا . هو ، كما يقول الكاتب ، من هؤلاء الأشخاص الذين يعجبون النساء لأن عليهم سمة الجمال ولهم مظهــر الــذكاء ، وليســوا بالحسان ولا

الأذكياء ، وهو مدير لمكتبة المدينة التي يعيش فيها ، يتقاضى راتبا ضئيلا ولكنه ضخم بالنسبة الى مدن الأقاليم . وهو بطبيعة الحال شديد الاعجاب بنفسه ، شديد الطمع ، شديد الازدراء للناس ، مقتنع كل الاقتناع بأنه يشهد عصر انتقال يفنى فيه جيل وينهض فيه جيل آخر . فأما هذا الجيل الفاني فقد استنفد قوته وأصبح غير صالح للبقاء . وأما هذا الجيل الناهض فهو ممتلىء قوة ونشاطا ، ولكن الشيوخ يأخذون عليه الطريق ولابد له من أن يقهرهم . وصاحبنا ساخط لا يرضى عن حاله ولا يطمئن الا اذا ظفر في باريس بالمكانة التي تلائمه .

وله في مكتبته رفيق يعينه ، متوسط ، دميم الخلق ، ساذج الطبع ، راض بما قسمه الله له ، حريص على مكانته ، جاد في طاعة النظم والقوانين ، منكر على صاحبه طيشه ونزقه وطمعه .

ثم شخص آخر هو « جونيل » في السادسة والأربعين من عمره ، ضخم الثروة ، معتدل المزاج ولكنه لا يخلو من طمع ، يريد أن يكون عضوا في مجلس الشيوخ ، وهو مخالف للحكومة القائمة في الرأي ، على أن ثروته وجمال امرأته يشجعان على الطمع في الانتصار على مرشح الحكومة .

ولهذا الرجل امرأته « كلوتيلد » شابة جميلة ، معتدلة المزاج أيضا ، شديدة البغض للسياسة والانتخابات والأعمال العامة ، لا تطمع الا في أن يبقى لها زوجها منقطعا اليها يلهيها ويمتعها بثروته الضخمة . وهي تبذل ما تملكه من جهد لتصرف زوجها عن مجلس الشيوخ ، وهي تنذره بالخيانة ان أصبح شيخا ، لأن ذلك لا يلائم سنها ، ولأن بين الناس من يتملقها وقد وعدته بالاسماح له يوم يصبح زوجها شيخا . ولكن زوجها يأبى الا أن يكون شيخا ، ولا يأبى على نفسه التفكير في أنه قد يصل الى الوزارة . وهو مطمئن الى زوجه لا يحفل بوعيدها ، ولا يشك في أنها وفية له مهما يكن من شيء .

وهناك فتاة أخرى « مارت أوبرى » معلمة في المدينة ، رائعة الجمال ، طيبة النفس ، مستقيمة الخلق ، أدركها اليتم هي وأختها ولما يتم تعليمهما

فمضتا حتى أتمتاه . فأما أختها فآثرت العاجلة وانطلقت مع أول رجل غني عـرض عليها الترف والثروة . وأما هي فآثرت الاستقامة والحياة الشريفة ، وقنعت بمنصب المعلمة في احـدى مدن الأقاليم . وهي تحب « فالنتين برينو » مدير المكتبة هذا الذي قدمته لك منذ حين ، وهي تطمع في أن تقترن به ، وهي تتردد على المكتبة في كل يوم تزعم أنها تريد البحث في دائرة المعارف ، ولكنـها لا تريد في حقيقة الأمر آلا أن ترى هذا الشاب يحبها ولا يكره أن يقترن بها ، ولكنه يحب قبل كل شيء أن ان يظفر بمكانة تلائمه في باريس .

وهل تحب أن أتم هذه المقدمة فأذكر لك هذا الشخص الأخير الذي سنراه في الفصلين الثالث والرابع ، وهو « بلوك » مدير مكتب للتخديم يعـرف كل شيء ، ويسـعى في كل شيء ، ويقدر على كـل شيء ، وان كان في حقيقة الأمر لا يعرف شيئا ولا يكاد يقدر على شيء .

هؤلاء هم الأشخاص ، وهم كما ترى ، عاديون لا يمتـاز أحـدهم بشيء ما ، ولا يمكن أن تكون القصة التي تقع بينهم الا عادية لا أثر فيهـا للانفعال الحاد ولا للضحك العنيف .

* * *

فأما الفصل الأول من هذه القصة فيقع كما قدمنا في مدينة من مدن الأقاليم . ونحن اذا رفع الستار في المكتبة ، وأمامنا مساعد المدير كأنه يرتب كتبا . على أننا لا نلبث أن نشعر أن هـذه المكتبة كغيرها من مكتبات المدن فقيرة كلّ الفقر ، لا تكاد تشـتمل الا على دائرة المعـارف وبعض الكتب أو المجلدات السياسية . وقد دخل خادم مأمـور المركز ، يطلب مدير المكتبة ليجيب سيده ، وهو يعلن في ثرثرة ظريفة ان المأمور مغضب لأن مدير المكتبة قد كتب في صحيفة المدينة فصـلا سياسيا عضد فيه مرشحا في مجلس الشيوخ معاديا للحكومة وذم فيه مرشح الحكومة وهو قريب المأمور . ولا يكاد يخرج الخـادم حتى يأتي مدير المكتبة ، فاذا هو كما قدمنا فتى ظاهر الرشـاقة واللباقة ، ولكنه في حقيقة الأمر ليس شيئا لولا أنه شديد الطمع قوي الارادة . فاذا أخبـر

بأن المأمور يدعـوه وأنه مغضب منه لم يحفل بذلك ، وانما أخذ يحدث صاحبه عن الفصل الذى كتبه فى صـحيفة « المستقبل » وهاجم فيـه قريب المأمور فى قوة وعنف ودافع فيـه عن خصمه دفـاعا شديداً ، فاذا سأله صاحبه : فيم هذا الهجوم ؟ أنبأه بأن قريب المأمور هذا قد ذكره بسوء فيما بلغه ، وأنه لا يعرف خصمه ، ولكنه مع ذلك يؤيده ويبـذل فى ترشيحه ما يملك من قـوة · ويكون بين الرجلين حوار نفهم منه أن أحدهما وهو المـديرِ يتحرق شوقا الى باريس لعله يظفر فيهـا بما يريد من هذه المكانة العالية ، وأنه واثق بالوصول الى ما يحب ، فكل شيء يدله على ذلك : انظر الى هذا الجيل الذى يريد أن ينقضى كيف ضعف واضمحل ، وكيف عجز وانحل ، وكيف أخذ الفساد يعمل فيه من كل ناحية ، فلا خلق ، ولا قوة ، ولا ارادة ، ولا مهارة ، ولا استقامة فى الأعمال · وهذا مأمور المركز : ما قيمته ! ! وماذا عمل وهو يخدم الحكومة منـذ خمس عشرة سنة ؟ وهـذا المدير أتظنه وصل الى منصبه لولا أنه أصـهر الى سـكرتير الوزير ! والأمر كذلك فى جميـع طبقات هـذا الجيل وفى أنحاء الحيـاة الاجتماعية كلها : جيل يفنى ، وجيل آخر ينهض · وهذا الجيل الناهض منتصر من غير شك ؛ ففيه حب الحياة وطمـوح الى الرقى ، وفيـه قوة على الجهاد وصبر على المكروه ، وفيه نبوغ واستعداد للنبوغ · انظر الى صاحب الصحيفة التى تصدر فى هذه المدينة ، لقد عرض عـلى الفتى المدير ١٥٠ فرنكا فى الشهر على أن يـكتب لصحيفته فصـلا فى كل يوم · فهو اذا يستطيع أن يعيش خارج المكتبة ، وهو يستطيع أن يغضب المأمور · هذا كله فى الأقاليم ، فكيف به لو ذهب الى باريس !

أما صاحبه فهادىء معتدل قانع فيلسوف ، ينصح لرئيسه بالهـدوء والدعة والرضا بما هو فيه ، وينصح له بنوع خاص بألا يلتمس فى الحياة الا هذه السعادة الهادئة العادية · وما له لا يفكر فى هذه الفتاة المعلمة التى تحبه وتتردد على المكتبة من أجله ، وتتمنى أن تكون له زوجا ! أليس هـو يحبها أيضا ؟ ! بلى ! ! هو يحبها ، ولكنه لا يتعجل هذه السعادة ، وانما يريد أن يصل الى الثروة والمكانة قبل أن يفكر فى الزواج ·

فأمـــا وقد تحدث الرجلان في الحب ، فلم يكن بد لصاحبنا المســـاعد الفيلسوف من أن يذكر حبه أيضا ؛ فهو أيضا يحب ، ولكنه يحب من غير أمل • يحب امرأة لا يعرفها ولا ينتظر أن يعرفها ، رآها مرة في باريس وقد كان يمشي الهوينا في الغابة فاذا هي تنزل من عربتهـا واذا منديلها يسقط فيلتقطه هو ويدفعه اليها فتأخذه شاكرة ، وهذا يكفي ليذكي في قلب صاحبنا للحب جذوة متوقدة • وصاحبنا فيلسوف يحتمل هـــذه الجذوة وما لها من لذع ، ولكنه يعلن أنه ان رأى هاتين العينين السوداوين مرة أخرى فلن يستطيع أن يضبط نفسه ولن يكون له على حبه سلطان •

وهذه الفتاة المعلمة قد أقبلت تكلف مساعد المكتبة أن يعد لها جزءا من «لاروس» لتنظر فيه بعد حين • ولكنها رأت المدير فتتحدث اليه ، ويدعوها هو الى مكتبه ليظهرها على بعض الصحف التي وصلت من باريس فتمتنـــع عليه • فاذا سألها لمـاذا ؟ أجابته : لأني ان تبعتك الى المـكتب حاولت أن تقبلني كما حاولت في المرة الماضيـــة ، فأمتنع عليك فنتغاضـــب • وفيم نتغاضب ونحن صديقان ! على أني لا أكره أن تقبلني بل قد أجد في ذلك سعادة ، ولكن قبل أن أسمح لك بهذه اللذة ولنفسي بهذه السعادة يجب أن تخطبني ، ويجب أن أعرف متى نقترن ، ولم لا نقترن ؟

فاذا ذكر لها طمعه في الثروة والمكانة دهشت وأعلنت اليه أنها راضية بمكانتها ومكانته ، وأنها ترى أنهما يستطيعان أن يعيشا سعيدين ، وأخذت ترغبه في الزواج وتذكر له أمورا من شأنها أن تشجعه عليه ومن هـــذه الأمور أنها تحبه • ولكنه مصر على الثروة قبل كل شيء ، فتدعه على أن تعود لتنظر في دائرة المعارف • وما تكاد تخرج حتى يأتي « جونيل » هذا الرجل الغني الذي يرشح نفسه لمجلس الشيوخ ، يأتي لأنه قرأ الفصل الذي نشره الفتى في الصحيفة فجاء شـــاكرا • ومـا هي أن يرى الفتى ويتحدث اليه حتى يعجب به فيعرض عليه أن يكون سكرتيره ، وأن يرافقه الى باريس • ولا يحتاج الى الالحاح على الفتى في ذلك فقد قبل الفتى • وما له لايقبل وهو سيذهب الى باريس ، وسيعمل في السياسة ، وسيكون يد هذا الرجل اليمنى حتى يصل الى مجلس الشيوخ ثم الى الوزارة • ومن

يدرى ! ماذا يجنى هو فى أثناء هذا كله ! على أن صاحبنا الشيخ ينبئه بأنه يخوض غمار الانتخابات على كره من زوجه فهى لا تحب السياسة ، ولكنه واثق بالانتصار عليها ، وهو يعلم أن امرأته ستغضب حين تعلم أنه قد اتخذ له سكرتيرا ولكن غضبها لن يطول فهو يوصى الفتى بالأناة والرفق • أما الفتى فقد قبل كل شيء وهو يترك صاحبه ليكتب الاستقالة • ولا يكاد يخلو الى نفسه حتى تأتى امرأته ، فاذا هى ، كما قدمنا ، شديدة السخط على السياسة ، شديدة البغض لاندفاع زوجها فيها • ولا يكاد زوجها ينبئها بأنه اتخذ له سكرتيرا حتى تثور • ولكن السكرتير قد أقبل وقد نظرت اليه فتحس أنه وقع من قلبها ، وهى تتلقاه متكلفة بعض الفتور ، وتدعوه الى العشاء متكلفة بعض الفتور أيضا •

وينصرف الزوجان وتعود الفتاة المعلمة ، فلا تكاد تتحدث الى صاحبها وتعلم باستقالته واعتزامه السفر الى باريس حتى يأخذها الحزن والجزع والاضطراب ، وهو يهدئها ويخطبها ويعدها ، ولكنها لا تحفل بذلك ولا تكاد تصدق منه شيئا • وهى تدع صاحبها وتنصرف الى الكتاب تريد ان تنظر فيه فلا تستطيع • وأنى لها ذلك وقد ملكها الاضطراب فهى لا ترى الا صاحبها ، ولا تفكر الا فى سفره • وهى فى ذلك واذا امرأة تدخل وتسعى فى خفة حتى تصل اليها فتقبلها ، فاذا التفتت رأت أختها « بوليت » وهى لم ترها منذ سنتين ، منذ انقطعت هى الى التعليم ومضت الأخرى مع أول رجل غنى لقيها • وأختها تنبئها بأنها كانت مسافرة معه الى نيس ، حتى اذا وصلا الى ديجون ذكرت أختها فقالت له يجب أن نفترق هنا لأرى أختى وسألقاك آخر النهار • فاذا سألت أختها من هو ؟ أجابت : هو ! هو الذى تعرفينه ، هو جوستاف ! على أنى سألقاه آخر النهار ، ولم أشأ أن أصطحبه حتى لا أعرضك لسوء القالة • فاذا سألك عنى أحد فقولى انى معلمة فى باريس وأنت تذكرين أنى كدت أكون معلمة فى باريس لولا أن وصل جوستاف • كلا ! لم يكن جوستاف ، وانما كان ادوار • ثم تمضى فى هذا الحديث السريع حتى تسأل أختها عن حالها ، فما أسرع ما تتبين أنها محزونة ! وما أسرع ما تفهم سبب هذا الحزن ، وما أسرع ما يظهر حبها لأختها وحماستها فى الدفاع عنها • وبينما أختها تجذبها للخروج من

المكتبة اذ يقبل مدير المكتبة ، فما أسرع ما تعرف هذه المرأة أنه هو الذى تحبه أختها ، فتأخذ فى لومه وتعنيفه وترغيبه عن باريس .

* * *

واذا كان الفصل الثانى فنحن نرآه جالسا الى المنضدة وفى يده القلم وصاحبه الشيخ يملى عليه بدء منشور انتخابى . ولكن الرجل لا يكاد يقيم الجملة الأولى من المنشور ، فهو يتردد ويضطرب ويستأنف القول ثم يعيده ثم يستأنفه دون أن يسـتطيع التقدم . فيعرض عليه كاتبه أن يفعلا كما فعلا فى المرة الماضية . فما أسرع ما يقبل مسرورا ، واذا هو قد جلس الى المنضدة وأخذ القلم ونهض الـكاتب فأخذ يمشى فى الحجرة ممليا ، واذا الكلام متصل مستقيم ، والجمل يتبع بعضها بعضا فى غير تردد ولا اضطراب ، والشيخ راض مبتهج يعلن فى سذاجة أنه لا يحسن الكتابة الا اذا جلس هو وأخذ القلم ومشى كاتبه وأملى .

وهما فى ذلك واذا امرأته قد أقبلت ، فاذا رأت ذلك دهشت وأخذهـا شىء من الضجر لم تحاول قط اخفاءه . ثم تأخذ فى لوم زوجها على السياسة ودخوله فيها ، وتسأله عن حفلة راقصة يريدان اقامتها : أتكون فى الرابع عشر أو الخامس عشر من الشهر ؟ فيتردد ثم يذكر أن بينه وبين الناخبين موعدا فى هذين اليومين ولكنه لا يعرف أيهما ، ثم يلتمس كتاب الناخبين اليه فلا يجده فيذهب كاتبه لالتماسـه . ولا يـكاد يخلو الى امرأته حتى تطلب اليه أن يقيل هذا الكاتب فيعاتبها لأنها تلقى هذا الشاب بفتور بعد أن كانت قد لقيته أول الأمر فى شىء من الظرف واللطف . ولـكنها تلح عليه فيأبى . ونفهم من حديثهما ومن الحاحها أن بينها وبين هذا الفتى حبا أو شيئا يشبه الحب ، وهى تريد ألا تصل الى خيانة زوجها . ولكن الرجل سليم القلب لا يفكر الا فى السياسة والانتخاب ومجلس الشيوخ . فاذا أبى عليها ويئست منه تركته وجاء الفتى ، وهما باستئناف العمل ، ولكن معين الفتى فى المكتبة قد جاء فتركهما الشيخ على أن يستأنفا العمل بعـد حين . وما هى الا أن يتحدث الفتى الى مساعده القديم حتى نفهـم أنه قد رأى العينين السوداوين مرة أخرى : رآهما هناك فى المكتبة فى ذلك اليوم

المشهود يوم كانت المعلمة تنظر فى الكتاب فجاءت أختها · هو اذا عاشق لأخت هذه المعلمة ، وقد كان صادقا حين أعلن أنه لن يملك نفسه أن رأى عينيها مرة أخرى · وقد رأى عينيها بل جلس معها الى مائدة المعلمة ففقد الرشد أو كاد ، واستقال على كل حال وأقبل الى باريس ولن يفارقها · وهو سيىء الحظ ؛ فقد ذهب الى دار هذه الفتاة واستأذن عليها فتركته ينتظر نحو الساعة ،ثم خرجت ومعها ثلاثة رجال فمرت به مسرعة وهى تقول : اذا لقيت أختى فبلغها تحيتى · وهو سيىء الحظ ؛ فقد التمس العمل فلم يظفر بشىء ، وذهب الى « بلوك المخدم » وبينهما صلة ، فأبى هذا الرجل أن يلقاه · فلما ألح عليه أمره بالعودة الى الاقليم · وصاحبه الفتى يأمره بمثل هذا ، ويضرب له موعدا بعد ساعات ليطعما معا على أن يسافر هو بعد العشاء · أما هذا الرجل فيقبل الموعد ويقبل العشاء ولكنه يرفض السفر · وقدخرج وجاءت امرأة الشيخ ، فأنبأت الفتى أن زوجها قد خرج يتروض ، وأنها تريد أن تتحدث اليه ، ثم أعلنت اليه فى صراحة أنها قد طلبت الى زوجها اقالته فرفض · واذا فهى تطلب اليه أن يقيل نفسه لأنها تحب زوجها ، وتكره أن يعاشرهما ثالث · أما هو فيعدها بالاستقالة والسفر ، ولكنه ينتهز هذه الفرصة التى لن يراها بعدها ليعلن اليها فى صراحة أيضا أنه يحبها حبا لا حد له ، وأنه لو شاء لأظهر لها هذا الحب ، ولكنه أراد أن يكون رجلا شريفا فكتم حبه ، فأما الآن وسيفارقها فراقا لا لقاء بعده فلا جناح عليه أن يعلن اليها هذا الحب · فاذا أرادت أن تأخذه بالصمت مضى فى الحديث وأعلن اليها أنها شجعته على هذا الحب · أليست قد اعتمدت على يده مرة فى الملعب وبقيت معتمدة عليها ما استمر التمثيل !! أليست قد التصقت به التصاقا مرة فى العربة يوم عادا الى البيت منفردين !! فلو لم يكن رجلا شريفا لانتهز احدى هاتين الفرصتين وأعلن اليها حبه ، ولكنه لم يفعل ، وهو اذ يفارقها لا يؤلمه الا أنها ليست وفية لزوجها · فاذا أخذت تنكر عليه ذلك أخذ يتهمها بأنها تحب فلانا وتداعب فلانا حتى تضيق به ذرعا فتعلن اليه أنها لم تخن زوجها ، ولولا حرصها على الوفاء لزوجها لما طلبت اليه الرحيل ، ولكنها تحبه وتخشى أن آثام أن تقع فى الاثم · فاذا سمع هذا فهو سعيد ، وهى أيضا سعيدة ، وهى لا تتعجله

فى السفر بل تطلب اليه البقاء ولكنها قلقة ٠ أما هو فجرىء ! انظر اليه يسرع اليها يريد أن يأخذها بين ذراعيه ، ولكنها تتحرج وتأبى عليــه الا حبــا بريئا ، ولا تسمح له إلا بقبلة بمينها يضعها بين شعر رأسها لا يتجاوز هذا الشعر ٠ وانه لفى هذه القبلة اذ يحسان حركة فيفترقان ، واذا الزوج قد أقبل ، فتلقاه متبسمة ، وتعلن اليه أنها قرأت بعض منشوراته الانتخابية فرضيت عنه ٠ وهو يبتهج حين يراهــا مسرورة راضية ٠ ولــكنه لم يقبل وحده بل أقبل ومعه أحد الناخبين ، فهو يدعو سكرتيره ليتحدثا مع هذا الناخب ٠ وتخلو المرأة الى نفسها فتجلس مفــكرة وفى يدها ورق كأنها تنظر فيه ٠ وبينا هى فى ذلك اذ يقبل زوجها دون أن تحسه ٠ فاذا نظــر اليها جالسة هكذا راقته فسعى اليها فى خفة ورشاقة حتى يضع شفتيــه من شعرها حيث كان الآخر قد وضع شفتيه ٠ أما هى فقد أحست شفتيه فى شعرها فلم تفكر إلا فى صاحبها ، واذا هى تقول له : فالنتين ! أنت مجنون ٠٠٠ ان زوجى يستطيع أن يأتى الآن ٠ قدر أنت وقع هذا الكلام فى نفس الشيخ حين يسمعه ٠

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى مكتب المخدم « بلوك » وأنا أعفيــك من وصف هذا المخدم وأعماله وأعوانه ٠ ولــكننا نرى فى مكتبه مســاعد المكتبة الذى رأيناه فى أول القصة ، وقد أقبل الآن يلتمس عملا ، والمخدم يأبى أن يلقاه ، حتى اذا ألح دفع اليه بعض النقد وصرفه وأخذ فى عمله ٠ واذا « كلوتيلد » زوج الشيخ قد أقبلت تستأذن عليه فاذا أذن لها أنبأته بأنها تلتمس شابا يقال له « فالنتين بريدو » وقد جاءت تستعين به على أن تلقاه وقد افتقدته منذ شــهرين ، فيعدها خيرا ويطلــب اليها صــورته الفتوغرافية ٠ فتنصرف لتأتى بها ، ويأتى مكانها « فالنتين بريدو » نفسه يطلب عملا ٠ فاذا سأله المخدم عما يحسن قال انه نال البكالوريا ، ولكن البــكالوريا لا تفيد شيئا ! وان عنــد هذا المخدم من العمال والأعــوان أشخاصا نالوا البكالوريا فى العلوم والآداب ، ولكن باريس قد ضــاقت بهم ، وانه ليعرف قوما معهم الليســانس فى الحقوق وهم يقودون عربات

النقل ، ثم أخذ يبحث فى دفاتره فلم يجد ما يعرضه على هذا الشاب الا عمل خادم عند رجل يحزم الأمتعة ، فيأبى الشاب · ولكنه قد وقع من نفس المخدم وأعجبه ، فأخذ المخدم يعرض عليه العمل عنده ويطلب اليه أن يبدأ فيبحث عن فتى يقال له « فالنتين بريدو » · فاذا سمع الفتى اسمه دهش وقال : غدا سآتيك به آخر النهار · وقد تركه المخدم لبعض عمله وأقبلت « كلوتيلد » فالتقيا وتحدثا واطمأن كلاهما الى صاحبه واستوثق كلاهما من حب صاحبه وكان بينهما الميعاد · ثم ينصرفان ويعود المخدم تتبعه بوليت وأختها المعلمة · ونفهم أن هذه الفتاة قد ضاقت بحياة الأقاليم ذرعا بعد أن تسافر خطيبها الى باريس ، فاعتزمت أن تترك التعليم وأن تعيش فى باريس · وأقبلت الى أختها فلقيت عندها الشبان الأغنياء وأخذوا يعرضون عليها حياة اللهو فترفض ، وهى الآن تلتمس عملا شريفا · فأما العلوم التى تحسنها فالرياضة والتاريخ الطبيعى والرسم والموسيقى · ولكن هذا كله لا يغنى عنها شيئا ، وكل ما يستطيع الرجل أن يعرض عليها انما هو العمل فى مطعم حقير ، فتتردد ثم تقبل وتهمان بالانصراف · ولكن اختها قد القت فى أذن المخدم أنها لا ترضى بهذه الحياة لأختها ، وأنها تعلم حق العلم أنها ما زالت تحب ذلك الفتى الذى عشقته هناك حيث كانت معلمة ، وأن هذا الفتى فى باريس ، وأنها تريد منه أن يلتمسه واسمه « فالنتين بريدو » · وتخرجان ، ويأتى جونيل يلتمس عند هذا المخدم سكرتيرا · وانهما لفى الحديث اذ يهمس الخادم فى أذن سيده أن الفتى الذى استخدمه اليوم قد عاد يريد أن يخبره ببعض الأمر · وهنا يتنبه المخدم الى أن هذا الفتى يستطيع أن يكون سكرتيرا لجونيل ، فيعلن الى جونيل أنه قد ظفر له بما يريد ، ثم يأمر بادخال الفتى فاذا دخل ورآه جونيل أخذته ثورة وغضب وصاح : هذا فالنتين بريدو ! هذا هو السكرتير الذى أقصيته ! ثم انصرف لا يلوى على شىء ·

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فنحن فى فندق حقير أو كالحقير حيث يقيم « فالنتين بريدو » وقد قبل أن يعمل عند حازم الأمتعة ليعيش · وقد

اتصلت الرسائل بينه وبين « كلوتيلد » وقد وعدته أن تزوره اليوم ، فهيأ غرفته وزينها بالزهر ووضع فيها ألوانا من الحلوى وخرج لبعض أمره . وأقبل جونيل ومعه المخدم يلتمسانه . ونفهم من حديثهما أن جونيل قد ظفر في الانتخاب وأصبح شيخا . وهو يشعر بأنه مدين بهذا الفوز لهذا الشاب الذى رشحه وأيده وأعانه حتى بلغ ما بلغ من الفوز . وهو رجل وفى خير يريد أن يكافىء هذا الشاب على حسن بلائه عنده ، ولكن غياب الشاب قد طال ، فينصرف الشيخ على أن يعود . وقد أقبل الشاب بعد ذلك فيلقى مساعده القديم قد ساءت حاله الى حد منكر ، وقد عاد الى فلسفته الأولى واعتزم العودة الى الاقليم . ولكن صاحبه يشجعه على البقاء في باريس ، ويرى أن الحياة جهاد ، وأنه يجد لذة لا تعدلها لذة فيما يلقى من الألم في عمله الجديد وما يستلزمه من حمل الأثقال ... وأى عظماء الرجال لم يشق في أول حياته ! وهو كذلك اذ تقبل «بوليت» . فاذا خلت اليه لامته وأنبأته أن أختها قد تركت التعليم ، وأنها قد أقبلت الى باريس ، وهى الآن تعمل في معمل حقير ، وهى واقعة في الاثم لا محالة اذا مضى في قطيعتها . فيذكى هذا الحديث في نفسه جذوة الحب القديم وكأنه كان نسيه ، فأما الآن وقد ذكره فقد ملأ هذا الحب قلبه فجأة ، واذا هو يطلب الى « بوليت » أن تشجع أختها وتدعوها الى الصبر والاحتمال ، فما زال يحبها وما زال حريصا على أن يتخذها له زوجا . أما هى فقد عرفت أنه ما زال محبا ، واكتنفت بذلك وانصرفت .

وتقبل « كلوتيلد » لميعادها ، وهى مضطربة مروعة ، فهى مقبلة على الاثم وخيانة زوجها ، وهى مقبلة في هذا الفندق الحقير وفي هذا الحى الذى لا عهد لها به . وبينا هى في روعها واضطرابها اذا صاحبها في اضطراب آخر ليس أقل من اضطرابها ؛ فقد ذكر المعلمة وحبها البرىء وزواجهما ، وتبين أنه لا يحب هذه المرأة ، وانما هى فتنة عرضت له ثم انجلت غوايتها عنه قبل أن يتورط فيها . هو اذا على بصيرة من أمره ، والمرأة على بصيرة من أمرها أيضا . وانظر اليهما لا يكادان يبتدئان الحديث حتى تقع بينهما الخصومة : عرض بزوجها فغضبت له وأخذت تحمده وتذود عنه وتفخر

بفوزه في الانتخاب . وما هي الا آن يحسا جميعا أن ليس بينهما حب ، وانما هي فتنة قد خدعتهما ؛ واذا فليتصافحا وليفترقا صــديقين لا شر بينهما ولا اثم ولا ريبة . وهما يفعــلان وهي تنصرف ، واذا المعلمــة قد أقبلت مبتهجة ، ولكنها لم تكد تدخل الغرفة وترى هذه المرأة منصرفة منها حتى عاودها اليأس . كانت أختها قد أنبأتها أن الفتى ما زال لها محبا ، فأسرعت اليه مستعدة للتضحية والجهاد معا . ولكنها ما كادت تصل حتى رأت امرأة تخرج من عنده ورأت طاقات الزهــر وألوان الحلوى ... فهي ساخطة ثائرة مزدرية لنفسها تضحك وتبكي في وقت واحد ، وهو يستعطفها ويترضاها ويبسط لها الأمر على جليته فتصدقه أو تكاد تصدقه . وهما في هذا الحديث اذ يقبل «جونيل» فيصافح الفتى ويعلن اليه أنه قد فاز ، وأنه مدين له بهذا الفوز ، وأنه قد جاء يعرب له عن حسن بلائه ويدفع اليه ورقة هي كتاب تعيينه مأمورا لأحد المراكز . يقع هذا في سرعة ، ولــكنه لا يخلب الفتى ولا يطير بلبه ، وانما يتقبل الفتى هذا كله هادئا ويقول لاحدى جاراته : بعد قليل سأكون مديرا ثم عضوا مكانه في مجلس الشيوخ .

الغربان

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

هنري بيك



ليس هذا العنوان مشوقا ولا خلابا ، وربما كان منفرا ثقيلا على السمع . ومع ذلك فلست أعرف عنوان قصة تمثيلية اشد من هذه القصة صدقا وأكثر منها تأثيرا في النفس ، وأبرع منها في تصوير لون من الوان الحياة القائمة المحزنة التي نراها ، فلا يحسن ظننا بالانسان ولا فيما انتهى اليه من حضارة ورقى .

نعم ! نحن بازاء قصة جيدة ..

وأنا أصفها بهذا الوصف من غير تحفظ ولا احتياط ، لأنها خليقة به حقا . هي جيدة من كل وجه ، جيدة في موضوعها لأنه من هذه الموضوعات التي نشهدها في كل يوم وفي كل مكان على اختلاف ظروف الحياة وأجيال الناس ، نشهده فننكره أشد الانكار ونحزن له أعمق الحزن ، ونسخط عليه أشد السخط ، حتى لقد أصبح ذلك شيئا شائعا مستقرا عنيت به الديانات ومذاهب الأخلاق . وأي الناس يجهل سخط الديانات والأخلاق وعرف أخيار الناس على هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى وينعمون بشقاء البائسين ، ويستغلون ضعف الضعيف ليتخذوا منه لأنفسهم قوة وبأسا . القصة جيدة في معناها وأسلوبها أيضا . فأنا زعيم لك ان قرأتها ألا تجد فيها اسرافا ولا تصورا ، ولا تجاوزا لحدود الفن ، ولا نبوا عن السهولة والسذاجة اللذين يلائمان طبع الطبقات الوسطى من الناس . أنا زعيم لك بأنك ستقرؤها فلا تجد فيها عنفا ولا شدة ، ولا عناية قليلة أو كثيرة بالتأثير في نفسك والاستثارة لعواطفك ، ومع ذلك ستثور لأن القصة طبيعية بريئة من التكلف . ولست أعرف شيئا أبلغ في اثارة العاطفة والتأثير في النفس من الطبيعة الصادقة يمثلها الكاتب او الشاعر تمثيلا صادقا . والقصة جيدة في لفظها ، فقد تقرؤها على طولها دون أن تجد فيها لفظا غريبا ، بل دون أن تحس فيها أن الكاتب قد تخير الفاظه أو تأنق فيها ، وانما هو كلام يجرى مجرى

الطبع ويسير مسير الأحاديث العادية بين أوساط الناس ، دون أن يكون فيه مع ذلك فساد أو ضعف أو اضطراب .

القصة كلها طبيعية ، وهي طبيعية من أي نحو قصدت اليها . ومن هنا قلت ـ وما زلت أقول ـ انك لن تستطيع أن تقاومها ولا أن تعصم نفسك من التأثر لها . وأحسب أنك لن تستطيع أن تقرأ الفصل الثالث والرابع منها محتفظا بهدوئك وسكونك ودموعك . نعم ! أعترف بأني من أشد الناس مقاومة لبراعة الكتاب والشعراء والممثلين . وهذه المقاومة نفسها هي التي تمكنني من النقد وتيسر على الحكم اذا قرأت قصة أو شهدتها . ولكني على شدة مقاومتي هذه احتجت أمس الى أن آخذ نفسي بشيء من العنف ، وأنا أقرأ هذه القصة لأحتفظ بهذه الابتسامة التي تعودت أن أسمع معها كل أثر فني . ولست أريد أن أطيل في المقدمات ، فلأهجم بك على القصة نفسها ، وأنا واثق كل الثقة بأني لن أستطيع أن أؤثر في نفسك تأثير القصة نفسها ، لأني لم أوفق مهما أبذل من جهد لأن أكون في هذا التلخيص من السذاجة والسهولة بحيث كان الكاتب نفسه حين وضع قصته .

ما أجدر هذه القصة أن تقرأ ! وما أجدرها أن تترجم ! وما أجدرها أن تعرض على الناس في ملاعب التمثيل العربي ! .. فكأن الكاتب لم يضعها لفرنسا ، وانما وضعها لمصر . ولم لا نكون صادقين فنقول انه وضعها للعالم كله ! وأي بلد يخلو من أولئك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فيأكلون في بطونهم نارا ويستعدون لأن يصلوا يوم القيامة سعيرا .

* * *

نحن في باريس في بيت تظهر عليه آثار النعمة . قد رفع الستار ، فاذا نحن نرى أسرة مجتمعة ، لا نكاد نراها ونسمع لها حتى نشعر بأنها أسرة سعيدة مغتبطة ، قد ألف الحب بين قلوبها فاطمأنت الى يومها وابتسمت لغدها . نرى شيخا قد استلقى يستريح بعد الغداء

وفي يده صحيفة ينظر فيها والنوم يغالبه ، وهذا الشيخ هو « فينرون » زعيم الأسرة • ونرى امرأة ليست بالشابة ، ولكنها ليست بالشيخة أيضا • ونرى فتاة قد جلست الى البيانو ، وهي « جوديت » أكبر شباب هذه الأسرة ، وفتاة أخرى قد جلست قريبا من أبيها الى بعض هذه الأعمال اليدوية التي يعنى بها النساء ، وهي « ماري » الثانية من شباب هذه الأسرة • ونرى فتاة ثالثة لما تبلغ العشرين ، قد جلست الى مائدة تكتب ، وهي « بلانش » الثالثة من شباب هذه الأسرة • ونسمع ذكر غلام سنراه بعد حين يسمى « جاستون » وهو آخر أبناء هذه الأسرة • انظر الى الفتاة مبتسمة تكتب • وليس يشك من رآها في أنها معنية بأمر ذي بال ، وكيف لا ! أليست تكتب أسماء الذين سيتناولون العشاء على مائدة أبيها مساء هذا اليوم وتعنى بترتيبهم في مجالسهم ملاحظة في هذا الترتيب أقدارهم وأعمارهم ! ثم أليست بطلة هذا العشاء ، فهو انما يقدم الى الناس احتفالا بخطبتها وتمهيدا لقرانها وقد نهضت أمها فأخذت تناقشها في أماكنهم ، وتذكر كل واحد منهم ثم تعقب بحكم له أو عليه • وقد أفاق الشيخ من غفوته ، فسمع ابنته تذكر ساخطة اسم أحد المدعوين ، وهو « تسيبيه » ، فاظهر غضبا ولوما ، وانذر ابنته بأنها ان عادت الى مثل هذا فسيحرمها حضور المائدة وسيلغي زواجها • ذلك أن هذا الرجل الذي تكرهه هذه الفتاة هو مصدر نعمته وشريكه في عمله ، فيجب اكباره والوفاء له • والأسرة مختلفة دائما في هذا الموضوع اختلافا شديدا ، فأما الشباب فيكره هذا الرجل كرها عنيفا لأنه ثقيل النفس بغيض ، غليظ الحديث ، بخيل شديد الأثرة • وأما الشيخ فلا ينظر الى شيء من هذا كله ، وانما ينظر الى أن هذا كان مصدر ثروته ، وما هو فيه من نعيم • وأما الأم فتتوسط بين الشيخ والشباب ، ولهذا يتخذها الشيخ حكما كلما اختلف مع بناته في أمر هذا الرجل • يتخذها حكما في كل يوم ، لأن هذا الخلاف يتجدد في كل يوم • وهي تعيد في كل يوم صيغة بعينها يحبها الشيخ ، فهو يستعيدها ، ويضحك منها الشباب ، فهو يستعيدها أيضا ، وهذه الصيغة تختصر تاريخ الأسرة التي كانت فقيرة معدمة ، ولكنها

شريفة عاملة ، حتى نفى هذا الرجل الغنى زعيمها ، فطلب اليه أن يدير معملا له ، فقبل ، ووفق فى عمله ، فأصبح شريك رئيسه ، وأخذ يكون لنفسه ولولده ثروة لا بأس بها · واذن فهو مدين لشريكه بالثروة ، ولكن شريكه مدين له بالنجح · واذن فليس لأحد منهما على صاحبه فضل ·

كل هذا يعرض عليك تاريخ الأسرة وما بين أعضائها من حب وألفة ، وماتستقبل به الحياة من سعادة قوية وأمل مبتسم ، ولا سيما بعد ما لقيت من ضيق وعناء · ولكن شيئين آخرين يجب أن تعلمهما : الأول أن هذا الشيخ مريض تظهر عليه آثار علة خفية، وهو يجاهد هذه العلة ويريد أن يمضى فى عمله وفى تكوين ثروة ضخمة لبنيه ، فهو لا يكتفى بنصيبه من المعمل وانما يشترى أرضا ويقيم عليها دورا ، وكل هذا العمل يجهده ويضنيه · وأهله قلقون مشفقون · واسمع الى ثانية بناته تلومه فى رفق ولطف ، لأنه لا يعنى بصحته فلا يستريح ، ولا يعرض نفسه على الطبيب

الثانى أن صغرى هؤلاء الفتيات قد خطبت وتمت خطبتها ، وهى سعيدة ، وأمها راضية ، ولكن الشيخ غير مطمئن لهذه الخطبة ولا مبتهج بهذا الزواج ، وهو لا يميل الى صهره الشاب ولا الى أمه الأرملة الفقيرة ، ولكنه لا يستطيع أن يعلل هذا النفور · وهو الآن يريد أن ينصرف الى عمله ، ولكنه يحب بناته ، ويحب زوجه ، ويحب حياة الأسرة هذه ، فهو يتردد فى الخروج ، ويدعو ابنته الى أن توقع له لحنا على البيانو فتفعل · وقد دخل الغلام ، فاذا الشيخ يلقاه بهذه اللهجة التى امتاز بها الآباء الفرنسيون ، لهجة التعنيف يملؤه العطف والحنان ، واذا الرجل يمازح ابنه ويداعبه فى حرية ورضا ، واذا هو يضع فى جيبه النقود وان كره الغلام ، واذا هو يبيح له أن يلهو كما يشاء على أن يكون شديد الاحتشام اذا دخل البيت حتى لا يظهر أخواته من سيرته على شىء ، واذا هو يعرض نفسه على ابنه ليكون مشيره وناصحه فيما يعترض له من الصعاب ، واذا هو بعد ذلك قد استحال الى الجد فهو

يعلن الى ابنه أن أمد هذا اللهو سيكون قصيرا ، وانه سيستعين به فى أعماله الكثيرة · وانظر الى هذا الشيخ قد جمع بنيـــه وامرأته فقبلهن جميعا ثم مضى لعمله ، وأخذت الأم تأمر بناته أن يتهيـأن للعشـــاء ، ويتخذن زينتهن لاستقبال المدعوين فخرجن ، ولكنها تدعو صغرى بناتها فتزجرها فى لطف وتنذرها فى حنان لأنها تسرف بعض الاسراف فى مداعبة خطيبها وتتجاوز حدود اللياقة ، وأمها لا تسمح بهذا ولا ترضاه· ولاتكاد تخلو هذه الأم الى نفسها حتى يستأذن عليها الخادم لزائرة فتأذن ، وتدخل هذه الزائرة وهى « مدام دى ســـان جنيس » أم الخطيب ، قد أقبلت ولما يأت ميعاد العشاء ، وهى تعتذر ثم تأخذ فى الحـديث ، فما أسرع ما نفهم نفسيتها ، وما أسرع ما نبغضـــها ونسخط عليها ، وما أسرع ما يزداد حبنـا لهذه الأسرة الطاهرة الوادعة البريئة · ولا تكاد هـذه الزائرة تتحدث حتى نشعر بأنها امرأة مـــادية غالية فى الطمـع لا تتردد فى الطرق التى توصلها الى الثروة · قد عرفت الناس فساء ظنها بهـم واشتد ازدراؤها لهم ، فهى تستغل نقائصهم لا أكثر ولا أقل · اســـمع اليها تلوم صاحبة البيت لوما شديدا لأنها لا تتقرب من شريك زوجهـا ولا تتلطف له ، مع أن هذا الشريك متقدم فى السن ضخم الثروة لا وارث له · أليس من الخير أن يتملق ويخدع لعـــله يوصى بثروته كلها ، أو بعضها لهذه الأسرة ؟ أما صاحبة البيت فتظهر نفورا شديدا من هـــذا الطمع والخداع ، ثم تقول لزائرتها انها لا تستطيع أن تسلك مثل هـــذه الطرق ، ومع ذلك فأنت حرة فى سلوكها بعد زواج ابنينا ! لعل هـــذا الشيخ يختص الأسرة الجديدة بعطفه ومودته وميراثه ·

وقد دخل الخادم فاستأذن لمعلم الموسيقى ، فيدخل وتنصرف المرأتان وتأتى كبرى الفتيات ، فلا تكاد تتحـــدث الى أستاذها حتى نعلم أنها موسيقية لها حظ من البراعة ، فهى تضـــع الألحان الموسيقية ، وقـــد وضعت لحنا تودع به أختها العروس ، وحتى نحس أن أسـتاذها يعجب بها ويتملقها وكأنه يريـد أن يداعبـها · ولكن صاحبة البيت وزائرتها وسائر أعضاء الأسرة قد اقبلوا ، وأخـــذ المدعوون يقبلون واحدا فواحدا

حتى اكتمل عددهم ، وهم يتحدثون فى لهو ولعب وبهجة ، ولكن الخادم قد دخل وهو يهمس فى أذن سيدته ، ثم يتبعه رجل آخر فدخل وطلب الى السيدة أن تنحى بناتها فتفعل ، واذا هـذا الرجل هو الطبيب قد أقبل يعلن اليها أن زوجها أصابته السكتة فمات ، وهذه جثته تحمل ..

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى البيت نفسه ، وقد مضى شهر أو نحو شهر على هذا الحادث . وكل شىء فى هذا البيت يدل على الحـزن والأسى . ونحن نرى صاحبة البيت لا تستطيع أن تكف دموعها ، وهى تتحدث الى زائرتها « مدام دى سان جنيس » فتشكو وتلح فى البكاء ، وهذه الزائرة تتكلف تعزيتها وتسليتها تكلفا ، فهى لم تأت لهـذا ، وانما أقبلت لشىء آخر . أقبلت لتعرف الحال المادية لهذه الأسرة بعد أن فقدت زعيمها ، وهى تنصح لصاحبة البيت أن لا تثق بشريك زوجها ولا بمحاميه ولا بمهندسه . فترتاع المرأة لهذا كله ، ولا تفهم مصدرا لهذه النصيحة الغريبة ، ذلك لأنها امرأة طيبة القلب شريفة ، ترى أن الناس جميعا مثلها أخيار أطهار . ولكن زائرتها لا تذهب هذا المذهب ولا ترى هـذا الرأى ، وهى تلح عليها فى أن تكون سيئة الظـن بالناس جميعا ، وتذكر لها أنها انما تلح عليها فى هذا مخلصة ناصحة ، فهى امرأة ، ومن الحق عليها أن تعين امرأة مثلها . وهى لا تلتمس نفعا من هذا النصح ، فقد يظهر أن زواج ابنيهما لن يتم ، وذلك لأن هـذا الزواج كان مشروطا بشروط مالية لم يصبح تحقيقها يسيرا ، وهى لا تستطيع أن تعرض مستقبل ابنها للخطر والضيق . فلا ترى صاحبة البيت جوابا الا أن تقول لها : كما تحبين . وقد خرجت هذه الزائرة ، ودخل « تسيبيه » شريك زوجها ، فاذا هى تلقاه بمثـل ما لقيت به زائرتها الأولى من الجزع والبكاء ، ثم يتحدثان فى أمر الميراث . وهنا يظهر بعض ما خبأت الأيام من البؤس لهذه الأسرة التى كانت سعيدة مغتبطة . كانت هـذه الأسرة تقدر أنها غنية حسنة الثروة ، ولم يخطر لها بعد أن مات زعيمها أنها ستلقى عنتا أو شدة . ولكن هـذه المرأة لا تكاد تتحدث الى شريك زوجها حتى تسمع نكرا من الأمر ، وحتى تقدر شرا كثيرا : أليس هذا

الرجل ينبئهـا بأن ميراث زوجها ليس شيئا يذكر ، وبأنـه ترك ديونا تكاد تستغرق الثروة وبأنه مضطر الى بيع المعمل ، وبأنه ينصـــح لها أن تبيع الأرض ، وبأن صفوة ما سيبقى لهذه الأسرة من الثروة لا يكاد يبلغ خمسـين ألف فرنك ! سمعت المرأة هذا فصـعقت له وأصـــابها شيء من الوجوم أخـــرجها عن طورها ، فاذا هي تنهـــــر الرجل وتتركه مزدرية ساخطة ، والرجل مغضب ولكنه شرير ، فهو يتحدث الى نفسه ، بما نفهم منه أنه قد دبر العبث بهؤلاء اليتـامى واغتيال هـــذه الثروة ، وقد تم الاتفاق على ذلك بينه وبين المحامي ، ولكنه لا يخلو الى نفســـه طويلا ، فقد جاءت « مارى » وهي الفتاة الثانية من فتيات هـذه الأسرة ، وأخذت تهدئه وترضاه وتعتذر عن أمها وتتوسل اليه ألا يأخذ هـــذه المرأة الحزينة بما يضطرها اليه حزنها من الضجر وضيق الصدر • وقد وجدت هذه الفتاة سبيلا الى قلب هذا الوحش ، فهو يرق لها ويظهـر الميل اليها ، وقد استطاعت أن تظفر منه بالعفو عن أمهـا ، وأن تبعثه الى حيث هي ليزول مابينهما من خلاف فيجيبها الى ذلك ، وقد اشـــتد إعجابه بها وميله اليهـا • وينصرف الى أمها • ولا تكاد الفتـــاة تخلو الى نفسها حتى تدخل عليها أختها الصغرى ، فتتحـدثان ، واذا جزعهمـا عظيم ، ولكن الصغرى لا تخلو من عزاء فهي تفـكر في زواجـها ، وهي تنتظر هذا الزواج ، فاذا عرضـــت أختها بأن هذا الزواج قد يكون عسيرا أظهرت الفتاة ايمانا بالمستقبل وثقة بخطيبها ، ثم أظهرت حرصها على هذا الزواج في ألفاظ لا تفهمها أختها لأنها بريئة طاهرة ، أما نحن فقد فهمناها حق الفهـم ، وعرفنا أن هذين الخطيبين قد تجاوزا الحدود في صلتهما ، وأن الزواج قد أصبح أمرا محتوما • وقد أقبـــل المحامي ثم أقبلت الأم وشريك زوجها ، وأخـذ الرجـلان يقنعـان المرأة بوجوب بيع المعمل وبيع الأرض أيضا • والمرأة تقاوم وتمـانع ، ولكن الرجلـين أقوى منها حجة وأشد منها مهـــارة ، وهما يمثلان لها ميراث زوجها عبئا مثقلا بالديون • ودخل المهندس فأراد أن يدافــع عن المرأة وعرض طريقة تضمن لها الثروة • ولكن الرجلين حاوراه حتى كان بينهم خصـــام

عنيف ، وانصرفوا جميعا وقد تركوا المرأة وبناتهـا يضطربن بين يأس منكر وتردد شديد ..

فاذا خلا النسـوة الى أنفسهن تشاورن فى الأمر ، ولكنهـن ضعاف لا يفقهـن تدبير الثروة ولا يعرفن مواجهة الصعاب . وهـن مختلفات يقلبن الأمـر ظهرا لبطن ، واذا الخادم يحمـل اليهن كتبا يقرأنهـا ، فاذا كلها تطالب بديون ، واذا هن واجمات ينظر بعضهن الى بعض دون أن يستطعن الكلام ...

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى البيت نفسـه وقد مضت أسابيع على ما مر فى الفصل الماضى ، ونحن نرى أم الخطيب تتحدث الى الخادم ، فنفهم من حديثهما أنها أقبلت لترى خطيبة ابنها ولكنها ستنصرف لأن هؤلاء السيدات لسن وحـدهن وانما يتغدى معهن « تسـييه » . فاذا انصرفت وأقبل السيدات وأقبل معهن الرجل وتحدثوا عرفنا أن الصلات حسنة بين هذا الرجل وهؤلاء النسوة وأنه يكثر التردد عليهن دون أن تتقدم أمور الميراث ، فهو فى الوقت نفسه يميـل الى الفتاة ولكنه يريد أن يغتال التركة : هو رجل عملى يريد أن يظفر بالمـال واللـذة فى غـير مشقة ولا خسارة ، وهن محتاجات الى المال وقد أثقل الدائنـون عليهـن وبالغوا فى الالحاح ، وهن لا يجرؤن أن يطلبن الى هـذا الرجل معونة أو قرضا ، وهن يشعرن بأن هذا الرجل يحب احداهن فيكلفن هذه الفتـاة أن تطلب اليه هذا القرض فتفعل بعد جهـد ، ويقبل الرجل طلبها هـذا متبرما به كارها له . وينصرف ليأتى بهذا المقدار من المال فالنساء فرحات مطمئنات ، ولكن المحامى قد أقبل وهو يحمل أنباء سيئة ويلح فى بيـع الأرض لأن الدائنين الراهنين يلحون فى استيفاء ديونهـم ويريـدون الاستيلاء على رهونهم . ومهما تحـاول الأم فلن تجد مخـرجا من هذا الضيق الا التسليم ، والمحامى يذكرها بفقرها وحاجتهاالى المال ، فاذا ذكرت له انها قد اقترضـت من شريكها لامهـا وانبأها أنه يستطيع أن يقرضها ماتشاء حتى تتم تصفية الميـراث اذا كانت قروضها معتدلة . وقد عاد « تسييه » بالمال وخلا الى الفتاة فدفعه اليها وأخذ يداعبهـا

مداعبة الشيخ البخيل الحريص ، والفتاة جاهلة ، فلما فهمت ، أخـــذت تدافعه عن نفسها ، واذا هو يعرض عليها صفقة منكرة واذا الفتاة مغضبه أبيـة ترد اليه ماله وتطرده طردا عنيفا . ولكن فى هـذا الفصل موقفا هو من أشد مواقف القصـــة تأثيرا ، وهو هـذا الموقف بين الخطيبـة وأم خطيبها . كانت هذه الخطيبة مؤمنة بصاحبـها واثقة به معتمدة عليه وكانت تعلم أن أمـــه تمانع فى هـــذا الزواج ولا تشـــك فى أن الفتى سينتصر على أمه . وقد أقبلت هذه الأم واذا هى تنصح للفتاة أن تعدل عن هذا الزواج وتحذرها الفقر والفاقة وماينشأ عنهما من ســوء العشرة بين الزوجين ، والفتاة تذكر حبها وتعتز به وتذكر الثقة بخطيبها وتلـح فيها حتى يشتد الخصام بينهما ، فاذا الفتاة عنيفة مرة ، رقيقة مرة أخرى ، تجتهد وتبكى ثم تنذر وتوعد ، ثم يأخذها الغضــــب فتعلن الى المرأة ما كان بينها وبـين الفتى ولكن المرأة لا ترق ولا تلين وانما تنبئها بأن ابنهـا انصرف عن حبه وأذعن لأمـــه ، وتنصرف وقد تركت الفتاة فى ذهـول ما أسرع ما استحال الى جنون وأهلها يحطن بها يردن أن يحملنها الى السرير .

* * *

فاذا كان الفصـــل الرابع فقـد تم كل شىء ، وظفر الشريك والمحامى بما كانا يريدان من اغتيـــال ثروة هؤلاء اليتامى . واضطـرت هذه الأرملة وبناتها الى أن يتركن بيتهن الفخم ويأوين الى بيت متواضع عليه مظاهـر البؤس والفقر ، وقد اتصل الغلام بالجيش ، وجنت الخطيبـة جنـونا متقطعا ، وأخذت المرأة تعيش مع ابنتيها الرشيدتين عيشة ضيق لا بد من أن تنتهى الى الاعدام . وكبرى بناتها تلتمس عملا لتكسب منه حياتها وحياة أمها وأختها ، تريد أن تعطى دروسا فى الموسيقى ، فلا تلبث أن تعلم أن هـــذا مستحيل لأنها ان كانـت شريفة أكبرهـــا الناس دون أن يستأجروهــــا ، وان كانت لعوبا استأجرهـا الناس ولم يكبروها . تريد أن تتصل بملعب من ملاعب الموسيقى ، فيظهر لها أن هذا مستحيل الا أن تنزل عن عفتها وكرامتها . وهى حائرة محزونة ، تتحدث الى أختـها « مـارى » وليست أختهـا أقل حيرة ولا حزنا منها ، فهى أيضــا تريد أن تعمل ، وقد التمست ألوانا من العمل فلم توفق لشىء الا أن تعرض

عفتها وكرامتها للخطر ..

ما أشق الحياة على المرأة الوحيدة ؟! على أن فى الجو شيئا يدعو الى الأمل ، ولكنه ثقيل بغيض لا يطاق : هذا الشريك الذى مازال بهؤلاء اليتامى حتى ابتز ثروتهن واضطرهن الى هذه الحياة المنكرة ، هذا الشريك كلف بالفتاة يريد أن يتخذها له زوجا . ألم يظهر حبه لهـا واعجابه بها فى غير موقف ؟ ولكنه شيخ وهو دميم ، وهو ثقيل بغيض الى النفس ، والفتاة لا تكرهه بل تعافه ، فماذا تصنع ؟ أترفض هذا الزواج ؟ واذا فهو الفقر والاعدام وما يتبعهما من ألم . وما تصنع بأمها ؟ أتكلفها العمل لتعيش ؟ وماذا تصنع بأختها المريضة وقد تزوج خطيبها ؟ أتضيف الى حزنها ومرضها ألم الجوع ، أم تقبل هذا الزواج واذا فهى الحياة المنكرة مع رجل تعافه ! واذا فهو ألم المرأة التى تبيع نفسها لتعيش ! واذا فهو ألم المرأة النبيلة الفقيرة حين تسمع الناس يتحدثون بأنها انما اقترنت بهذا الشيخ طمعا فى ثروته .. الفتاة تضطرب بين هذه الخواطر ! ولكن انظر الى هذه الأسرة كلها قد اجتمعت الى مائدة حقيرة تتناول طعاما غليظا فى صمت وخشوع واذعان للقضاء . ماذا تصنع الفتاة ؟

أتقبل هذا الزواج فترفه على هؤلاء النسوة التعسات ، أم ترفضه فتعرض نفسها وأهلها لذلة الفقر وما يتبعها ؟

دخل المحامى وهو يلح على الفتاة أن تقبل ، وهو يرغبها ، وهو يكشف لها أستار المستقبل عن النعيم ان قبلت وعن الجحيم ان أبت ، وهو يذكر أمها الشيخة ، وأختها المريضة ، والأم تأبى وتلح على الفتاة أن ترفض . ولكن المحامى قد ذكر التضحية ، وذكر أن أباها الشيخ قد مات لتنعم أسرته ، أليس فى هذه الأسرة من يألم لتسعد هذه الأسرة ؟ بلى ! ان فيها هذه الفتاة فهى تقبل الزواج . وانظر الى هذا الشيخ الدميم البخيل الهرم قد أقبل فرحا يقبل فريسته كما كان اله الفينقيين يلتهم ضحاياه البريئة والفتاة مبتسمة مذعنة !

أليس من الحق أن هذا الرجل وأمثاله هم الغربان يتبعون الموتى فلا يدعون من آثارهم شيئا صالحا الا أتوا عليه ! ..

كتابنا القادم

عذارى الليل

بقلم

محمود البدوى


الإغواء
قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي
شارل ميري

ولولا أني خشيت الاغراب أو الغموض لوضعت لهذه القصة عنوانا غير هذا هو التسويل ، فهذه الكلمة تترجم العنوان الفرنسي ترجمة دقيقة حرفية . ولكنى أقرأ فى قاموس الفيروزابادى : سولت له نفسه : زينت ، وسول له الشيطان : أغواه . فليكن عنوان القصة الاغواء ، وليكن هذا الاغواء قد صدر عن النفس أو عن الشيطان ، فالامر سواء . وما أحسب الا أن لكل نفس من أخلاقها وأهوائها وعواطفها شياطين يغوونها ويدفعونها الى الشر ، وملائكة يرشدونها ويحببون اليها الخير . ولقد كنت حين بدأت أقرأ هذه القصة أعتقد أني سأحمدها لك فى غير تحفظ ، وسأثنى عليها فى غير حيطة ، ولكنى لم أكد أمضى فى قراءتها حتى حسبت أن الكاتب لم يصل بعد من فنه الى هذه المنزلة التى يحمد فيها دون تحفظ وانما هو فى سبيله الى هذه المنزلة .

أنت تعرف هذا الكاتب ، فقد حدثتك عنه يوم لخصت لك قصته المعروفة « الأمير جان » ولعلك تذكر أني أشرت فى مقدمة هذا التلخيص الى أن عناية كاتبنا هذا منصرفة الى الحركة والعمل أكثر من انصرافها الى الرأى والتفكير ، فهو يريد أن يؤثر فى النظارة بمؤثرات خارجية تصل الى نفوسهم من طريق الحس ، لا بهذه المؤثرات الداخلية التى تنشأ فى طيات النفس وأعماق الضمير . أريد أنه يكلف الممثلين ضروبا من الحركة وألوانا من الاضطراب ، وينقل الملعب من مكان الى مكان ، ويكثر من الأشخاص ومن أحاديثهم وينوع أخلاقهم وصفاتهم ، ويفاجىء النظارة بما لم يكونوا ينتظرون ، فيملك حسهم ويبهرهم ، ويصل من هذا كله الى ما يريد من تلهيتهم وتسليتهم دون أن يصل الى شعورهم العميق . هو متصل بحسهم وبهذه الكلمات التى تمكن الانسان من أن يلهو لهوا هادئا لا يثير فى نفسه حزنا ولا يبعث فى قلبه أسى . هو يضمن للنظارة أن ينفقوا فى الملعب ساعات حلوة لا يشكون فيها مللا ولا سأما ، ولا يفكرون أثناءها فى أنفسهم ولا فيما قضوا يومهم فيه من خير أو شر ، ولكنه يضمن لهم اذا خرجوا

من الملعب ، أن يخـــرجوا منه كما دخلوه لا محزونين ولا مكتئبين ولا محتاجين الى أن يفكروا فيما رأوا أو سمعوا ٠

قلت لك هذا أو شيئا يشبهه في العام المـاضي ٠ فلما عـرفت أني سأتحدث اليك عن الكاتب نفسه في هذا الأسبوع خيل الى أن سيكون الأمر هينا ، لأنك تعرف الكاتب ، فلم يبـق لى الا أن ألخص قصـته ٠ ثم أخذت في قراءة القصة فتغير رأيي فجأة تغيرا يوشك أن يكون تاما لأني رأيت الكاتب نفسه قد تغير : لا يهمل الحركة واضطراب الممثلين ولكني رأيته يؤثر عليها الفكرة ويريد أن يتصل في هذه المرة بعواطف النفس ودخائلها ، ثم مضيت في قراءة القصة فتم اقتناعي بأن الكاتب قد تغير مذهبه ، ولكنه لم يتغير تغـيرا تاما ، فهو محتفظ بحبه للحركة واسرافه فيها ، ولكنه قد أضاف الى حبه للحركة هذا شيئا آخر جديدا ٠ واذا ففنه يتطور ولكن في بطء ٠ وأكاد أثق بأن القصص التي سيقدمها لنا في الفصل المقبل ستكون أقل حظا في الحركة والاضـطراب ، وانـه سينتهي الى العـدول عن هذا الفن الشاب المسرف في النشاط الى فن آخر هادىء رزين فيه تذكير وفيه نفع وفيه عناية بالعقل والشعور ٠

والحق أني لم أبرأ من الأسـف حين فرغت من قراءة هذه القصـة فأنت تعرف رأيي ، وتعلم أني أوثر من قصص التمثيل مايجـد العقـل والشعور فيها معا لذة ورضا ، وأكره من هذه القصص مايتصل بالحس وحده ويكاد لا يقصد الا الى العبث وانفاق الوقت ٠ وكنت أقـدر بعد أن قرأت الفصل الأول والثاني أني بازاء قصـة رأى وتفـكير ، وكنت معجبا بموضوع القصة وبهذه الفكرة التي أراد الـكاتب أن يستغلها ، وكنت أريد ألا يشغلني الكاتب بحركته واضطرابه عن هذه الفكرة وعن أطوارها وعن آثارها ونتائجها ، فلم أظفـر من ذلك الا ببعض ماكنت أريد ٠ ولقد أجد النقاد يذكرون صلة بين هذا الكاتب وبين كاتب آخر حدثتك عنه في العام الماضي غير مرة ، وهو « هنري باتاي » وربما كان بين الكاتبين شيء من الشبه غـير قليل ، ولـكن من الخير ان تحدد هـذا الشبه ان كان الى تحديده سبيل ، فنلاحظ قبل كل شيء أن الكاتب الذي

نحن بازائه اليوم يشبه « هنرى باتاى » من حيث انـه يعبث بالنظارة ويستأثر بحسهم ويلهيهم كما يريد دون أن يتيــــح لهـم من الــوقت ما يمكنهم من الأناة والتفكير وكشف القناع عن حيله وألاعيبه الفنية · هو مسرع يعدو فيعدو وراءه النظارة حتى تكاد تنقطع أنفاسـهم · وهو بارع فى هذا العدو ، يلهى نظارته فلا يحســـون ألما ولا تعبا ، ويصرفهـم عن أنفسهم الى فنه · ولكن الفرق عظيم جدا بينه وبين « هنرى باتاى » فلم يكن هنرى باتاى عابثا لاعبا ليس غير ، وانما كان شيئا آخــر · وســواء أرضيت الأخـلاق والفلسفة عن تمثيل هنرى باتاى أم سخطت عليه ، كانت قصصـــه كلها أو أكثرها تجارب علمية نفســـية · ذلك أنه لم يكن يعبث بالحس وحده ، وانما كان يعبث بالعــواطف والشعور أيضا ، ولم يكن يريد أن يلهو ولا أن يلهى ليس غير ، وانما كان يريد شــيئا آخر · كان يريد أن يثير الحس والعاطفة ما استطاع ليعرف أقصى ما يمكن أن ينتهيا اليه · ومن هنا لا تستطيع أن تخرج من الملعب هادئا مطمئنــا كما دخلته ، وانما أنت متأثر شديد التأثر بما رأيت وسمعت · ينقضى الليــل وربما انقضى اليوم أو الأيام دون أن ينقضى هذا التأثر · ذلك شيء تجده فى « هنرى باتاى » ولكنك لن تجـده فى كاتبنا هذا · واذا فليس الشبه بينه وبين صاحبه قويا ولا عميقا ، وانما هو شـــبه عرضى ان صح هذا التعبير ·

وقد يكون من الخير أن أبدأ فى تلخيص هذه القصة ، ولكنى ألفتك قبل كل شيء الى أن هذا التلخيص سيكون موجزا ، لانى لن أتابع الكاتب فى حركته واضطرابه ، فقد تكون متابعة الكاتب فيها لذيذة فى الملعب دون التلخيص ·

* * *

نحن فى ضواحى مدينة جنيف ، فى فندق هناك من فنادق الترف ، وقد أقبل المســاء أو كاد ، وأخذ الناس يجلســون فى طنف الفنـــدق يتناولون الشاى وما اليه مما يتناول فى المساء · ونحن نرى فى ناحية من هذا الطنف رجلين قد جلسـا الى مائـدة يتحدثان ، ونرى قريبا منهما

رجلا وامرأة يهمســـان وكأن الأمـر يعنيهما • فلنعـرف هؤلاء الأشخاص جميعا • أما أحد الرجلين فهو « موريس برونو » شاب ، ضـخم الثروة عظيم النشاط ، يعمل عامه كله فى غير راحة ولا هدوء ، حتى يجهـــده العمل فيفر من باريس الى حيث يستريح أسابيع • وهو شـــديد الحياء يضطـرب لأقل شيء ، قليـل التجربة ، ولعـــل هذا هو مصـــدر حيائه واضطرابه • وأما صاحبه فهو « لوثار » صديق له من هؤلاء الناس الذين تظهر عليهم آثار النعمـــة ويسيرون فى الحياة سيرة المترفين ، ولكنهم فى حقيقة الأمر فقـــراء لا يستمدون نعمتهم أو ترفهم من ثروة يرثونها أو يكسبونها ، وانما هم عيال على أصدقائهم الأغنياء ، يعتمدون عليهـم ويعيشون منهم • وهم لا يريدون أن يؤمنوا بهذا ولا أن يظهروه ، وانمـا هم يخفونه حتى على أنفسهم ، بل يخفونه حتى على أصـــدقائهم هؤلاء ، فهم يأخذون من أصدقائهم ما يحتاجون اليه لا على أنه هبة أو عطاء ، بل على أنه قرض ، وهم يقترضون فى تمنع واباء وفى عزة تكاد تكون طبيعية ، حتى ان الذين لا يعرفونهم يجهلون من أمرهم كل شيء •

وأما المرأة فهى « ايرين دى برج » ، لم تبـلغ الثـلاثين بعد • رائعة الجمال كأكثر نساء القصص • كل شيء فيها حلو خـلاب : صـورتها ، حركاتها ، ألفاظها ، زيها ، مذهبهـا فى الحـوار أو الكلام ، هى فتنـــة تتحرك • نشأت من أسرة متوسطة ، من أبوين يؤثران المنفعة على كـل شيء • وقد أتيح لابنتهما خطب شريف ضـخم الثروة ، فقبلاه ودفعـا اليه الفتاة دفعا دون أن يحفـــلا بعواطفها وهوى نفسها • وكان هـوى نفسها هذا مع شاب آخر كان صديق صـباها ، فأحبهـا وأحبتـــه ، وخطبها وقبلته • ولكن أبويها رفضا ، لأن هـذا الشاب لم يكن نبيــلا ولا غنيا بحيث يلائم جمال ابنتهما من جهة ومطامعهما من جهة أخرى • وهذاالشاب هو « روبير جوردان » وهو محام قد عظم أمره وبعد صوته فى محـاكم الجنايات ، وهو الذى يتحدث الى هذه المرأة الآن • قد افترقـا أعواما ثم التقيا • فاذا حبهما على عهـده القـديم لم يتغـير ، وان كانت المرأة تظهر لزوجها عطفا ومودة وتضمر له وفاء وبرا • هى لاتحب زوجها وهى تعلم أن زوجها لا يحبها ، بل تعلم أنه يخونها ويسرف فى خيانتها ،

ويبدل من الأخدان والخليلات كما يبدل ثيابه ، ولكنها مع ذلك وفيه أمينة لأنها تكبر نفسها عن الخيانة ، وتضن بجسمها أن يكون متعة لرجلين ، وتأبى عليها كرامتها أن تختلس لذتها وسعادتها اختلاسا . هذا شأنها .

أما صاحبها فما زال يحبها ، ولكن هذا الحب لم يكلفه رهبانية ولا نسكا ، فهو يستمتع بالحياة ويتخذ الأخدان والخليلات لينصرف اليهن عن همه وعن حزنه ، ولكنه الآن قد لقيها فامتلأت بها نفسه وانصرف أو كاد ينصرف عن خليلة له كان قد أطال عشرتها . فلندع هذين العاشقين في حديثهما ، ولنعد الى الرجلين اللذين تركناهما آنفا لنرى فيم يتحدثان . يتحدثان في شيء طبيعي جداً ، وهو أن الشاب رأى هذه المرأة فوقعت من نفسه ، فهو يذكرها ، ويلح في ذكرها وتفصيل جمالها ، ويسأل عن مكانتها الاجتماعية ، وصاحبه يؤيد له أنها فتاة من هؤلاء الفتيات اللاتي يختلفن الى الفنادق والأندية يلتمسن الأخلاء ، وقد رأى كلف صاحبه بها ، فهو يهون عليه الأمر ويعلن اليه أنه سيقدمه اليها . وهما في هذا الحديث واذا المرأة وحدها ، لأن صاحبها قد تركها كأنه مغضب ، فينهض الرجل اليها فيحييها كما تحيا الفتيات اللائي لا كرامة لهن ، ويعرض عليها صاحبه الشاب ، ويذكر لها ثروته وأخلاقه ومكانته ، كل ذلك في غير حيطة ولا تحفظ . والمرأة تسمع هذا كله ضاحكة مغرقة في الضحك ، ثم تقبل أن يقدم اليها الشاب . فاذا قدم اليها ازدادت ضحكا واغراقا في الضحك ، واضطرب الشاب اضطرابا شديدا ، فلم يزدها اضطرابه الا ضحكا . وهم في هذا الضحك ، واذا جماعة قد أقبلوا عليهم فيهم زوج المرأة ، فتقدم المرأة زوجها الى هذين الرجلين اللذين أدركهما خجل شديد ، ثم تعلن اليهم أنها رأت هذين الرجلين في باريس وتحدثت اليهما ، ولكنهما نسياها ، أما هي فلم تنسهما . ولست أحدثك عن خجل هذين الرجلين وما تبعه من حركات مضحكة لا يتسع هذا الفصل لمثل هذه الأشياء التي تلذ في الملعب دون التلخيص كما قلت . بل لست أحدثك عن حركات

هؤلاء الناس جميعا ، فهم في اضطراب متصل يتنقلـون من مكـان الى مكان ، ويدخلون الى الفندق ويخرجون منه · وأنا أنتهـز فرصة خلت فيها المرأة الى صديقها روبير فهما يتحدثان بمـا قـدمت لك من حب · وهو يلح عليها فى أن تسمح له ، وهى تأبى عليه اباء شديدا ، ثم تقسم له أنها لن تكون لغيره · فاذا استوضحها أنبأته بأنها اذا برئت ذمتها من زوجها فلن تتزوج الا اياه · والفتى ساخط على هذا الوعد الذى لا يقـدم ولا يؤخر ، فقد ذكر لها الطلاق فرفضته رفضا شـديدا ، لأن أبويهـا يكرهان الطلاق ، وذكر لها الخيانة فرفضتها رفضـا شـديدا لأنهـا تزدرى الخيـانة · واذا فلم يبق الا أن ينتظرا قضــاء الله ، وما أسرع ما يتم هذا القضاء ! ·

أقبل القوم جميعا وأخذوا فى أحاديثهم المتصلة المختلفة ، واذا زوج « ايرين » يطلب الى صديقها روبير أن يعيره سيارته ليهبط المدينة لأن له فيها حاجة معجلة · ونفهم نحن من الحوار بين الرجلين أن الزوج انما يهبط المدينة ليلقى خليلة له ، وهو انما يستعير سيارة صاحبه ليترك سيارته لامرأته ان أرادت أن تخرج ، وهو شديد الحرص على أن يكون وحـــده ، ولكن روبير يأبى الا أن يرافقه لأنه وحده يحسن قيـــادة سيارته ، وقد اتفقا آخر الأمر عـلى أن يهبطا المدينـة معا ، ولم يبق عندنا ولا عند « ايرين » وصـديقها شك فى أن الزوج ذاهب الى موعد منكر · وقد خرج الرجلان وبقيت الجمـاعة فى أحاديثها المتصلة ، وأخذت فى ألوان من اللعب لانفـاق الوقت ، ومضت على ذلك لحظات ، واذا خادم من الفندق قد أقبل فدعا احد الرجال وخلا اليه ، وأقبل هذا الرجل فدعـا الآخرين بعضهم الى بعض وأخذوا يتحدثون ، والنساء لاهيات عنهـم باللعب ، و « ايرين » خاصة منصرفة عنهم انصرافا تاما ، لأنها معصوبة العينين تتلمس رفيقاتها بيديها وتريد أن تدل عليهن دون أن تراهن · ولكن حديث الرجال قد طـال ووصلت أطراف منه الى النساء ، فالتفتن ثم أقبلن ، ثم ظهر الأمر منكرا وأزيل الغطاء عن « ايرين » فمـا كادت ترى وتسمع حتى أغمى عليها ، ذلك أن زوجها قد خرج فى السيارة مـع صاحبه ، حتى اذا كانا فى بعض الطريق نزل صاحبه من السيارة ليتحدث

الى رجل ، فانتهز الزوج هذه الفرصة وطار بالسيارة ، لأنه يريد أن يكون وحيدا فى موعده ، وأخذ صاحبه يعدو وراءه يستوقفه ولكنه أسرف في السرعة ، واذا هو أمام هوة لم يحسن اتقاءها فتردى فيها وهو الآن يحمل الى الفندق .

كان هذا كله في جنيف وقد مضت عليه سنة أو أكثر من سنة ، ونحن الآن فى مدينة « كان » فى جنوب فرنسا ، في قصر فخم لأحد الذين حضروا ما قدمت في الفصل الأول واسمه « دى بوشان » وقد دعا هذا الرجل أصدقاءه ليقيموا عنده أياما وفيهم « ايرين » وصاحبها روبير ، وفيهم « موريس برونو » وصاحبه « لوثار » . ونحن نرى صاحب القصر يتحدث الى امرأته وابنته وهم ينتظرون أصحابهم ليذهبوا الى اللعب . وقد فهمنا من حديثهم أن الرجل وامرأته يريدان أن يزوجا ابنتهما من موريس ،وهما يلحان عليها فى أن تترضاه وأن تتحبب اليه ، وهى تفعل ماتستطيع ، ولكن الفتى منصرف عنها الى هذه الأرملة « ايرين » ، والفتى يعلم أن هذه الأرملة لا تحبه ، وانما تحب « روبير » ، وهو يعلم أنها قبلت خطبته وأنها ستقترن به بعد أشهر ، ولكنه مع ذلك يحبها ويصرفه حبه عن هذه الفتاة . وقد أقبل القوم جميعا وهموا بالذهاب الى الملعب ، ولكن روبير قد تعلل بأنه مصدوع ، وأنه يؤثر منظر البحر وجمال الطبيعة على الملعب ، فسيبقى اذا ، واذا فستبقى « ايرين » حتى لا تتركه وحده ! ولم لا ! أليسا خطيبين ! أليس من حقهما أن يخلوا الى جمال البحر والطبيعة فى ضوء القمر ، وأن يذكرا حبهما . وهما الآن وحدهما ، وهما يذكران حبهما وآمالهما . ولكن شيئا جديدا قد طرأ ، ذلك أن « روبير » قد تغير تغيرا غريبا ، فهو يحب صاحبته ، ولكنه يتقيها ويكاد يفر منها ، وهو شديد الاضطراب ولا سيما اذا تحدث اليها . وهى تحس هذا كله ، ولكنها لا تفهمه . وانظر اليهما الآن يتحدثان فى الحب حتى يغريهما الحديث بالقبل فيضمها اليه ، واذا هى قد لانت له وضعفت ، ولكنه ينصرف عنها فى نفور وتحرج . فاذا غاظها ذلك ذكر لها أنه لا يريد أن يتزوج خليعة ، وانما يريد أن تظل صلاتهما عفيفة طاهرة الى يوم الزواج . ولكن هذا لا يرضيها ، ولها الحق ،

فقد كان هـــذا الرجل يغـــريها بالخيانة قبـــل أن يموت زوجهـــا ، ولم يكن يحفل يومئذ بالعفة ولا بالطهارة ، فما الذى غير منــه الآن ؟ أبلغت به الاثرة أنه كان يريدها لنفسه حين لم يكن له عليها حق ، فأما الآن فهو يأخذها باحترام العادات والأخلاق والأوضــاع الاجتماعية ؟! هى مغضبة ، مغضبة لهذه الخواطر التى ذكرتها ، ومغضبة أيضا لأنها تحس فى نفســها بل فى جسمها شيئا من الخيبة · طمعت فى اللذة والسعادة وأشرفت عليهما ، وهى الآن ترد عنهما ردا ، ولكن صاحبها أشد بؤســا مما تظن ، فليس يصرفه عنها احتــرام الأخلاق والأوضاع ، وليســت الأثرة هى التى تصــده عن اللــذة ، ولكن بين العاشقين حــائلا منــكرا يعلمــه هو وتجهله هى ، وهو يجتهد فى اخفائه عليها ، ولــكن الظروف أرادت أن يظهر فى هذه الليلة · وهما متغاضبان وقد ذكرت أن لديهــا رسائل قد وصلت اليها ، فهى تريد أن تقرأ هذه الرسـائل ، وهى تنظــر فيها واذا واحدة منها قد ملأتها اضطرابا وذعرا ، فهى تريد أن تتحدث الى صاحبها فى أمر هذه الرسالة ، ولكنها تتردد وقد ظهر اضطرابها ، وصاحبها يسألها : ما شأنها ؟ فتخفى عليه ، ولكنها تنتهى الى أن تسأله : « كيف قتل زوجها ؟ » وهى تلح عليه فى أن يقص عليهــا الأمر مفصلا ، فيمتنع ويظهــر عليه الاضطراب ، ثم يقص عليها الأمر واذا هو متناقض يكذب نفسه غير مرة ، وهى تحصى عليه هـــذا التناقض وتلفته اليه ، فلا يزداد الا اضطرابا وتناقضا · ونحن نحس أنها تريد أن تبرئه ، ونحس أنه برىء · ولـــكنا نحن أنه لا يحسن الدفاع عن نفســـه ، وأنه ينكر من نفسه شيئا لا يريد أن يبوح به · ولكن طارئا يقــطع عليهمــا الحديث حينا ، وهو « موريس » ، فقد انصرف من الملعب لأنــه أحس صـــداعا ، وما أحس صداعا وانما أحس حبــا وغيرة · وهو يود لو جلس الى العاشقين ، ولكنهما يظهران صدودا عنه ، فيصعد الى غرفته كارها · ويستأنف العاشقان حديثهما ، فاذا هى تتهمه وهو يقسم أنه برىء ، ولكنه لا يحسن الدفاع عن نفسه واذا هى تقرأ علينــــا هــذه الرســالة التى ملأتها اضطرابا وذعرا ، وهى رسالة غفل ليس من شك فى أن خليــلة صاحبها هى التى كتبتها لتفسد هذا الزواج · وفى هذه الرسالة اتهــام

لصاحبها بالقتل ، وقد اشتد الأمر بين العاشقين وكاد العاشق يعترف بكل شيء ، ولكنه أمسك ثم فر ، واذا صاحبته تصـيح مستغيثة تدعو « موريس » فيقبل ، واذا هي قد أغمي عليها ·

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن في مدينة « بيارتز » في أحد فنادقها الكبرى ، وقد مضت أشهر على ما قدمت لك ، ونحن نرى « لوثار » قد أقبل ، ونفهم أن صديقه « موريس » قد وصل الى الفنـدق أمس ومعـه زوجه « ايرين » ، ذلك ان « ايرين » حينما استغاثت بموريس أقبل اليها وما زال بها حتى رد اليها رشدها فدعته الى أن يحميها وطلبت اليه أن يتزوجهـا وأن يسرع في الزواج فتزوجـا · وهما الآن يطـوفان في الأرض ، وقد أقبلا الى « بيارتز » بعد أن زارا بلادا مختلفة وجاء « لوثار » للقائهما ، وهو لا يلبث أن يلقى صاحبه وأن يتحدثا · فنفهم من حديثهما أنه ليس سعيدا لأن امرأته ليست سعيدة ، وهو لا يشك في أنها وفيـة أمينة تجتهد في أن تحبه وتخلص له ، ولكن شيئا يصرفها عن هذا ، وهي تخفيه عليه ، وقد أقسمت له أنها لم تسـمح لخطيبها الأول ولم تخن زوجها الأول ، ولكنها مع ذلك تخفي عليه شيئا ، ويجب أن يكون هـذا الشيء أليما فقد أنحلها وأضناها حتى أصبحت حياتها معرضة للخطر · وهو يحبها ، ويريد أن ينقـذها من هـذا الخطر ، ويبـذل في ذلك ما يستطيع · وهذه « ايرين » قد أقبلت وهي شـاحبة نحيفة محزونة يريد « لوثار » أن يضحكها فلا يصل الى شيء ، وقـد أقبلت صـديقتها تعرض عليها أن تذهب معها الى حيث الشاي والرقص ، فتظهر الرضا ، ولكن هذه الصديقة غابت عنـها حينا ثم تعـود ، واذا هي منصرفة عن الشاي منصرفة عن الرقص ، تعرض على صاحبتها البقاء حيث هما ، ثم تسر الى « لوثار » أنها رأت في قاعة الشاي « روبير » وتريد أن يعلم ذلك « موريس » ، ولكن موريس قد ذهب لبعض شأنه ، واذا « روبير » قد دخـل ، فرأتـه « ايرين » فاضطربت اضطرابا شـديدا وأخذها دوار يشبه الاغماء ، ودعي زوجها فأقبل ، وما يزال بها حتى يرد اليها قوتها

وقد عرف كل شيء ، فهو يلح على امرأته فى أن تنبئه بجليـــة الأمر ، فاذا أبت عليه اتهمها وأنذرها بأن يلقى روبير ويسـأله وهـو مستعد للمبـارزة . هنـا تكذب « ايرين » وتتهم نفسها بأنها قد كانت خليـــلة « لروبير » ، وتلح على زوجها فى أن يتجنب هذا اللقـاء وفى أن يترك مدينة « بيارتز » . ولكن زوجها يأبى ، وقد تركته ليستريح ، فلا يكاد يخلو الى نفسه حتى يرى غلاما يسرع الى غرفـــة امرأته ، وكان يخفى كتابا ، فيعرض له ويأخذ منه الكتاب قهرا ، فاذا الكتاب موجه الى امرأته وهو لا يريد أن يقرأ هذا الكتاب ولكنه يريد أن يعلم مافيه . وقد أقبل « روبير » فتحدث الرجلان وأذن له روبير فى قراءة الكتاب ، فـاذا هو كتاب برىء لا اثم فيه ، انما هو تحية واعتذار . وقد أخـذ الرجلان يختصمان ، وأخذ العنف يشتد بينهما ، لأن أحدهما يحب ويغار والآخر يحب ويحقد . ولكن « ايرين » قد أقبلت ، فمـا تزال بالرجـلين حتى يهدآ ، وقد أعلن زوجها الى صاحبه أنه يعرف ماكان بينهـما من صلة ، فيقسم الرجل ببطلان هذه التهمة ، وتعترف « ايرين » بأنها كذبت على نفسـها لانها لم ترد أن تفشى سر صاحبها ، فهى مقتنعة بأن صــاحبها قد قتل زوجها ، وهنا يظهر سر القصة . فالرجل لم يقتل زوج « ايرين » ولكنه تركه يموت . رآه وقد تردى فى الهوة وسمعه يصيح ويستغيث وكان يستطيع أن ينقذه لو أراد ، ولكنه تمثل « ايرين » حرة بعد موت هذا الرجل ، وتمثـل قسمها له وتمثـل اقترانه بها ، كل ذلك فى لحظـة قصيرة جدا ، فأبطأ عن الرجل حتى سقط ومات . واذن فهـو لم يقتـله ولكنه تركه يقتل . وهو يحس فى نفسه منذ ذلك اليوم عذابا شديدا ، وهو يرى نفســـه آثما مجرمـا ، وهو لهذا كان لا يستطيـع أن يدنو من « ايرين » ولا أن يجد السعادة فى اقترانه بها لأنه كان يتمثـل دائمـا هذا القتيل بينهما . وهو قد انصرف عن محاكم الجنايات لأنه لايستطيع أن يدافع عن المجرمين وهو مجرم ، وهو قد انصرف عن العمل كلـه لأنه مفرق النفس بين الحب واللوم ، وهو قد أقبـل يرى صاحبته للمـــرة الأخيرة ، وهو يتمنى السعادة للزوجين ويسألهما الرثاء له . اما هى فممعنة فى الانتحاب ، وأما زوجها فيصافح هذا الشقى البائس قبل أن

ينصرف ، وهو يسأل امرأته ويريد منها الجواب في صراحة واخلاص : ماذا كنت تصنعين لو أنه اعترف لك بهذا كله قبل زواجنـــا ، أكنت تتزوجينه ؟ فتجيبت : نعم ! لأنه لم يقتل ولأني أحبه .

* * *

فاذا كان الفصل الرابع ــ وكنت أود ألا يكون ــ فنحن في ضاحية من ضواحي باريس ، في قصر فخم يسكنه « موريس » وامرأتـه ، وقـد انصرفا عن مـــائدة الغداء ومعهما « لوثار » وصديقة لهمـــا وهم يتحدثون وقد فهمنا من حـديثهم أن « ايرين » ما زالت محـزونة كئيـبة ، وان « موريس » ما زال محتملا جـــادا في العناية بهـا ، وأن تتمنى أن ترزق ولدا يصرفها عن حزنها وأساها . ولكن لنتعجل فقـــد انصرف القوم جميعا وبقيت « ايرين » وحدها ، فتجلس الى البيانو وتعبث بأصابعها ، واذا الخادم قد أقبلت تنبئها بأن زائرا يريد أن يراها ، فتمتنع لأنها عرفت من هو ، ثم تأذن ، فيدخل « روبير » واذا رجل سيء الحال جـدا لا نكاد نراه حتى نصدق ما سمعنا من أنه قد انصرف الى اللهـو ، فهو يقضي الليل في الحانات ، وهو يدمن على الخمر « والكوكايين » ، وقد أقبل اليوم يعلن الى صاحبته أنه سيترك فرنسا الى مكان بعيد يجد فيه عمـلا مثمرا ومسليا . وهو يعلم أنها تحبه ، وأنهـا لا تحب زوجها الثـاني كما أنها لم تحب زوجهـــا الأول . وهـو يعـــرض عليـها السعادة ولـكنه يريـــد أن تـكون حـرة ، يعـــرض عليـــها أن تســافر معـــه ، ويذكرها حبهما وقسمها ، وانه وان يـكن أساء فقد احتمل من الألم والندم ما يكفر عن سيئته . وقد أثر فيها تأثيرا قويا ، وقد كاد يغلبهـا على أمرها ، ولكنه يريد أن تكون حرة فيما تعتزم ، فسينصرف وسينتظر في الشارع دون النافذة . فاذا فكرت وقررت أن تلحق به فلتتخـذ معطفها وقلنسـوتها ولتهبـط اليه ، واذا اعتـزمت أن تبقى ولا تراه فلتضم الأستار الى النافذة ، فسيرى هو هـــذا وسينصرف الى حيث لا تراه . قال هذا ومضى وتركهـــا مضطربة أشد الاضطراب . ولـــكن زوجها قد أقبل ، ذلك لأنه بينما كان خارجا من القصر رأى « روبير »

يدخله فانتظر حتى انصرف « روبير » وأقبل الى امرأته ، وهــو يحدثها في صراحة وكرم وطيب نفس ، يعرض عليها حريتها • وهو يعلم أنــها تحب « روبير » وأنهـــا لم تنصرف عن حبه قط ، وأنها لن تسعد الا معــه ، وهو يحبها ولكن لنفسها الا لنفسه ، وأى آية على الحب وصدقه أقوى من أن تضحي بنفسك وسعادتك في سبيل من تحب ؟! تستطيع اذن أن تذهب مع « روبير » ، فقد سمع الناس يتحــدثون بأنه مســافر الى مكان بعيد ، ولا ينبغي أن تتردد ولا أن تشفق ، فســعادته الصحيحة في أن يجعلها سعيدة ، وسيرفع أمر الطلاق الى المحــكمة ويحتمل هــو آثام الطلاق ، وسيصدر الحكم لها لا عليها • هو يقول هذا كله مخلصا ، وهي تسمع هذا كله بآكية متحبة ، ولكنها لن تفعل من هــذا شيئا • أليست هي التي أبت أن تخــون زوجها الأول فــكيف تخون زوجــها الثاني !! هو يريد أن يضحي بنفسه في سبيلها فلم تكون هي من الأثرة بحيث تقبل هذه التضحية !! هي لا تحب زوجها حب شهوة ولذة ، ولكن لم لا تحب زوجها حب صداقة وشــكر للصنيع ! وبعد فلو أنها أرادت أن تلحق بصاحبها لما استطاعت ، ذلك لأنها تحس في أعماقهــا شــيئا كانت تتمناه لتسلو به عن الحــزن والألم ، وكان يخيــل اليها أنهــا لن تظفر به ، ولكنها الآن تحسه فكأنه قد أقبــل ليصرفــها عن الاثم والجور ، وليقر العدل في نصابه • هي تحس أنهــا حامل ، وهي تعلن ذلك الى زوجها ، وهو يضمها اليه ويقبلها سعيدا مغتبطا وقد أفلتت من بين ذراعيه وأسرعت الى النــافذة في ذهول فضــمت أستارها ، ولكنها سمعت شيئا صعقت له ، فيقبل زوجها عليها ويعنى بهــا حتى تفيق بعض الشيء ، وتنهض فتجلس الى البيانو وتعبث بأصابعها لتخدع زوجها عــن مرضها وحزنها ، أصابعها مضطربة على البيــانو وبصرها حائر وفكرها مشرد ، والباب قد فتح والخادم تدعو سيدها وجلة فيسرع اليها فتنبئــه بأن رجلا قتل نفســه بالباب ••

جُبَان

قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسي

بول نيڤوا



اما أحدهما فالحب بالحاء الكبيرة لو أن فى كتابتنا العربية حاء كبيرة . الحب الذى يكون من نفسين نفسا واحدة ومن قلبين قلبا واحدا ، وينتهى فى كثير من الأحيان الى الزواج . واما الآخر فهذا الحب الفطرى الذى يملأ قلب الام لابنها ويشغل من قلب الابن فى بعض الأحيان حيزا ليس بالضيق ولا بالضئيل .

والقصة صراع بين هذين الحبين أو قل ان شئت بين مصدر هذين الحبين : هى صراع بين الأم والزوج أو بين الأمومة والزوجية ، والرجل موضوع هذا الصراع . فأنت ترى أن ليس فى القصة شىء جديد ، فموضوعها مألوف منذ استقر فى الحياة الاجتماعية على اختلاف البيئات والأجناس نظام الأسرة . وأى الناس لم يحس أنه موضوع النزاع بين أمه وامرأته ، نزاع يقوى ويضعف باختلاف الظروف التى تحيط بالأسرة والصلات التى تصل بين أعضائها . فليس من الغريب فى شىء أن تستقبل هذه القصة استقبالا فاترا لأنها لم تأت بشىء جديد ، ولأن الآداب على اختلاف أنواعها وألوانها وعصورها قد قالت فى هذا الموضوع كل مايمكن أن يقال . ثم هو قد اتصل بحياة الناس حتى أصبح شيئا مبتذلا تجرى به الألسنة وتسير به الأمثال ويألم الناس له فى حياتهم الخاصة ويضحكون منه إذا أجتمع بعضهم الى بعض .

ليس غريبا أن تستقبل القصة فى فتور ، ولكن الغريب أن يقدم الكاتب على مثل هذا الموضوع برغم شيوعه وابتذاله فيجد فى نفسه الشجاعة على إختياره والتقدم به الى ملعب من ملاعب التمثيل ، وأشد من هذا غرابة أن يوفق الى الاتقان وارضاء النظارة وحمل النقاد على أن يعترفوا له بالاجادة فى شىء من التحفظ قليل .

والواقع أن هذه القصة حين مثلت لأول مرة أمام هذه الطائفة الضيقة المختارة التى تحضر التجارب فى الملعب لم تثر اعجابا ولعلها اثارت شيئا آخر

يناقض الاعجاب ، ولكنها لم تكد تعرض على جمهورالنظارة الذين يختلفون الى الملاعب للهو لا للنقد حتى أعجبتهم واستأثرت بقلوبهم · والغريب أنها أعجبت النقاد أنفسهم فى هذه المرة ، كأنهم تأثروا بجماعة النظارة حين رأوها راضية تضطرب بين ضروب الانفعالات المختلفة ، فاضطربوا هم أيضا وخرجوا يثنون بعد أن كانوا ساخطين ·

ذلك لأن الجدة والابتكار على خطرهما وأثرهما العظيم فى الآيات الفنية ليسا شرطين أساسيين للاجادة دائما · وربما كان فى بعض الأوقات عقبة تحول دون الاعجاب والرضا ·

ونحن نعرف كتابا وشعراء وممثلين وفنانين مختلفين لم يوفقوا الى ارضاء الناس لأن آياتهم الفنية كانت من الطرافة والجدة بمنزلة لم تكن قد سمت اليها بعد عقول معاصريهم ، ولم يكن بد من أن تمضى عشرات السنين ويتغير الجيل لتظهر القيمة الفنية لهذه الآثار · والناس مستعدون للاعجاب بما ألفوا والرضا عنه أكثر من استعدادهم للافتتان بما لم يألفوا ولا سيما اذا رأوا أنفسهم فيما يعرض عليهم من مظاهر الفن · ومن ذا الذى لا يعجب بصورته فى المرآة ، ومن ذا الذى لا يرثى لنفسه حين يرى آلامه تمثل بين يديه · وكذلك كانت الحال فى هذه القصة ·

رأى كثير من الرجال والنساء فيها أنفسهم ، فسخطت الأمها على الزوجات وحنقت الزوجات على الأمهات ورثى الرجال لأنفسهم واتعظوا جميعا ووعدوا جميعا أنفسهم أن يلائموا بين حياتهم وبين ما خيل اليهم الكاتب أنه الحق أو العدل أو الخير ·

والحق أن الكاتب قد استطاع أن يعرض لهذا الموضوع فى شىء غير قليل من اللباقة والدقة وحسن الذوق ، فيزيل منه طائفة من الظروف كان من شأنها أن تصرف الناس عنه وتزهدهم فيه ، ويكفى أن تلاحظ مثلا أنه تخير أشخاص قصته جميعا من الأغنياء المترفين فألغى العقبة الاقتصادية ولم يدع لضرورات الحياة المادية أثرا فى هذه الحرب العنيفة التى أثارها بين الأم والزوج ، ثم ألغى طائفة أخرى من الظروف تشبه هذا الظرف الاقتصادى ،

فلم يجعل الام متقدمة فى السن حتى لا يكون اختلاف السن مصدرا من مصادر الشقاق بين المرأتين ، ولم يجعل بين هاتين المرأتين اختلافا ظاهرا فى الطبقة حتى لا يكون تفاوت المنزلة الاجتماعية مؤثرا فيما سيكون بينهما من صراع ، وانما اجتهد فى أن يكون الصراع معنويا صرفا يتصل بالقلوب والنفوس والعواطف أكثر مما يتصل بأى شىء آخر ، ثم وفق من ناحية أخرى فكان مصورا دقيقا بارعا مسيطرا على خياله لم يتكلف الاختراع ، وانما تخير حوادثه بين هذه الاشياء اليسيرة السهلة التى تجرى بها حياة المترفين فى كل يوم ، فلم يستطع أحد من النظارة أن ينكر حادثة أو يرى وقوعها بعيدا وغير مألوف .

وخصلة أخرى أظهرت حظ الكاتب من الكفاية الفنية وهى أنه حصر أشخاصه فى أقل عدد ممكن ، فهم أربعة لا يزيدون الا اذا نظرنا الى الخادم الذى تكلف الكاتب ايجاده ليكون صلة بين هؤلاء الأشخاص ليس غير .

وكان يخشى على الكاتب أن تضطره قلة الأشخاص الى أن يكون كثير القول قليل الحركة فيفسد بذلك حواره ويثقل وتتأثر القصة كلها من هذا الفساد ، ولكنه استطاع على قلة الأشخاص أن يجعل حواره قصيرا خفيفا سريعا ما بقى عنده الأشخاص الأربعة .

فلما كان الفصل الثالث وذهب أحد هؤلاء الأشخاص ظهر أثر ذلك فطال الحوار وثقل بعض الشىء واصبح أقرب الى المناقشة الفلسفية منه الى التمثيل الحى . ومهما يكن من شىء فان فى قراءة هذه القصة لذة عقلية وفنية لا بأس بها .

* * *

نحن فى باريس فى قصر تظهر عليه آثار النعمة والترف ، فخم تحيط به حديقة واسعة كثيرة الأشجار أقرب الى الغابة منها الى الحديقة نادرة فى مدينة عظيمة كباريس . ونحن اذا رفع الستار نرى خادما يحاول أن ينظم طائفة من الآنية الدقيقة الغالية فى حجرة الاستقبال ، فتدركه سيدته

« هيلان » وهي امرأة جميلة رائعة كنساء التمثيل جميعا فى مقتبل عمرها ، على وجهها نضرة الشباب والغبطة والسعادة لأنها حديثة عهد بالزواج ، قد عادت منذ أيام من سياحة طويلة مع زوجها في ايطاليا ومصر ، وهي تريد أن تنظم دارها الجديدة بحيث تلائم ميولها وذوقها الفنى الرقيق ، وهى تأمر الخادم بأن يصطنع الرفق فى مس هذه الآنية وتطلب اليه أن ينقلها فى رفق الى الطابق العلوى ، وتعلن اليه أن هذه الحجرة سيغير نظامها فيهدم الحائط الذى يفصل بينها وبين حجرة أخرى لتصبح الحجرتان حجرة واحدة حديثة التنسيق والنظام ، على أن ينقل هذا الأثاث القديم الى غرفة أخرى فى الطابق العلوى ، فيسمع الخادم هذا كله فى شيء من الدهش والانكار لأنه يخدم فى هذا البيت منذ ثلاثين سنة وقد عهده كذلك وهـو يعلم حق العلم أن أم سيده حريصة كل الحرص على أن تحتفظ به كما هو .

ونفهم من هذا الحوار بين الخادم وسيدته أن أم الزوج غائبة عن باريس منذ تزوج ابنها ، وان أبا الزوج قد مات منذ ثمان سنين وكان رحيما رفيقا بابنه وامرأته ، فلما مات فرغت المرأة لابنها ووقفت عليه حياتها كلها وعرف لها ابنها ذلك فأحبها حبا لا يعدله حب ، واتصلت بينهما صلة قوية زادها قوة وغرابة شباب الأم ونضرتها ، فكانا يخرجان للتروض والنزهة فلا يشك من يراهما في أنهما زوجان أو خليلان . ونفهم من الحوار أيضا أن هذه الأم متسلطة قوية السلطة والارادة ، ونحس ضيق المرأة الشابة بكل ما تسمع ، ولكنها على كل حال تأمر الخادم أن يمضى فى تنفيذ ما أمرت به فيظهر الطاعة ولكن فى تثاقل وابطاء . ويأتي الزوج وهو «جورج شاتل» فتتلقاه امرأته لقاء حسنا ، لقاء العاشقة المفتونة التي لا يقل عشقها لزوجها عن هيام زوجها بها ، فيكون بينهما حوار نفهم منه أنه مشوق الى أمه ، ثم نفهم أن الزوجين النظام فى هذا البيت ثم نفهـــم أنه مشوق الى أمه ، ثم نفهـم ان الزوجين سيخرجان اذا كان المساء لتناول العشاء فى مطعم من المطاعم الباريسيـــة المشهورة

والزوج يعلن الى امرأته أن سيكون معهما ثالث فتضيق بهذا حتى اذا ذكر لها اسمه رضيت واطمأنت ، وهذا الثالث هو «هنرى فالان» صديقها منذ

الطفولة وصديق زوجها منذحين ، لم تره منذ تزوجت وهي شديدة الشوق الى أن تراه لأن له ولأبيه عندها يدا ، ولأنها تضمر لهذاالشاب مودة طاهرة بريئة ٠

والزوجان في هذا الحديث واذا رسالة برقية ينظر فيها الزوج فيبتهج ، فهي تعلن اليه قدوم أمه اليوم وقد كانا ينتظرانها آخر الشهر ، واذا فقد تغير برنامجهما فلن يخرجا ولن يرتاضا ، وسيتنـــاولان العشاء في البيت حتى لا يشقا على أمهما ٠

«هيلان» تقبل هذا في شيء من الاذعان والتبرم ، والرجل يغريها أو يكاد وهو يثني على أمه ويذكر ظرفها ورقتها وحنوها ٠

وينصرف الزوجان كل لشأنه وقد أقبل الخادم فهو ينفذ كارها متباطئا أمر سيدته ٠ وهو كذلك واذا الأم قد أقبلت فيبتهج الخادم بلقائها وتنكر هي ما ترى من تغيــير نظام البيت ، ويشتد انكارها حين يتبئها الخادم بتفصيل هذا التغيير ٠ ولكن ابنها يقبل فتلقاه راضية مبتهجة بلقائه، وتكاد تنسى تغيير النظام ولكنها لا تلبث أن تذكره فتتحدث فيه الى ابنها في شيء من الانكار تخفيه ولكنه يظهر ، وابنها مضطرب بينها وبين امرأته لأنه يوافق امرأته على التغيير وهــو الآن يكاد يستعطف أمــه ويعــرض عليهــا الا يتغير شيء ٠

ولكن أمه تظهر الرضا على أنه رضا يشبه السخط ، والرجل يحدث أمه عن امرأته فيثني عليها ويذكر ظرفها ورقتها وحبها كما كان يثني على أمه أمام امرأته ٠

ثم يذهب ليدعو امرأته فتقبل وتلتقي المرأتان في فتور ظاهر يضيق به الرجل ويبذل جهدا غير قليل في ازالته فيوفق وما يكاد ٠

ثم يتركهما معلنا أنه سيتحدث مع صاحب سيارات فى سيارة يريد أن يشتريها لامرأته ، فنفهم بعد ذلك من الحديث بين المرأتين أن «هيلان» تحسن سوق السيارات وتريد أن تكون لها سيارتها الخاصة لتخرج بهما فى باريس ، والأم تنكر هذا وتدهش له ويشتد دهشها وانكارها حين تقص عليها هيلان انها قضت ليلة أمس مع زوجها بعيدين عن باريس لأنهما خرجا للنزهة فضلا واضطرا الى أن يقضيا الليل فى فندق حقير قذر ، وكانا سعيدين كل السعادة حتى انهما ليريدان أن يستأنفا هذا الضلال ، فتلاحظ الأم أن ابنها قد تغير وتغير فى سرعة شديدة ، فهو يطمئن الآن الى مثل هذا الفندق القذر وقد كان من قبل مترفا مسرفا فى الترف .

ونلاحظ نحن إن هذا التغير لايعجبها وأن الحرب قد بدأت فى حقيقة الأمر بين هاتين المرأتين : كلتاهما تحب هذا الرجل وتريد أن تستأثر به ، وكلتاهما تريد له السعادة ولكن كما تتصورها هى ، ثم كلتاهما قوية الارادة ظاهرة الشخصية حريصة على أن تستأثر بالسلطان .

وقد أقبل الخادم يستأذن للصديق « هنرى فالان » فاذا دخل وخلا الى صديقته كان بينهما حوار بديع مضطرب مختلف تظهر فيه سعادة هيلان وحبها لزوجها وابتسامها للحياة ويظهر فيه شقاء هنرى واضطراب نفسه وانصرافه عن اللذة والأمل .

ونحس نحن أن هذا الشاب قد استكشف بعد زواج «هيلان» أنه يحبها ورأى أن ليس اليها سبيل فهو يشقى بهذا الاستكشاف ، وهو على ذلك يحاول أن يخفى حبه وأن يحتفظ للزوجين بصداقة ظاهرة ترعى فيها كل الحرمات ، ولكنه عاجز عن أن يضبط نفسه ويملك عاطفته ، وآية ذلك انه يعتذر عن العشاء ويعجز عن أن يضرب موعداً آخر للقاء الزوجين .

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فقد مضى نحو العام على ماحدثتك به آنفا ، وأخذت هذه الحوادث الضئيلة اليسيرة المحرجة على يسرها وضآلتها تكثر ويجتمع

بعضها الى بعض فتفسد جو البيت وتباعد بين المرأتين وتزيد حياة الرجـل عسرا وحرجا ٠

ونحن نرى أول الفصل «هيلان» فى مكتب زوجها تنسق الزهر فى آنية بديعة صغيرة تضعها على المكتبة ، وتنظر اليها من قريب ومن بعيد كأنها تريد أن ترى ما تحدثه من جمال فى الغرفة كلهـــا ، وهى مغتبطة لا تملك أن تتحدث بغبطتها الى الخادم فتثنى على هذه الآنية وعلى ذوقها الذى مكنها من اختيارها ، ولكن حماتها تقبل مسرعة متعبة فتأمر الخادم بأن يحمل اليها بعض المتاع ، وماهى الا أن يأتى الخادم بما أمرت به فتزيل الورق عن اناءين ضخمين من النحاس ، فاذا سألتها هيلان انبأتها بأنها سمعت ابنها أمس يود لو وضع على مكتبته شىء يزينهما فأسرعت فاشترت هاتين الآنيتين ، فتغتاظ هيلان لذلك وتقول انها هى أيضـا سمعت زوجهـا فاشترت هذه الآنية الصينية البديعة ٠

وما هى الا أن ينشأ التنافس الثقيل المؤلم بين هاتين المرأتين ، كلتاهما تريد أن تكون هديتها أجمل من الأخرى ٠ ويقبل الزوج على غرة فيحـكم لأمه وهو لا يدرى ، واذا أمرته تسرع الى آنيتها فتحطمها فى ثورة وغضب ثم تندفع فى بكاء لا حد له وتنصرف الأم سعيدة دهشة ٠ ويخلو الرجل الى امرأته فيريد أن يترضاها ويحاول أن يتعـــرف الخبر فاذا عرفه ضحك من طفولة امرأته وأخذ يلاطفها ويداعبها ولكنها تلقاه لقاء عنيفا ، وما تزال به وبأمه ثائرة ملحة فى أن تترك هذاالبيت حتى يغضب زوجها ويفسد الأمر بينهما ، واذا هما يتراشقان بألوان من العتب المر ، واذا هى تنذره واذا هى توعده ، ثم ينصرف عنها بعد حوار طويل يحسن أن يقرأ لما فيه من دقة فى تصوير هذه العواطف التى تصل بين الرجل وامرأته والتى ما تزال بهـا صغائر الأشياء حتى تغيرها وتكدرها ٠ ويعود اليها هادئا ولكن أمه تقبل فتحمل اليه كتابا ينظر فيه ثم يدفعه الى امرأته فتبتهج له ، وهو كتاب من أسرة صديقة لهذه الاسرة تدعوها الى حفلة ستقيمها فى احدى الضواحى ، فما أسرع ما تقبل هيلان الدعوة وتكتب بهذا القبول ، ولكن الأم تعتــذر

وتلح في مكر على ابنها أن يذهب مع امرأته لأنها متعبة والطبيب يأمرها بالراحة ويحظر عليها تكلف المشقة ، فاذا سألها ابنها عما تشكو ذكرت علة القلب في ألفاظ لاتلبث أن تخيف الرجل على أمه ، واذا هو يلح عليها في أن تستريح ويريد أن يدعو الطبيب فتأبى عليه وتنصرف لتستريح في غرفتها . ويقبل الرجل على امرأته يطلب اليها في رفق أن تعدل عن قبول هذه الدعوة لأن أمه لاتستطيع أن ترافقهما وهو لايريد أن يتركها وحدها ، فيثور غضب هيلان وتمزق كتابهـا ويستأنف الحوار العنيف بين الزوجين وقد فسد أو كاد يفسد بينهما كل شيء .

ويترك الزوج امرأته مغيظة محنقة محزونة ، وتأتي الأم ، فاذا علمت ان الزوجين لن يقبلا الدعوة ابتهجت بذلك واغتبطت له ، أليســت قــد انتصرت ؟

وهذا هنري يقبل فتلقاه الأم في ظرف وتلطف لم يتعـودهما ، فاذا انصرفت وخلا الى صاحبته أخذ يظهر دهشته لهذا الظـــرف غير المألوف وما يزال بهيلان حتى تظهر له ما تجد من حزن وتشكو له سوء حـالها ، واذا هذه الشكوى تشجعه على أن يظهر ماكان قد أضمر ، واذا هو يعلن الى هذه المرأة حبه ويلح في اعلانه وهي تدفعه وتتهمــــه بالأثرة والجبن لأنه ينتهز فرصة هذا الحزن ليخون صديقه ويستغل موقفا ما كان يحسن أن يستغله . وما تزال به حتى يفيق واذا هو يشكو ويعتذر ويستعطف وهي تدفعه راثية له عاطفة عليه طالبة اليه أن ينصرف فيفعل مودعا بألفاظ فيها حب ، وانه ليقول هذه الألفاظ منصرفا واذا الأم تدخل من باب آخر فتسمع ما يقول وتراها هيلان وتعرف انها قد سمعت فتضطرب وتستحي وتحاول أن تحملها على الكلام فلا تظفر بشيء وهي الآن تتملقها وتترضاها حتى اذا استيأست منها انصرفت محزونة مروعة .

ويقبل الزوج فيتحدث الى أمه عاتبا لأنه يراها سالمة بارئة لا علة بهـا فينكر تمارضها منذ حين ، ويرثي لامرأته ويعلن الى أمــه أنه قد يقبل رأى

امرأته ويتخذ معها بيتا خاصا ، فتثور الأم ولكنها ثورة لا تخلو من دهاء ومكر ، فهى تعلن الى ابنها ان امرأته ان كانت ترغب فى هذا الاستقلال فهى انما تريد أن تخلص من رقيب خطر ، ولايكاد الرجل يسمع هذه الكلمة حتى يأخذه الشك فيستوضح فتأبى عليه ، فيلح فتأبى عليه ، ولكن اباء المعرض المغرى ، واذا الغيرة قد أخذت تعمل عملها فى نفسه وما يزال يستدرج أمه حتى تذكر أسم هنرى وزياراته المتصلة فتشتد الغيرة وتتضح التهمة فى نفسه ، وترى أمه هذا كله فتجزع له بعض الشيء لأنها قد وصلت الى أكثر مما كانت تريد ، والرجل ثائر يطلب امرأته اذا أقبلت لم يلبث أن يسألها عن هنرى وأن يتهمها بالريبة .

فقدر أنت ثورة هذه المرأة البريئة ، ولكن قدر فى الوقت نفسه ثوره زوجها حين تأبى أن تدفع عن نفسها . وما يزال الأمر يشتد بينهما حتى يبلغ أقصاه واذاهو يهجم على امرأته كأنه يريد أن يضربها ، واذا هى تعلن اليه فى عنف أن هنرى خليلها وأنها لاحقة به وتنصرف مسرعة فيتبعها ثم لايدركها فيعود ، وتقبل أمه كأنها تريدأن تعزيه فيوليها ظهره صامتا وتفهم أن قد كان بينها وبين ابنها من الشر ما لا سبيل الى استدراكه .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضى اسبوعان على ما حدثتك به ونحن نرى الأم فى حجرة الاستقبال تلك مستلقيـة كالمتعبة والخـادم يتحدث اليها ، فنفهم أنها مريضة وانها تخفى مرضها على ابنها ، ونفهم أن ابنهـا محزون حزنا لا حد له ملازم لمكتبه لايكاد يريمه مؤثر للوحدة والصمت ، بعيد كل البعد عن أمه يعيش معها وكأنه لا يراها ، وقد أخذ الخادم يشفق عليه ، وآية ذلك أنه جمع أجزاء الآنية التى حطمتها امرأته فضم بعضها الى بعض وأعاد الآنية كماكانت ووضع فيها زهرا يحسب أنه يحسن بذلك الى سيده .

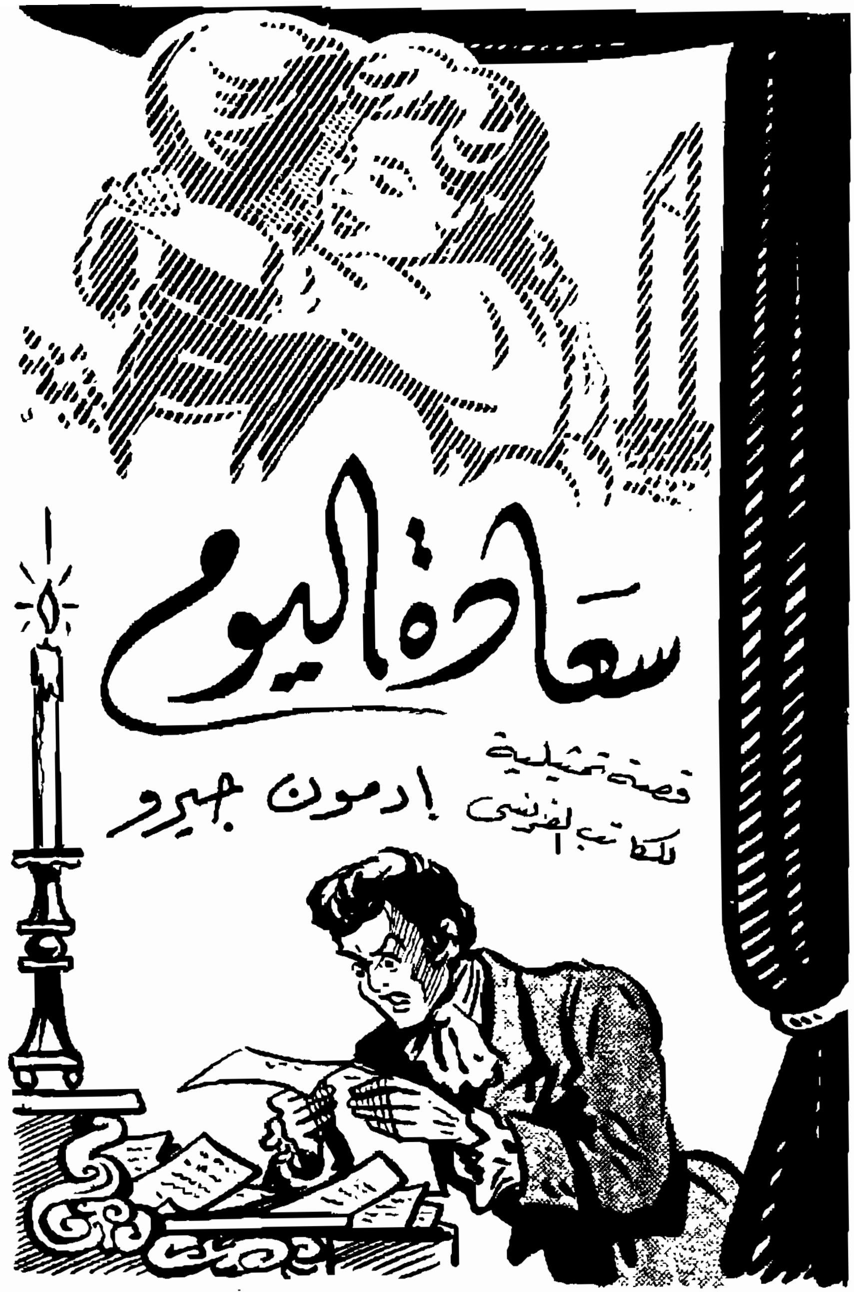
وهذا الابن قد أقبل يتحدث الى أمه حديثا سقيما متقطعا ملوءة الحزن والغيظ والحقد أيضا ، وما تزال به أمه حتى تصل به الى موضوع حزنه واذا هو يشكو أنه شديد الندم على ما فرط منه لا يستطيع أن يتعزى ، لا ينام ولا يخرج ولا يستطيع أن يفكر ولا أن يحتمل البيت منذ خلا من امرأته ، ولقد تبعها يوم انصرفت فلم يدركها وأسرع الى بيت صديقه فقيل له أنه خرج ومعه امرأة فانتظرهما الليل كله فلم يعودا ورجع الى البيت مـرات حتى عرف أن صديقه سافر الى الهند ، فهو محنق محزون يأسف لأن امرأته قد تركته ولأنه لم يستطع أن يقتلها ويقتل معها صاحبها ، ثم نفهم أيضـا حقده على أمه لأنها أفسدت بينه وبين امرأته وكانت أثرة مسرفة فى الأثرة لا تفكر الا فى نفسها ولا تحسب لسعادة ابنها حسابا ، والأم تدفع عـن نفسها وتألم لشقاء ابنها وقد انصرف عنها لأنه رأى سيارة مقبلة فيخاف أن يلقى الزائرين ولكن هؤلاء الزائرين ليسوا فى حقيقة الأمر الا امرأة تدخل فتنكر الأم مكانها وهذه المرأة هى « هيلانه » .

تلقاها الأم لقاء فيه بغض وحقد وفيه اتهام بالريبة والاثم ولكن هيلان لا تلبث أن تثبت براءتها وانها انما اتهمت نفسها حنقا وغيظا ثم تهم أن تنصرف فتمسكها الأم ويكون بينهما حوار لا أحبه لأن فيه فلسفة ربمـا ثقلت على الملعب . فيه تحليل للحب الزوجى وتحليل لحب الأمهات ومحاولة لتحديد الموقف الذى يجب أن يـكون بين الحبين . ومهما يكن أمر هـذا الحوار فقد اقتنعت الأم بأن سعادة ابنها عند امرأته لا عندها ، وكأنها قد أخذت تحب هذه المرأة .

وهذا ابنها يقبل فاذا رأى امرأته أنكر مكانها وهمـت أمه أن تنصرف فيمسكها ولكنها تنتهز فرصة وتتركهما وجها لوجه فيكون بينهما جـدال يتهمها وتدفع عن نفسها ، ويأبى أن يصدقها فتلح فى الدفاع وتقص ما كان بينها وبين صاحبها ، فاذا هو قد عرض عليها الحب فأبته عليه فافتقدته بعد ذلك فلم تعرف أين هو وهى تجهل سفره بل تجهل مكانه ، ولكن زوجها لا يصدقها ولا يريد أن يسمع لها فتنهض مستيئسة تريد أن تنصرف حتى اذا

بلغت باب الحجرة سمعت زوجها يدعوها فتعود اليه مبتهجة ، ولكن الأم تقبل فى هيئة السفر تودع ابنها فاذا سألها أنبأته بأن أمور ثروتها مضطربة وأنها تريد أن تشرف عليها من قريب ، وان الطبيب يشير عليها بترك باريس ، وما تزال بابنها حتى يطمئن الى هذا السفر كارها ، وتأبى عليه أن يشيعها وتقبله وتوصى امرأته به خيرا ، وتنصرف مسرعة ، ويقف ابنها أمام النافذة وكأنه يريد أن يودعها . وتسمع حركة السيارة فتقول هيلان لزوجها :

« تركتها تسافر ؟ » فيجيبها : « وماذا يعنيك ما دمت أنت ستبقين ؟ »


سعادة اليوم
قصة تمثيلية
للكاتب الفرنسي إدمون جيرو

وليس ينبغي أن يخدعك هذا العنوان ، فتقدر أنك ستقرأ قصة خلقية اجتماعية تعرض للسعادة وتصور الناس لها في هذا العصر ، فليس بين القصة التي نلخصها في هذا الفصل وبين هذا الموضوع صلة ما • وانما « سعادة اليوم » اسم أداة من هذه الأدوات التي تتخذ في الدور ، نستطيع أن نطلق عليها هذا الاسم العامي المبتذل « المكتب » ونريد به هذه هذه المائدة التي نتخذ للكتابة ، وفيها أدراج كثيرة تحفظ فيها السيدات أوراقهن وما لهن من هذه الأدوات الدقيقة المتنوعة • « فسعادة اليوم » في هذه القصة ليست شيئا غير هذا ، هو لفظ أطلق في عصر من العصور الفرنسية وفي طبقة من الطبقات الفرنسية على هذه الأداة الشائعة • وقد أعطت هذه الأداة الشائعة اسمها لهذه القصة لأنها كانت تحتوي سرا من أسرار أسرة ، فاستكشف هذا السر ، وكان استكشافه مصدر طائفة من الأحداث والانفعالات عبثت بطائفة من القلوب والنفوس عبثا عرضه علينا الكاتب في قوة ودقة ومهارة خليقة بالاعجاب •

ولعلك لم تنس بعد هذه القصة البديعة التي حدثتك عنها ، قصة « الفؤاد المقسم » • ولعلك لم تنس بعد هذه العواطف المختلفة التي تتنازع القلوب وتعبث بالنفوس فيما رأيت من قوة وعنف • فقصتنا في هذه المرة تشبه تلك القصة من هذه الناحية ، فهي قصة جهاد عنيف بين عواطف قوية حادة تتنازع قلبا كريما بريئا من الشر والاثم ، ولكنه في الوقت نفسه متأثر أشد التأثر بالحياة الاجتماعية وما توارث الناس من عادة ورأي وحكم ، وما تواضعوا عليه من خلق ونظام • هي قصة نفسية لأنها تعرض عليك نفسا انسانية في ظرف من هذه الظروف الحرجة العسيرة التي تكشف عن دخائل الانسان وتجرده أو تكاد تجرده من كل هذه اللفائف التي تلفه بها الحياة الاجتماعية • فهي قصة اجتماعية لأن هذه النفس التي يعرضها عليك الكاتب انما تألم وتحس ما تحس من

عذاب ، وتخضع لما تخضع له من حرب وجهاد ، بحكم الأوضاع الاجتماعية المتناقضة ، وبحكم الأحداث الاجتماعية التى تحدث فى حياة الناس من حين الى حين ، فتكونهم كما تحب لا كما يحبون ، وتصورهم كما تريد لا كما يريدون • وهى قصة خلقية أيضا لأن هذه النفس حين تتألم وتشعر بالعذاب ، مضطرة الى أن تظهر شيئا من الجلد والقوة على المقاومة ، وهى لا تقاوم عبثا وانما تقاوم فرارا من شر وحرصا على خير ونفور من الأذى ورغبة فى البر •

وهى بعد هذا كله قصة لم تنس المثل الأعلى الذى يضعه الأفراد والجماعات أمامهم حين يحبون وحين يختلفون فى أمورهم المتباينة •

هى هذا كله ، وهى الى هذا كله نموذج من نماذج اللفظ المختار المنتقى ، والحوار الدقيق اللطيف ، والمعانى الجيدة التى فكر فيها صاحبها فأحسن التفكير ، ونسقها فأجاد التنسيق • وقد يستطيع هذا الفصل من فصول التمثيل الفرنسى أن يغتبط بعض الاغتباط ، فهو غنى بهاتين القصتين ، وهو خير من فصول أخرى سبقته ، ولم يظهر فيها كما رأيت فى الشهر الماضى الا لون من هذا القصص التمثيلى الفاتر الذى لا يمثل شيئا ولا يدل على شيء •

ولأعرض عليك أشخاص هذه القصة كما تعودت أن أفعل بازاء القصص الأخرى • فقد يكون هذا العرض أيسر سبيل الى فهمها وتذوقها • ولكنى حائر لا أدرى بأى هؤلاء الأشخاص أبدأ ، فالظاهر أن لهذه القصة بطلا ممتازا تدور حوله ، ولكن أشخاصها جميعا أبطال ممتازون • وما أدرى فى حقيقة الأمر الا أن لكل واحد منهم حياته القوية المؤثرة الممتازة • آأبدأ بهذا الشاب الذى تدور القصة كلها حوله والذى يظهر أنه البطل الممتاز فيها ، والذى يظهر فى الوقت نفسه أنه ضحية أبيه وأمه وعصره ! ولم لا ؟ فلا بد من أن نبدأ بواحد من هؤلاء الأبطال • فليكن هذا الشاب •

جان بليسيه شاب قد ناهز من عمره الثلاثين ، جميل المنظر قوى عذب الخلق ، حلو الحديث ، رقيق القلب • ولكنه فى الوقت نفسه بطل من أبطال الحرب الكبرى ، أدركته ولما يكد يدع المدرسة ، فيدخلها جنديا ، ولكنه أبلى فأحسن البلاء ، وتقلب فى مراتب هذه الخدمة العسكرية العاملة وذاق آلامها ولذاتها جميعا ، حتى انتهى به الأمر الى أن أصبح ذا مرتبة عالية فى فرقة الطيران• وقد أحسن البلاء فى هذا اللون من ألوان الحرب ، وجر عليه ذلك خطوبا وألوانا من الشرف ، فرأى الموت وصافحه أو كاد ، واضطر الى المستشفى ، وتحلى صدره بالأوسمة المختلفة ، ثم انجلت عنه غمرة الحرب فاذا هو يعود الى حيث يقيم أبواه فى أحد الأقاليم الفرنسية ويعيشان عيشة ثروة ونعمة وعمل وهدوء • يعيشان فى قصر فخم من قصور العصور الوسطى ، اشترته الأسرة حين أثرت ، ولكن هذا القصر وما حوله من الأرض الواسعة مهملان أو كالمهملين ، لأن رئيس الأسرة منصرف عنهما الى مهنة الطب التى يحبها ويكلف بها • فاذا عاد الشاب الى أسرته أسرعت ففكرت فى أن تكل اليه تدبير هذه الثروة ، على أن يكون ذلك عمله فى حياته ، وأسرعت فاختارت له فتاة حسناء لتكون زوجه • وظهر اطمئنان الفتى الى هذا النوع من الحياة ، فعنى بالقصر والأرض ، وشغف بالفتاة وشغفت به الفتاة أيضا ، وأخذا يستقبلان الحياة فى ابتسام وبهجة ، لولا « سعادة اليوم » التى حدثتك عنها فى أول الفصل ، والتى ستظهر لهذا الفتى أن نشاطه وسروره وابتهاجه للعمل فى هذه الحياة السليمة ليست طبيعية ، وانما هى علة يتعلل بها كارها ، وانما حياته الحقيقية فى الحرب •

وهذا الشاب من أبوين مختلفين أشد الاختلاف فى الطبقة والتربية ، فأمه من أسرة شريفة بعيدة فى الشرف ، تحفظ نسبها فى القرون الوسطى ، وتذكر ما كان لأجدادها من بلاء فى تاريخ فرنسا ومن مكانة فى قصور ملوكها • وأم هذا الفتى قد ورثت عن أسرتها الشريفة هذه كل خلالها ، فهى مترفة مهذبة رقيقة ممتازة ، وقد أورثت هذه الخلال كلها ابنها الشاب •

اما أبوه فمن طبقة أخرى ، من هـذه الطبقة التى كانت مهضومة مظلومة قبل الثورة ، والتى اكتسبت الحـرية بعد الثورة ، وجـدت فأضافت الى الحرية ثروة وقوة واستئثارا بالحكم . وفيهـا خـلالها ، فهى نشيطة عاملة صريحة شريفة الخلق . وفيها عيوبها ايضـا فهى غليظة خشنة قليـلة الحظ من التهذيب والرقة والامتياز ، لا تتنزه عن صغائر تعافهـا الأرستقراطية . كان جد هذا الفتى يعمل فى البريد ، ولكنه جد حتى أثرى وأحسـن تربية ابنه حتى أصبح ابنـه وزيراً فى الامبراطورية الثالثة ، وترك هذا الوزير ابنا أحسـن تربيته فهو طبيب وهو أبو هذا الشاب .

وهذا الشاب متأثر ـ كما قلنـا ـ بما ورث عن أمه ، نافر أشـد النفور من أخلاق أبيه . فهو لا يكاد يحتمل أباه منذ رجـع من الحرب ، وهو يألم لهذا ولكنه لا يجد الى اتقائه سبيلا ، وأبوه يألم له أيضـا ، ولكنه يروض نفسه على هذا الألم . وقد علمته الحياة أن يروض نفسـه على الألم ، فقد نشأ كما رأيت ابنا لهذا الوزير ، وأدركته حرب السبعين وماتبعها من الهزيمة ، فتركت فى نفسه ماتركت فى نفس الفرنسيين جميعا من هذه الآثار المؤلمة التى يمثلها ضعف العزيمـة والاستسلام ثم الطمع والشك . وكان أبوه ضخم الثروة ، فزوجه من امرأته الشريفـة الفقيرة . وجد هذاالرجل فى مهنة الطب حتى أحبها علما وعملا ، واتخذها سبيلا الى البر بالفقراء والاحسان الى البائسـين . وهو شديد الاعجاب بأسرته وجدها ونشاطها ، لا يكره مع ذلك أن يزدرى الأشراف وخمولهم وكبرياءهم ،ولكن الحياة كانت تدخر له ألما هو الذى جعلـه بطـلا كما أنه أسبغ البطولة على امرأته أيضا . وليس من الخير أن نتعجل فنكشف لك عن هذا الألم ، فهو قوام الشطر الأول من القصة .

فلندع هذه الأسرة ، ولنذكر الشخص الرابع من أشخاص القصة ، وهو « جرين داجوزون » خطيبة جان . فهى فتاة جميلة فتـانة ولكنها فقيرة . هى من أسرة نبيلة ، ولكن أباها كان سيىء السيرة والخلق ، وامها كانت تعسـة سيئة الحال . فأما أبوها فقد مات . وأما أمهـا فقد بقى

لها من هذه الحياة السيئة ضرب من الاضطراب العقلي والخلقي ، يمثله الغرور والشره والتكلف وما الى هذه الأخلاق مما يجعل الانسان موضع السخرية والاشفاق في وقت واحد • ولكن الفتاة لم تتأثر بشيء من هذا ، وانما نشأت نبيلة ذكية القلب جلدة قوية الارادة ، قادرة على المقاومة ، ولكنها رقيقة محبة أيضا • ولم تكد تعرف هذا الفتى حتى أحبته حبا قويا عنيفا ، ولكنه شريف ممتاز يشبه حب الفتى لها •

هؤلاء هم الأشخاص ، لم أعرض عليك من أمرهم الا ما يمكن أن يعرف قبل أن تحدث حوادث القصة فتكشف من نفسياتهم عما كان مخبوءا •

* * *

فاذا كان الفصل الأول فنحن في أعلى القصر في هذه الغرف التي تتخذ ملقى للأدوات العتيقة بعد أن يستغنى عنها ويزهد فيها ، فتترك في هذه الغرف مهملة وديعة في أيدى الزمان يفنيها قليلا قليلا ، وتهمل معها هذه الغرف ، قد أغلقت أبوابها من دون هذا المتاع كما تغلق المقابر دون ما تودع من أجسام الموتى • وقد صعد جان الى احدى هذه الغرف ففتح أبوابها ونوافذها للهواء والضوء ، وأخذ يتفقد ما فيها من متاع في اعجاب وشغف • وما هي الا أن أخذ ينسق من هذه الغرفة وما فيها مكانا يستقبل فيه خطيبته وأمها وأبويه لتناول الشاى • وكانت هذه الفكرة قد خطرت لخطيبته حين علمت بأن في أعلى القصر أدوات قديمة من متاع القرون الوسطى • فأقبل الفتى يهيىء لها هذه الغرفة ، وهو يحاور في ذلك خادمه حوارا لذيذا خفيفا • فهو كلف بهذا المتاع القديم لأنه يمثل حياة آبائه ، ولكن خادمه منصرف عن هذا المتاع لأنه عتيق قد عمل فيه الفناء ، ولأنه يؤثر الجديد الذى لم ينله البلى • وانظر الى الغرفة قد نسقت تنسيقا حسنا ، والى طاقات الزهر قد وضعت في هذه الآنية القديمة • ثم انظر الى الفتاة قد أقبلت فما تكاد تنظر الى هذه الأشياء حتى تفتن بها وتمضى في الاعجاب والثناء • وما كان أخلقها

أن تمضي في ذلك الى غير حد لولا انها تحب صاحبها ، وصاحبها يحبها وخلوتهما ضيقة محدودة ، فلابد من أن يتحدثا في الحب ، ولابد من أن يتبادلا هذه القبل التي يفتن الخطيبان في انتهاز الفرص لها .

وهما يتحدثان في حبهما في خفة ورشاقة وجد أيضا . ونحن نحس اننا لسنا أمام حب فاتر أو نزق . وانما هو الحب القوى انحاد الذى لا يكاد يدخل القلب حتى يملأه ويستأثر به ويندفع منه الى جميع الملكات والعواطف والحواس فيخضعها لسلطانه . هذا الحب الذى كله ثقة وأمل ورغبة واحترام وطمأنينة . وهما في هذا الحديث وفي هذا الحب واذا الأسرة قد أقبلت ، فلا ألخص لك ما يدور من حوار حول المتاع ثم حول الشاى ، فقد تستطيع أن تستغنى عن هذا كله ، وانما ألاحظ أن الأب قد أقبل فرحا مبتهجا فتغنى مع الفتاة بعض أغاني الأقليم. وكانت الفتاة بها مبتهجة وأمها كذلك وامرأته ايضا ، الا الفتى فقد غاظه ذلك وضاق به ذرعا ، ولم يستطع أن يخفى ضيقه ، بل عرض باللوم لأبيه ،وقبل الشيخ هذا اللوم في ألم وغيظ وحزن وسخرية . وانقضى الشاى بين الضحك والحزن تتقيد به أم الفتى لها استطاعت .

ثم يعلن الشيخ الى الفتاة ان في القصر غرفا كهذه الغرف فيها متاع أقدم من هذا المتاع وأجمل . فترغب الفتاة في أن ترى . ويقبل الشيخ على أن يظهرها على هذا المتاع ، وينصرفون جميعا الا الخطيبين ، تخلفا فيما يظهر ليختلسا كلمة أو قبلة . والفتاة تدعو صاحبها الى أن يتبعها الى حيث ترى المتاع ، وهو يأبى ويتعلل ، وما هى الا أن تفهم من تعلله أنه لا يريد أن يرافق أباه ، وانه ضيق النرع بأبيه وطبقة أبيه وما لهذه الطبقة من عادة وما فيها من عيب ، وانه شديد الاعجاب بأمه وطبقة أمه وما فيها من ترف ولين ورقة . وانظر اليه وقد استكشف هذا المتاع القديم الذى كان يسمى « سعادة اليوم » فهو يظهر الفتاة على محاسنه وماقيه من رشاقة فنية . وهو يوازن لها بين هذه الأداة الرشيقة التى تمثل ذوق أمه وأسرتها الشريفة ، وبين تلك الأدوات الغليظة التى يمتلىء بها القصر والتى تمثل ذوق هذه الطبقة الوسطى التى سادت بعد الثورة .

وقد تركتـه الفتـاة ، فعمد الى هذا المتـاع ، وأخذ ينظـر فى أدراجـه ويستنشق رائحتها فى شغف وفتنة ، لأن هذا المتاع قد كـانت أمـه تستخدمه فى شبابها ، فهو انمـا يتنسم شـباب أمه • وقد جذب اليه درجا فتنسمه ثم حاول أن يرده فيستعصى عليه كأن شـيئا يعترض دونه ، فينظر فاذا حزمة من الـورق ، فيسرع اليها متلهفا ويتردد ثـم يفضها ، فاذا رسائل تنتثر ، فيسرع الى هذه الرسائل يجمعها ويخفيهـا فى جيبـه • ولكنه يسمع صوتا فيبالغ فى السرعة ثم ينهض فينصرف وقد أقبل أبوه فرآه موليا ، ونظر فاذا رسالتان على الأرض قد أخطأهما فيسرع اليهما فيدسهما فى جيبه •

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فقد مضت أيام عـلى ما قـدمت لك ، والقوم مجتمعون فى غرفة المائدة بعد العشاء ومعهم الخدم جميعا كأنهم فى حفل منزلى ، والشيخ قائم أمام نار الموقد المتأججة يشوى فيها بنفسـه « الشاه بلوط » أو (الكاستينا كما يسمونه الآن) • وهو يقص على الفتـــاة وأمها من عادات الاقليم وأحاديثه مايضحكهما ويلـــذهما • وهم جميعا مبتهجون الا الشاب فقد تنحى وانصرف الى كتاب كأنه ينظر فيه ، والا أم الفتى فهى قلقـة لما تشاهد من ضيق ابنها وسوء الحال بينه وبـين أبيـــه • وقد انتهى عبث الجماعة الى آخره ، وأعلن الشيخ أن ستجمـــع طائفة من هذا « الشاه بلوط » الذى يشوى ، تخرج من الجمر ثم يوضع عليها غطاء ما ، ثم تجلس عليها أصغر الحاضرين سنا • وقد قبلت الفتاة ، والخدم مبتهجون ، وأمها مترددة متكلفة ، ولكن الفتى يترك كتابه وينهى خطيبته عن هـــذا العبث فتأبى ، فيلح فتزداد أباء ، فيبالغ فى الالحاح فتغضب ، ويفسد الأمر بينهما بعض الشىء ، وتنصرف غير حافلة بأمها ونذيرها ، وقد أعلنت أن خطيبها يجب أن يعرفها حق المعرفة وأن يعلم أقبل الى المكتبة يتلمس فيها شيئا ، فيستخرج مجمعا للصور وينظـر فيه أحيانا • وقد فسد الحفل وانقلب السرور شيئا يشبه الحزن •

ومضى كل الى مضجعه ، ويظل المسرح خاليا حينا ، ثم اذا الشاب قد أقبل الى المكتبة يتلمس فيها شيئا ، فيستخرج مجمعا للصور وينظر فيه كأنه يبحث عن صورة بعينها ، حتى اذا انتهى اليهااختلسها ودسها فى جيبه . وما يكاد يفرغ من هذا حتى يحس صوتا فيرد مجمع الصور ويظهر أنه يأخذ كتابا . وقد أقبل أبوه ، فيسأله ماذا يصنع ؟ فيجيب الفتى أنه قد امتنع عليه النوم فاقبل يلتمس كتابا يستعين به على الأرق . يجيب الشيخ : وهذه حالى ، فلنتحدث قليلا .

وما يكادان يبتدئان الحديث حتى يصل الشيخ الى ماكان يريد ، فهو يريد أن يتعرف من شأن ابنه مصدر هذا الضيق الذى ظهر عليه منذ أيام والذى أقلق أمه ونغص عليها الحياة ، أو قل ان الشيخ يعرف مصدر هذاالضيق ولكنه يريد أن يتحدث فيه الى الفتى . أما الفتى فيتكلف الجواب ويحتال فى اتقاء الشيخ ويعلن اليه أنه ضيق الذرع بهذه الحياة التى يحياها بعد الحرب والتى لا عمل فيها ، وأنه يريد أن يعمل وأن يكسب وألا يكون مدينا بحياته لأحد .

أما الشيخ فلا تخدعه هذه المحاولة . وماهى الا أن يصل الى غرضه فى صراحة فيعلن الى الفتى انه قد عثر بطائفة من الرسائل ، ولكنه نسى منها اثنتينويدفعهما اليه ، وأنه قد قرأ هذهالرسائل وعرف ماعرفمن أمرها ، وأن هذه الرسائل هى التى تقص عليه حياته . فاذا أظهر الفتى شيئا من الدهش انبأه الشيخ فى هدوء والم مبتسم بأنه يعرف ما فى هذه الرسائل ، وعرف ما عرف من أمرها ، وان هذه الرسائل هى التى تنغص عليه حياته ، فاذا أظهر الفتى شيئا من الدهش أنبأه الشيخ فى هدوء وألم مبتسم بأنه يعرف مافى هذه الرسائل منذ ثلاثين سنة . ثم يقص على الفتى القصص .

فليس الفتى ابنه وان كان ابنه أمام القانون وامام الناس وامامه هو أيضا . ذلك انه قد كان تزوج من امرأته دون ان تحبه كما يتزوج أصحاب الثروة من الفقيرات فى غير حب ولا كلف . فلما لم يجد من

امرأته حبا ولا حنانا ولا هياما زهد فيها وانصرف عنها الى اللهو والعبث ، وفرحت هي بهذا الزهد والانصراف • وفي ذات ليلة لقي صديقا له كان رفيقه في المدرسة ، وكان من الأشراف ، وكان قد أحب امرأته وكانت قد أحبته ، وكانا يريدان الزواج • ولكن الفقر حال بينها وبينه • فلأمر ما حرص صاحبنا على ان يستأنف الصلة بينه وبين صديقه القديم • وانظر اليه يتهم نفسه أشنع التهم في لطف ورقة وكرم أيضا • انظر اليه يحدث الفتى بأنه اجتهد في أن يتردد صديقه على بيته وتتجدد الصلة بينه وبين حبيبته القديمة لأمر لا يكاد يتبينه ، وربما كان منه أنه أحب أن يثير في نفس امرأته حبها القديم لهذا الرجل لعلها تتورط في شيء من الاثم فيتخذ ذلك حجة عليها وعذرا لنفسه من آثامه الكثيرة • ومهما يكن من شيء فقد كان ما لم يكن منه بد ، وأثمت المرأة ، وكان الفتى نتيجة هذا الاثم ، فأما أبوه فقد ندم وألح عليه الندم حتى التحق بجيش من جيوش المستعمرات الافريقية وجاهد حتى اشترى خطيئته بالموت ، وأما أمه فقد لقيت في الحمل آلاما ثقالا وتعرضت في الوضع لخطر الموت ، ووقف زوجها بين الأمانة لمهنته كطبيب يجب ان ينقذ المريضة ، والانتقام لنفسه كزوج يريد أن يقتل الخائنة ، فوفى لمهنته وأنقذ المريضة حتى اذا تم لها الشفاء لم يجد في نفسه القدرة على استئناف الانتقام فصفح وعفا ، وندمت زوجه وتابت ، وكانت بينهما مودة استحالت حبا قويا شريفا استفاد منه الطفل فنشأ بين قلبين يحبانه ويعطفان عليه •

وقد سمع الفتى هذا القصص ، ولكنه بطل من أبطال الحرب ، قد تعود الهول وتجشمه ، وتعود المكروه وصبر نفسه عليه ، فهو يألم ولكنه يكظم ألمه ، وهو بين أمرين يتنازعان قلبه ونفسه : السخط على أمه وأبيه ، لأنهما وضعاه في هذه المنزلة الكريهة ، والبر بهذه الأم التي لقيت في سبيله ما لقيت من الم ، وتعرضت في سبيله لما تعرضت له من خطر • وهذا الشيخ الذي كان يظنه أباه والذي كان ينكره ويضيق به والذي ظهر الآن أنه ليس منه في شيء : أيحبه لأنه نشأه ورباه كما ينشيء الأب ابنه في مودة وحنان وحب ، أم يبغضه لأنه ليس منه في

شيء ، ولأنه هو الذي عرض أمه للاثم والخطيئة وهو الذي اضطر أمه الى أن تلده في غير رضا الأخلاق والقانون ؟ وأبوه ! أيحبه لأنه أبوه ، أم يبغضه لأنه ورط أمه في الاثم وجنى عليه هذا الوجود المنكر ؟ وخطيئته ! ماذا يصنع بها ؟ أيمضي في حبها ويكتم عليها ماعرف من أمره فهو اذا يغشها ويدلس عليها ؟ أم يظهرها على كل شيء ، واذا فالى أي حال ينتهي حبه وكبرياؤه وكرامته ؟

وهذه الثروة الضخمة التي يكلها اليه الشيخ أيقبلها وليست له ، أم يردها ؟ واذا ماذا يصنع ؟ فأنت ترى الى هذا الموقف المعقد والى ما فيه من حرج .

وموقف الشيخ ! أتظنه يخلو من الحرج ؟ كلا فقد عفا عن امرأته ، وقد استطاعت امرأته أن تمحو ما في نفسه من موجدة . وهو يحب امرأته ويريد أن يحميها من كل مكروه ، وقد كان هذا يسيرا ما خفيت القصة على الفتى ، ولكن الفتى قد عرف القصة ، ووقف الشيخ منه في صراحة موقف الغريب فماذا يصنع ؟ وكيف يعصم امرأته من احتقار ابنها وسخطه ؟ وهو كان أحب الفتى واتخذه ابنا حقا وقد ظهرت خبيئة الأمر ، فماله بشيء هذ الفتى ؟ ومع ذلك فلم يأثم الرجل ولم يقترف خطيئة ، وانما تكلف أتهام نفسه ليخفف عن امرأته وليعطف الشاب على أمه . ما خانها ولا تعمد اغراءها وتوريطها في الاثم . ومهما يكن من شيء فهو لا يطلب الآن الا أن تجهل امرأته أن ابنها قد ظهر على جلية الأمر . وهو يائس أو كاليائس من حب هذا الفتى . وقد ضحى بنفسه مرة أخرى ، على أنه قد لقي من حب امرأته ما عزاه عن تضحيته الأولى ، فلعله يلقى من احسانه الى الناس ومن حب الفتاة مايعزيه عن التضحية الثانية .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فقد مضى أسبوعان على ما كان في الفصل الثاني . ونحن نرى الشيخ في عيادته ويستقبل المرضى ويطب لهم .

ولكنه متعب قد ظهر عليه السأم والضيق · حتى اذا انصرف آخر مرضاه دعا الخادم فيأمرها بأن تذهب الى الصيدلى وتطلب اليه أن يحتال فى ألا تدفع اليه احدى مرضاه ثمن الدواء ، فهو كثير وهى فقيرة ، ولكنها عزيزة النفس لا تقبل الصدقة ، فليخدعها الصيدلى اذا وليخيل اليها أن الدواء رخيص ، وليضف قيمته الحقيقية الى حساب الطبيب ·

وانظر الى امرأة الطبيب قد أقبلت محزونة تشكو الى زوجها ضيق ابنها وانصرافه عنها وعن خطيبته ، وتلتمس لذلك العلل والأسباب ، وتخبر زوجها بأن الرسائل متصلة منذ أيام بين ابنها وبين وزارة الحرب · وهى مشفقة من ذلك ، والشيخ يعزيها فى مودة وحب ، ولكنه لا يظفر من تعزيتها بشىء ، وهى تطلب اليه أن يتحدث الى الفتى ويعظه لعله يكشف من أمره شيئا ، ولعله يرده الى حب أمه وخطيبته والرفق بهما · فيتردد ثم يذعن ، وتنصرف امرأته وترسل اليه الفتى ·

وما هى الا أن يتحدثا حتى نعلم أن الفتى قد طلب الى وزارة الحرب عملا ، فعرضت عليه بعثة فى الصين حيث الحرب قائمة فقبل · ومهما يفعل الشيخ ومهما يحتل ومهما يتلطف للفتى فلن يغير رأيه ولا عزمه · والموقف هنا بديع مؤثر حقا · فالشيخ يصطنع اللين حينا ، والاستعطاف والعنف حينا ، والتذير ، والفتى ثابت لا يتزحزح عن موقفه قيد شعرة ، ولم يتزحزح عن موقفه وهو ابن الحرب قد كونته كما أرادت لا كما أراد ! لقد انفق من عمره أربع سنين فى قتل وتدمير ، يقتل النساء والأطفال والشيوخ والشبان ، لا رأى له فى ذلك ولا ارادة ، ويواجه الموت يتقيه مرة ويرسله على الناس مرة أخرى ، فكيف تريده على أن يكون كغيره من أبناء السلم ! انه يعلم حق العلم أنه يمزق قلب أمه وخطيبته وقلب الشيخ أيضا ، ولكن ماذا يعنيه من هذا كله ! أليس ابن الحرب قد صورته فى هذه الصورة ! فليكن مصدر ألم ، وليكن مصدر موت ، فكذلك أرادت الجماعة ان يكون · وقد يئس منه الشيخ ، واقبلت امه يائسة أيضا تسأله : أحق ما انبأتنى به خطيبتك من أنك مرتحل الى الصين ؟ يجيبها نعم !! فما اشد تأثير هذا الموقف بين الفتى

وامه : تستبقيه ضارعة فلا يحفل ، تحاول أن تعرف السر الذى يضطره الى هذا العزم فلا تفلح • وهى تفترض الفروض ، وتتوسل الى الفتى بخطيبته ، ثم يخيل اليها أنه لا يحب هذه الفتاة فتجتهد فى صرفه عنها • ويكون بينهما حوار بديع مؤلم نتمثل فيه نحن الى أى حد انسيت هذه المرأة اثمها وانصرفت عن خطيئتها ، والى أى حد أثر هذا الاثم فى نفس الشاب وأفسد عليه أمره •

وينصرف الشاب وقد أيأس الشيخين من نفسه • ولكن أمه قد عرفت الآن أنه قد ظهر على جلية الأمر •• فانظر اليها منتحبة بين ذراعى زوجها ، وهو يعزيها وينبئها بأنه قد اتهم نفسه ما استطاع ليخفف عنها الوزر أمام ابنها • فاذا رآها تسرف فى البكاء خيل اليها انها تبكى ندما لما تذكر من اساءتها اليه • ولكنه لا يلبث أن يتبين انها تبكى على ابنها لا عليه • فليضح بنفسه مرة ثالثة ! أليس يحب هذه المرأة ! أليس يحب هذا الفتى ! فليعز هذه ، وليجتهد فى امساك ذاك • ولكن ليس الى امساك الفتى من سبيل •

* * *

فنحن فى الفصل الرابع وقد أخفق الشيخ وامرأته والفتاة فى صرف الفتى عن عزيمته • ونحن فى طولون ثغر فرنسا الحربى حيث يأخذ الفتى سفينته الحربية الى الصين • وقد أقبل الجماعة كلهم يودعونه • ونحن فى أحد المطاعم المطلة على البحر حيث السفينة وحيث يستطيع المودعون أن يروا السفينة حين تقلع ويتبعوها بأبصارهم حتى تغيب • وأنا أعفيك من هذا الحوار اللذيذ الطويل بين الشيخ وصاحب المطعم ، وأنتهى مسرعا الى هذا الموقف البديع بين العاشقين • فقد التقيا وتعاهدا على الحب والأمانة والوفاء ، وأعلن كل منهما الى صاحبه خبيئة نفسه • ولكن انظر الى الفتاة تطلب الى صاحبها أن يرفق بأمه فقد أثمت كارهة • ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم لنفسه العصمة من الاثم ! وأن يحب الشيخ ولو قليلا فقد كان زوجا برا وأبا رحيما • وما ذنبه فى كل ما كان !

فاذا سأل الفتى صاحبته : كيف عرفت سره ، أجابته : لقد أخبرتنم به أمك واتخـذتني سبيلا الى استعطافك وحملك على الرفق . وانظر إ الفتى وقد تأثر بهـــذا كله ، بمكان أمه من نفسه ، ومـكان هذا الشي الخيــر البريء ، ومكان هذه الفتاة الطاهرة المحبة تستعطفه على هذين البائسين. وقد أقبل الشيخان ، فالفتى رفيق بهما ما استطاع ، يظهــر لأمه من العطف والمودة ما يملـؤها رضـا ، ويقبل الشيخ ولكن دون أن يقول له شيئا ، والشيخ يرضى بهذه القبلة وهو واجم ، لأنه كان ينتظر كلمة مودة لم يظفر بها .

وأقبل ضابط من السـفينة يتعجل الفتى ، فيـودع القوم جميعا ، ولكنه قد لا يقول للشيخ هذه الكلمة التي كان ينتظرها . وقد مضى نحـو السفينة ، وهم جميعا يتبعونه بأبصارهم ، الا الشيخ فـهو على كرسيه واجم محزون . ولكن القوم يسمعون من الفتى صوتا لا يتبينونه ، ثـم لا يلبثــــون أن تبينوا ، فاذا الفتى يدعو أباه ، واذا هم جميعا يدفعـون الشيخ دفعا الى النافذة حيث يرى الفتى ويسمعه يدعوه بهذه الكلمة التي كان ينتظرها : « الى اللقاء يا أبت !! .. »


زوجها
قصة تمثيلية : للكاتبين الفرنسيين
بول جيرالدي و روبير سبيتزر

بول جـيرالدى كاتب يفتن به المترفون فى شعورهم وعواطفهم من الفرنسيين ، لأنه مترف فى شعوره وعواطفه ، ومترف بنوع خاص حين يحلل العواطف والشعور . تناول طائفـة من الموضوعات فى قصصه التمثيلى فاستطـاع أن يبلغ من دقة التحليل ولطف المدخل الى القلوب ما أسرع به الى بيت موليير وانزله منه منزلة رفيعة .

ولست أدرى أيذكر القارىء أنى تحدثت اليه فى غير هذا الموضع عن قصة من قصصه التمثيلية سماها الحب ، وحلل فيها الصلة بين زوجين متحابين يعرض لهما من أسباب الفتنة ما يصرف المرأة عن زوجها حينا ، ثم تتكشف الخبـرة لهذه المرأة عن حقيقة الأمر فتتبين أنها كانت مفتونة لا عاشقة ، وأن حبها انما كان مقصورا على زوجها حتى فى أشد أوقات الفتنة . ذلك لأن الحب شىء غير الشغف وغير الهيام وغير هذه الشهوات التى تملك النفس فتفسد عليها الأمر حينا . فيه ثقة تمكن المتحابين من أن يطمئن كل منهما الى صاحبه ، فلا يسمح لنفسه بالشك فيه ولا يتخيل هذا الشـك ، وتمكنهما من أن يعتمد كل منهما على صاحبه اعتمادا لا حد له . فيه هـذه الثقة التى تمكن الزوج من أن يجيب امرأته حين أنبأته بأن فلانا يتبعها بحبه وطلبت اليه أن يحميها من هذا الحب : « مثلك لا يحتاج الى حماية ولا حراسة ، ولا خير فى حب يتكلف صاحبه أن يقوم دونه يدفع عنه المغيرين » . ثم فيه الى جانب هذه الثقة ألوان من الذكرى يسيرة ضئيلة فى نفسها ، ولكن الحب يتألف منها ، أو قل انها هى التى تؤلف حياة المتحابين .

وقد وفق «بول جيرالدى» فى هذه القصة توفيقا عظيما دون أن يحتاج الى حركة أو مشقة فى تدبير هذه الحركة ، وانما هى كلها حوار بين الزوجين أو بين المرأة وذلك الذى أراد أن يفتنها . ثم لم يقف توفيق «بول جيرالدى» عند هذه القصة بل تجاوزها الى قصة أخرى فتنت الباريسيين فى السنة الماضية ، وهى قصة « روبير وماريان » وهو على هذه الاجادة فى التمثيل شاعر مجيـد

دقيق ، يحبه الفتيان والفتيات ، ويقرأون له بنوع خاص ديوانا صـــــغيرا عنوانه « أنت وأنا » تناول فيه العلاقة بين العاشقين من نواحى الحياة المنزلية اليومية فى لطف ودعة وخفة روح •

ولكن «بول‌جيرالدى» على هذا كله صاحب جد ، وحظه‌من الهزل قليل هو مترف فى جده ، خفيف الروح ، يحاول الدعابة والفكاهة ولكنه لا يبلغ منهما مايريد ، أو هو لايريد أن يبلغ منهما شيئا • وكأنه كان محتاجا الى أن يعينه زميله الذى اشترك معه فى وضع هذه القصة التى أتحدث اليك فيها اليوم • كان محتاجا الى هذه المعونة ليلائم بين جـــده وفلسفته المترفة وبين ما يحتاج اليه الباريسيون فى هذه الأيام من الفكاهة واللهو حتى فى أوقات الجد والتفكير العميق •وقد ظفر « بول‌جيرالدى» من معونة زميله بما أحب وبما أحب الباريسيون ، فجاءت هذه القصة الأخيرة آية فى الجد والفكاهة معا • فأنت لا تستطيع أن تمضى فى قراءتها دون أن ترى نفسك مغرقا فى الضحك، ولكنك فى الوقت نفسه مغرق فى التفكير والتأمل • ذلك لأن الموضوع كله جد ، ولكن‌الصورة كلها هزل ، لفظ رشيق ، فيه‌عبث كثير ،ولكن‌من‌دون‌هذه الرشاقة والعبث حقيقة من هذه الحقائق التى يجب على كل انسان أن يفــكر فيها وأن يلائم بينها وبين سيرته مع زوجه •

وفى الحق أن روحى هذين الكاتبين قدالتأما فى هذه القصة التئاما بديعا • وحسبك أنهما استطاعا أن يحملاك على أن تفــكر فى أشد الموضوعات خطرا دون أن تجد فى ذلك مشقة أو عنفا ، بل على أن تجد فى ذلك لذة لا تعدلها لذة • ولكن هذه المشقة التى لاتجدها أنت حين تقرأ القصة أجدها أنا حـــين أحاول أن ألخصها لك • ذلك لأنى أستطيع أن ألخص لك موضوعها وغرضها ، ولكنى لن أستطيع أن ألخص لك شكلها وصورتها وحوارها وما فيه من رشاقة وخفة وسرعة ، فكل ذلك لا سبيل الى نقله الا فى ترجمة دقيقة ليست من السهولة واليسر بحيث تظن •

فلأعرض عليك ما أستطيع من هذه القصة معترفا منذ الآن بأنه تلخيص للموضوع لا أكثر ولا أقل • ولأسلك فى هذا العرض الطريق التى تعودت أن

أسلكها فى غير هذه القصة ، فأضع أمامك الأشخاص كما أراد صاحب القصة أن يكونوا .

والقصة تعتمد قبل كل شيء على التناقض بين شخصين متباينين تباينا تاما فى الطبيعة والذوق والمزاج ، ولكنهما يخدعان عن نفسيهما ويخيل اليهما أنهما متفقان مؤتلفان لا تباين بينهما ولا تناقض .

فأما أحد هذين الشخصين فالزوج ، واسمه « مكسيم مينار » رجل من أغنياء باريس وأصحاب الأعمال فيها ، رجل كغيره من الناس ، عادى فى ذوقه ومزاجه ، وربما كان الى الطبقة السفلى أقرب منه الى الطبقة العليا ، فان امتاز بشيء فهو يمتاز بجده فى العمل ومهارته فى تصريف الأمور المالية ، وهو لذلك كثير الصمت قليل الكلام قليل الحركة أيضا ، لا يكاد يتصور الحياة الا على أنها انهماك فى العمل حين يكون فى مكتبه ، وأكل ونوم حين يأوى الى بيته . وهو على ذلك قانع بهذه الحياة ، يرى فيها المثل الأعلى للسعادة .وهو لايفهم من الزوجية الا أن يرى امرأته فى البيت زينة له وأداة لنهوه الذى لا يصيب منه الا قليلا من حين الى حين . وهو يفهم الأمانة الزوجية كما يفهمها غيره من الناس ، لا يخون زوجه ولايريد أن تخونه زوجه، يكره العبث ، ويسيء الظن بكل لون من ألوان المجون والمزاح ، ولكنه مع هذا كله ضعيف طيب القلب مستعد للعفو ان وقع له ما من شأنه أن يحفظ الرجال . هو رجل طيب ولكنه يعيش فى الأرض وليس له جناحان يستطيع أن يرتفع بهما فى الجو ولو قليلا .

أما امرأته « جاكلين » فجميلة خلابة ككل نساء القصص . ولكنها تناقض زوجها أشد المناقضة ، فهى قوية الخيال تعيش فى السماء لا فى الأرض ، لاترى الناس كماهم ، وانما تراهم كماتحب أن يكونوا ، تصوغهم صوغا خاصا ، وتسبغ عليهم صورتها الخاصة ، ثم تعيش معهم بعد ذلك عيشة راضية ملؤها الصفاء والطهر والثقة والايمان . ذلك أن نفسها تتصف بهذه الصفات كلها ، فهى راقية تتنزه عن الدنيات . وهى طاهرة لا يكاد يخطر لها الاثم على بال . وهى مطمئنة على نفسها فيبعثها ذلك على أن تطمئن الى الناس وتثق بهم ثقة

لا حد لها . وهي على هذا كله مترفة في تفكيرها وشعورها ، رقيقة العاطفة ، رقيقة المزاج قوية الحس ، تألم لكل شيء وتسر لكل شيء ، وتنتقل من الألم الى السرور ومن السرور الى الألم في سرعة غريبة ، تعيش في حلم مستمر ، وهي بعد هذا كله قد صاغت زوجها في صورة ملائمة لصورتها ، فاستيقنت أنه أجل الناس ، وأكرمهم ، وأرقهم طبعا ، وأصفاهم مزاجا ، وأبعدهم نظرا ، وأصدقهم حكما على الأشياء والناس أيضا ، حتى اذا أسبغت عليه هذه الصورة الجميلة الخلابة أحبته وفتنت به ، واندفعت في هذا الحب والفتنة الى أقصى أمد ممكن ، وأخذت تؤول عيوبه على أنها محاسن ومزايا . هو كثير الصمت لا يتحدث اليها في الحب والغزل ذلك لأنه رقيق دقيق ، ولأن الحب اجل من أن يتناوله الكلام ، ولأن الكلام يفسد الحب اذا تناوله . وما حاجتها الى الكلام ! أليس يكفي أن ينظر اليها زوجها فترى في هذه النظرات ما تشاء من حب وشغف وولاء وإخلاص ! وهو لا يحب اللهو ولا السمر ، وما حاجتها الى اللهو والسمر ! أليس ذلك دليلا على أنه رجل جد وعمل ! وما حاجتها تراه وقد عاد الى البيت فنظر في رسائله ثم قال بصوت مغضب: مالنا لانذهب الى المائدة ! ان في هذا كله لحبا وفتنة . وعلى هذا النحو احبت زوجها وسعدت بحبه ثلاثة أعوام كاملة ، واتخذت نفسها وزوجها مثالا أعلى للأسرة السعيدة المتحابة . ولكنها كانت تجهل زوجها ، وكانت تجهل نفسها أيضا ، وكانت في حاجة الى حادثة من الحوادث تظهرها على حقيقة نفسها ، وتعرض عليها زوجها كما هو ، وتنزلها من السحاب الذى كانت تعيش فيه الى الأرض لترى الناس والأشياء كما أراد الله أن يكونوا لا كما صورهم الخيال .

ومن غريب الأمر أن في هذه القصة شخصا ثالثا يناقض « جاكلين » من بعض الوجوه ، ويوافقها من بعضها الآخر ، وهو مثل شائع الآن في فرنسا . هذا الشخص هو « جيزيل » أخت « جاكلين » . فتاة تدرس الطب ، حرة في لفظها وحركاتها وسيرتها ، مسرفة في هذه الحرية ، لا تتحرج من أن تستعمل في لغتها ألفاظا يألفها الطلاب وحدهم وينفر منها المترفون ، ولا تتحرج من أن تقضي يومها وشطرا من ليلها مع الشبان في لهو وعبث ومجون ، ولا تكره أن تعود الى بيتها بعد منتصف الليل وقد لهت ورقصت وصاحبها الى البيت شاب من زملائها في الدرس ، ولكنها على هذا كله طاهرة السيرة ، تستطيع أن

تقول لأختها انها على عبثها ولهوها لا تزال عذراء وستظل عذراء . وهى لاتكره أن تعلن الى أختها فى صراحة أن الحب قد بطل فى هذا العصر ، وأن البدعة انما هى فى الدعابة والعبث ليس غير . ومن دون هذا كله قلب خير ملؤه البر والحنان ، ونفس راقية تحب المثل الأعلى وتطمح اليه ، ولكنها تراه عزيزا فتتسامح ، وتنظر الى الحياة مبتسمة فى شىء من السخرية المرة تغشيها حلاوة متكلفة . هى كأختها لولا أن حظها من العقل يفوق حظها من الخيال .

وهناك شخص رابع هو أم هاتين الفتاتين ، امرأة متقدمة فى السن تمثل عصرها وتعيش غريبة فى هذا العصر الجديد ، لا تفهم « جاكلين » لأنهـــا تعيش فى السحاب ، ولا تفهم « جيزيل » لأنها تحللت من القيود المألوفة ، وهى معذبة بينهما دائما انهما ستقلانها .

ثم هناك شخص خامس نستطيع أن نقول انه البطل الثانى من أبطال هذه القصة ، وهو « اندريه مورو » شاب قد جاوز الثلاثين قليلا ، حسن الطلعة ، منقن الزى ، غنى ، متصل بالأسر الراقية ، شديد الحياء ولكنه حاد العاطفة والمزاج ، ضعيف فيما يظهر لا يكاد يملك نفسه ولا يسيطر على عواطفها ، أكاد أرى أن الكاتبين قد خلقاه خلقا وبعدا به بعض الشىء عن الأشـــخاص المألوفين . وهو كما خلقاه خفيف الروح جذاب ، عذب اللسان منطلقة ، يندفع فى ذلك حتى يخيل اليك أنه مجنون ، وهو فى حقيقة الأمر مجنون ، قد ذهب الحب بعقله حينا فأصبح كهؤلاء الذين يخضعون للتنويم المغناطيسى .

* * *

هؤلاء هم أشخاص القصة . والقصة فى نفسها قصيرة كما أن الوقت الذى تقع فيه قصير ، لايكاد يتجاوز اليومين . أو قل لايكاد يبلغهما . وهى تذكرنا كما قلت بقصة الحب لولا أن الزوجين فى قصة الحب كانا مؤتلفين فى رقة الطبع ورقى النفس ، وهما فى هذه القصة مختلفان ، ومن هنا انتصرت الزوجية فى قصة الحب ، وانهزمت فى هذه القصة ، لولا أن قصة الحب جد كلها ، وهــذه القصة جد قد صيغ فى لفظ فكاهى .

نحن فى بيت فى « جاكلين » آخر النهار وقد فرغت من استقبال زائريها فى هذا اليوم الذى تعودت أن تستقبلهم فيه كل أسبوع ، وخلت الى أختهـــا « جيزيل » فكان بينهما حديث نفهم منه الفرق بينهما فى الطبيعة والمزاج ، هما تتحدثان عن صديقة لجاكلين ، فأما « جاكلين » فمفتونة بهـا قد أسبغت عنيها صورتها الخاصة وأخذت تسرف فى الثناء عليها • وأما « جيزيل » فقد رأتها كما هى ، وأخـــذت تهون من شغف أختها • وتمضيان فى الحديـث فتتناولان أشياء كثيرة يظهر فيها مابينهما من الاختلاف فى الذوق والحكم ، ولكن يظهر فى الوقت نفسه أن بينهما حبا ومودة تقربان مسافة هذا الخلف وتعطف كلا من الأختين على الأخرى • وقد لامت « جاكلين » أختها لأنهـا لاتزورها كثيرا ولا تثق بها ولا تطمئن اليها فى الحديث ، واتفقتا بعد حوار طريف على أن تستأنفا حياة الأختين فى ثقة وطمأنينة • وقد فهمنا من هذا الحديث أيضا أن « مكسيم » مسافر لبعض عمله فى بلجيكا ، ورأينا حب « جاكلين » اياه ، وفهمنا أن « جيزيل » مزورة عنه بعض الازورار • وتقبل أمها مضحكة مضطربة لا تدرى علام تقبل من الأمر ، أتمكث مع ابنتها أم تعود الى بيتها ، ثم يستقر رأيها على العودة فتنصرف مع ابنتها الفتاة وتخلو « جاكلين » الى نفسها • فنحس أنها تشعر بشىء من الضجر بوحدتها ، وهى تريد أن تنصرف الى غرفتها فتتناول فيها العشاء ، وهى تهم بذلك لولا أن الخادم يدخل عليها رجلا ، تنظر اليه فاذا هو « مورو » • وكانت قد رأت هذا الشاب مرة واحدة فى بعض الأسفار فأنست اليه وأنس اليها ، وتحـــدثا فأطالا الحديث • وأقبل هذا الشاب يزورها فى يوم استقبالها ، ولكنه أقبل متأخرا فيعتذر من هذا التأخر أول الأمر ثم يعترف بأنه تعمده بعد ذلك ، ثم يفتن فى الثناء على «جاكلين» ويظهر اغتباطه بذلك الحديث ، ثم يهم بالانصراف معتذرا ولكنه يلتمس سبيلا للبقاء ، أو يلتمس سبيلا الى العودة ، فيعرض على صاحبته أنه يريد أن يستشيرها فى أمر ذى بال ، وان الوقت متأخر فهو يستأذنها فى أن يعود ليستشيرها فى زيارة أخرى • أما هى فتكاد تحس رضاها عن هذا الحديث وميلها الى هذا الفتى • وقد أذنت له أن يعود ، ثم بدا لها فأمرته أن يبقى ، وأن يعرض قصته فورا • فيبقى ، وينبئها بأنه اختلف فى الشتاء الى احدى الأسر فاتصلت المودة بينه وبينها ، وفى هذه الأسرة

فتاة . فاحس أن الأسرة تطمع في أن يخطبها ، فهو مضطرب لايدرى أيقطع الصله بينه وبين هذه الأسرة لأنه لا يريد أن يتزوج أم يحتفظ بها • أما « جاكلين » فتدهش لأن صاحبها يستشيرها فى مثل هذا الأمر وهى لا تكاد تعرفه ، ولكنه قد أنس اليها حين رآها فى المرة الأولى ورأى منها صراحـة ونصحا واخلاصا فطمع فى أن يستشيرها واطمأن الى رأيها • وهى لا تدرى بم تشــير عليه ، ولكنها كما قلت لك طيبة النفس ، صـادقة العاطفـة • فانظر اليها وقد اندفعت تلوم صاحبها لوما عنيفا لأنه يستشيرها فى مثل هذا الأمر وهى ترى أنه أمر لا يحتمل المشورة ، فأنت بين اثنتين : اما أن تحس بشىء من الميل الى هذه الفتاة ، واذن فاحتفظ بالصلة وامض حتى تنتهى الى الزواج ، واماألا تحس شيئا واذن فلاينبغى أن تطمع هذه الفتاة ولاآن تضللها• وصاحبنا لايحس شيئا واذن فسيقطع الصلة • ولكن « جاكلين » يروعها هذ وتشفق أن تكون مشورتها عقبة فى سبيل السعادة الزوجية التى تطمع فيها هذه الفتاة ، فتنصح لصاحبها بالأناة والتفكير ، وتندفع فى حديث عن الحب لذيذ كله حرارة وصدق واخلاص ، وقد اندفعت فيه حتى تناولت نفســها وزوجها وسعادتها ، ولم تفكر أو قل لم تشعر بما تترك فى نفس هذا الشاب من الأثر • وهى تجد لذة فى حديثها اليه ، وهو يجد لذة فى الاستماع اليها، وماتزال فى الحديث وما يزال هو فى الاستماع والسؤال أحيانا حتى ينتهى الأمر الى أقصاه ، وقد خلبت الفتى وحببت اليه الزواج ، فاستقر رأيه على أن يسرع الى بيت الفتاة فيخطبها من فوره • وهى الآن تنصح له ألا يتعجل فى الخطبة بعد أن كانت تنصح له ألا يتعجل فى القطيعة •

وقد فهمنا من كل هذا أنها تجد لذة فى الحـــديث الى الفتى ، وأن الفتى مفتون باستماع حديثها • وهما فى ذلك وقد تقدم الليل واذا « مكسيم » قد أقبل ولم يكن منتظرا ، انما كانت تنتظر عودته من الغد• أقبل فلم يجد أحدا من الخدم ، وعالج باب الدار حتى فتحه ، وتقدم حتى انتهى الى غرفة الاستقبال دون أن يظفر بخادم ، فلما دخل الغرفة رأى زوجه تتحدث الى أجنبى • دهش ودهشت وبهت الزائر ونهض مودعا وانصرف ، وخلا الزوجان ، ولكن بينهما شيئا • أما هى فلم تكن تنتظر هذه العودة ، وأما هو فلم يكن ينتظر أن يرى

هذا الأجنبي ، ولم يكن ينتظر أن تستقبله امرأته هذا الاستقبال ولا سيما وقد قدم عودته يوما وأبرق بذلك الى امرأته ، ولكن الرسالة لم تصل اليها ، وقام الدليل على ذلك فوصلت الرسالة أثناء حوارهما • ولكن في نفس الرجل شيئا على كل حال ، فهو يسأل عن هذا الأجنبي في شيء من الازدراء أول الأمر ، ثم تشتد عنايته به شيئا فشيئا ويظهر الشك قليلا قليلا • والمرأة مخلصة في الاغتباط بعودة زوجها ، ولكن هذا الشك يؤلمها • يدهشها أولا ، ثم يؤذيها ، ثم تحس الاهانة ، ثم تكبر نفسها وترى أنها أرفع من أن تهبط الى حيث تدافع عن شرفها • وبينما تغلو في الكبرياء يغلو زوجها ان هذه آثار الخوف وبينما تؤثر الكبرياء فيها فيظهر عليها الغضب يظن زوجها أن هذه آثار الخوف والريبة ، وما هي الا أن ينتهي الى اللوم ثم الى التعنيف ، وكلما مضى في ذلك اشتد سخط المرأة وكبرياؤها ، فخيل اليـــــه أن الخوف والذعر هما اللذان يشتدان ، حتى ينتهي به الأمر الى الاتهام ، وينتهي بهـــا هي الأمر الى أن تزدري زوجها فتتهم نفسها أيضا • وقد انتهت الغيرة بالرجل الى أقصاها ، وانتهى الغضب والكبرياء بالمرأة الى أقصاهما فتركت زوجها وأغلقت من دونه البـــاب •

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فنحن حيث كنا في الفصل الأول من الغـــــد ، و « جاكلين » منصرفة الى أعمال بيتها تأمر خادمها ببعض الشأن • ونحن نحس أنها تألم وأنها ترى أن قد أهينت في كرامتها وكبريائها ، ولكنها لا تقول شيئا ، ولا تظهر شيئا • ولكن هذه أمها قد أقبلت في شكلها المضحك دائما ، وهي مضطربة مذعورة ، فاذا رأتها ابنتها خيل اليها انها مريضة ، ثم ظنت أن أختها قد آذتها ، ثم تبينت آخر الأمر أن زوجها قد ذهب اليها وقص عليها ما كان أمس وغلا في القصص ، فيسوءها ذلك ويؤذيها في شرفها وكبريائها • ولكنها تطمع في أن تكون أمها قد دافعت عنها • وقد فعلت أمها فنهرت الرجل وقالت في ابنتها ما تقوله الأمهات • و « جاكلين » اذن سعيدة تقبل أمها في حنان وبر • ولكن لا تلبث الشيخة أن تطلب الى ابنتها أن تستعطف زوجها وتصلح ما بينهما من الأمر • فاذا مضت في الحديث قليلا أحست « جاكلين » أن أمها قد صدقت ما قال فيها الزوج ، فتكلفت الدفاع ولكنها مقتنعة فيما بينها وبين

نفسها بأن ابنتها آثمة ، فيؤلمها ذلك ويؤذيها ايذاء شديدا تكتمه ولكنه مع ذلك ظاهر ، لاتكاد تفهمه الشيخة ، ونفهمه نحن فى وضوح وجلاء ·

وهذه « جيزيل » مقبلة · ولست ألخص لك محاولة الشيخة اقصاءها واخفاء الأمر عليها فى حوار بديع وحركات مضحكة ، ولكنها قد دخلت على كل حال وخنت الى أختهـا ، وهى تذكر ماكان بينهما من عهـد أمس ، وقد سمعت « مكسيم » وهو يحدث أمها بالقصة فاقبلت تؤاسى أختها وتظهر لها العطف والنصح والمودة · واسمع لها تهنىء أختها بأنها قد اتخذت لها خليلا وخانت هذا الزوج الذى لايستحق الا أن يخان ، واذن فهى أيضا تتهم أختها وتصدق فيها الفاحشة ! فلا يزيد ذلك « جاكلين » الا ألما ويأسا ، ولكنها تملك نفسها وتأخذ الأمر فى سخرية وعبث من دونهما ألم شديد ·

وهن فى ذلك واذا بالخادم يستأذن لمورو ، فأما الشيخة فيحنقها ذلك · وأما « جاكلين » فتستقبله ، وهى تستقبله باسمة وهو يقص عليها أمره وأنه خرج من عندها أمس متأثرا مفتونا فلم يملك نفسه فذهب لى أهل الفتـــاة وجلس اليها ، ثم لم يلبث أن تحقق أنها لاترضى مثله الأعلى ، فانصرف عنها وعدل عن اتخاذها زوجا · وهذا كله يلهى «جاكلين » ويلذها ويسليها بعض الشىء · ولكن الفتى يمضى فى حديثه فيخبرها بأنه وان كان قد انصرف عن هذه الفتاة وعرف أنه لا يحبها ، يشعر مع ذلك بأنه يحب · وآية ذلك أنه لم ينم الليل ، وأنه يرى الحياة قد تغيرت كلها ، فهو اذن يحب ، ولكن من يحب ؟ وهو يفكر ويسأل نفسه · وانظر اليه وقدكشف الحقيقة فجأة وأعلنها فجأة : فهو يحب «جاكلين» ويعلن اليهاذلك فىلهجة مضحكة مؤثرةمعا· وهى تدهش لذلك أول الأمر ، ثم تغضب ثم تثور ، ولكن هذا كله لا يزيد صـــاحبنا الا اقتناعا بأنه يحبها والحاحا فى اعلان هذا الحب ، وهىتنهره وتطرده وتقصيه ، ولكنه لا يزيد الا الحاحا واصرارا · ثم يستكشف أنها هى لاتكرهه وقد لاتحبه، ولكنها تميل اليه بعض الميل · ويستدل على ذلك بأنسها اليه لأول ما لقيته واطمئنانها اليه فى المرة الثانية · وهى تدفع عن نفسها مغضبة ثائرة وقد زاد ذلك من ايذائها ، فزوجها يتهمها ، وأمها وأختها يصدقان هذه التهمة ، وهذا

الفتى لا يستبعد التهمة أيضا • وقد انتهت الى اخراج هذا الفتى ولـــكنها عذرت زوجها وأخذت تلوم نفسها على هذا الكبر الذى وضعها هذا الموضـــع السيىء ، وقبلت أو رغبت فى أن ترى زوجها وتستعطفه وتظهره على جليــة الأمر • ويقبل زوجها فتتلقاه باسمة واثقة مطمئنة وتترضاه ، ولكنها كلما حاولت أن تبسط له حقيقة الأمر مضى هو فى الاتهام ثم انتقل منه الى العطف ثم الى العفو • فهو اذن يأبى الا أن تكون زوجه آثمة ، وكبرياؤها تأبى أن تصرح له بجلية الأمر •وقد وقع بينهما ما لم يكن بد من وقوعه ، وظهر أنهما مختلفان اختلافا أساسيا ، فهو لايؤمن بها ولا يقدسها بل يراها كغيرها من النساء ، وهى تألم لذلك ولكنها تقبله وتخفى الألم وتشكر زوجها على العفو اذا طلب اليها هذا الشكر •

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن حيث كنا فى الفصلين الأولين من الغــد ، ولكننا نرى « مكسيم » ضيق الصدر ينتظر امرأته التى خرجت فأبطأت فى العودة ، وقد جاء ميعاد الغداء وهو جائع يتضور ، ويطلب الى الخادم ما يتبلغ به • وهذه « جاكلين » مقبلة ، فهو يلقاها ساخطا لائما ، يعنفها لأنها بعــد الذى كان أمس قد أسرفت فى عدم الاكتراث به • أما هى فتجيبه فى سخرية مؤلمة بأن هذا اللون من التشديد لا يليق به بعد هذا العفو الذى أصدره امس، على أنها قد تناولت غداءها فى باريس فى أحد المطاعم ، وعلى أنها لا تعرف أين تتعشى ، وعلى أنها قد تريد أن تذهب الى أحد المراقص • وكل هـــــذه الأحاديث يدهش لها « مكسيم » ثم يغضب ، ثم يحاول أن يستعمل سلطته وأن يقهر امرأته على أن تحيا حياة ملائمة •ولكنها تنكر عليه ذلك فى سخرية • أليس قد عرف أنها آثمة ثم عفا عنها فهو اذن يبيح لها الاثم ! فليبح لهــا الحرية • وهما فى هذا الحوار واذا أمها مقبلة ، فينصرف الرجل الى غدائه ، وتعلن الفتاة الى أمها فى شىء من الابهام والسخرية أنها لا تحب زوجها ، وأنها قد عرفته وكشفت أمره وقد كانت تجهله ، فهو رجل كغيرة من الناس ،وأمها لاتفهم من هذا الحديث شيئا • ويفرغ الرجل من غدائه ويعود فيسأل امرأته كيف تريد أن تقضى بقية النهار فلا تجيبه بشىء مقنع ، ثم تنصرف عنه مع أمها الى غرفتها • وتقبل « جيزيل » ، فاذا لقيها تنكر لها وتنكرت له ، ثم كان

بينهما حوار لذيذ يفهم منه « مكسيم » أن امرأته بريئة ، وأنها لم تأثم ،ونفهم نحن أن هذه الفتاة نادمة لأنها أساءت الظن بأختها وآذتها فى شرفهـــا . والرجل لايعرف كيف يحتال فى ارضاء امرأته ،فهو يقترح ألوانا من الترضية: يريد أن يستعطفها ، ويريد أن يهدى اليها هدية ، ويريد أن يقبلها ، ثم يبدو له فيرى أن الحل الملائم انما هو أن ينصرف ، وكذلك يفعل . وتأتى « جاكلين» فاذا رأت أختها كان بينهما حوار جاف نفهم منه ألم « جاكلين » وندم الفتـــاة وحنانها وكبرياءها أيضا .

ولكن هذا الخادم يستأذن لمورو ، فترفض استقباله ، ثم يعود الخادم فيلح وينبىء بأن مورو قد جلس وأعلن أنه لن ينصرف ، فتأذن له مغضبة وتستقبله منتهرة زاجرة . ولكنه الآن هادىء مطمئن رزين يطلب اليها فى صوت كله دعة وطمأنينة أن تتفضل بتناول العشاء عنده مع زوجها . أما هى فترفض مغضبة ويلح هو متلطفا فتابى . وقد أخذت تدهش لأنه لا يتحدث اليها فى حبه ، وهى لاتملك نفسها أن تسأله : أثاب الى الرشد منذ أمس ؟ فيعتذر فى دعة وهدوء . وكأنها تألم لتغير لهجته ، وكأنها كانت تريد أن تراه مشغوفا مفتونا فتنهره وتزجره فأخذها شىء من الحزن حين رأته هادئا يعتذر ، فهى تلومه فى لطف وحزن على ماكان منه أمس . وانظر اليه وقد انفجر وترك ما كان فيه من دعة وهدوء وأخذ يعلن اليها أنه يحبها ويحبهاويحبها ، وانه انما تكلف هذاالعشاء وهذا الهدوء ليستطيع أن يراها ، وانه كان يريد أن يعتدل ويهدأ ويزورها من وقت لآخر زيارة هادئة محتشمة مكتفيا بذلك ، فأما وقد أبيت الا أن يتكلم فهو يتكلم ، وهو يحبها ويحبها ويحبها . ونحس نحن أنها تجد شيئا من اللذة فى أن تسمع هذا الحديث ، ولكنها مع ذلك مغضبة ثائرة تنهره وتزجره وتزعم له أنه لايعرف من أمرها شيئا ، ولا يستطيع أن يحبها . ويأخذ هو فى وصفها ، حتى اذا انتهى الى أنها سعيدة فى حياتها المنزليـــة أنكرت عليه ذلك وألحت فى الانكار فاذا هو سعيد مغتبط ، يرى أنه قد هان كل شىء فى سبيل حبه ، فهو يقبل عليها يأخذ بيدها ويدعوها الى أن تمضى معه ، وهو يهم بتقبيلها وهى تدافعه عن نفسها فى قوة شديدة وضعف شديد معا . وهى قد اضطرت الى أن تستخدم آخر سلاح فتعلن اليه أنها عاشقة وأن

لها خليلا .. يصدق ذلك أول الأمر ، ثم لا يلبث أن يفطن فينكر وينكر فى عنف ، ويعلن اليها أنها تكذب لتدافع عن نفسها ، وأنه لن يصدق شيئا من هذا وأنه لو رآها بين ذراعى رجل لما صدق أنها عاشقة . وهو كلما مضى فى هذا الحديث صادف منها قبولا ورضا . وانظر اليها الآن مطمئنة هادئة ، ولكنها تبكى فى صمت وتشكر له ايمانه بها وحسن رأيه فيها ، ثم تطلب اليه أن ينصرف الآن ، فاذا أبى ألحت عليه فى رفق وفهمته أنها تحبه ، وأنهـا تعترف بهذا الحب . ولم لا ؟ فهو الشخص الوحيد الذى آمن بها وبرأها من هذه التهمة . وهو يقبل أن ينصرف ، ولكن على أن يعود اذا عجز عن المضى فى طريقه . وما يكاد يخرج حتى يعود زوجها باسما مبتهجا ، فينبئها بأنه قد استأجر لها مكانا فى الأوبرا حيث الرقص هذا المساء ، ولكنها تعتذر . واذن فسيصحبها زوجها للعشاء فى أحد المطاعم ، ولكنها تعتذر . واذن فسيبقيان فى البيت ولكنها تستدنيه وتنبئه بأنها لا تحبه وقد انصرفت عنه . أما هو فمغرور مفتون بنفسه واثق بسلطانه فهو لايحفل بهذا الاعلان ولكنه يمضى فى حديثه مداعبا هازئا وهى تطلب اليه حريتها فيجيبها فى دعابة وهزء ، وقد أقبل الخادم يستأذن مرة أخرى لمورو . فيأذن له مبتهجا بلقائه ، ويعتذر اليه بأنه أساء لقاءه فى المرة الأولى فقد كان متعبا من آثار السفر ، وهو يدعوه الى العشاء معهما هذه الليلة ، فيعتذر الفتى محرجا . ويعلن «مكسيم» أسفه ويلح فى أن يتعشى معهما فى احدى ليالى الأسبوع . ثم يعتذر ببعض العمل وينصرف عمدا تاركا لزوجه ترتيب أمر العشاء .

فاذا انصرف نظر كل من العاشقين الى صاحبه فى شىء من الحرج والضيق ثم جلس الفتى وطال الصمت حينا ثم أعلن اليها فى هدوء أن اسمه الخاص أندريه ...


الملصقات
تقدمك إلى كل الطبقات
شركة الاعلانات المصرية
★ تؤلف ملصقاتها أضخم شبكة إعلانية
من اللوحات فى القاهرة والاسكندرية
والطرق الصحراوية والأقاليم
★ تحقق للمعلنين الفائدة كاملة
من حملاتهم الاعلانية
★ خدمة فنية تقوم على الرقابة
الدائمة والصيانة الكاملة


الفؤاد المقسم
قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي
لوسيان بينار

هى قصة جديدة شهدها جمهور الباريسيين في بيت موليير آخر العام الماضي • ولعلها خير ما ظهر للناس في هذا الفصل من فصول التمثيل • وآية ذلك أنها ظهرت لأول مرة في بيت موليير (الكوميدى فرنسيز) ولم تحتج الى ان تتخذ اليه الطرق المعوجة أو المستقيمة التى تتخذها قصص أخرى فتظهر فى ملاعب مختلفة ولا تصل الى بيت موليير حتى يمضى عليها زمن طويل أو قصير •

وأنت لا تحتاج الى كثير من التفكير ، بل لا تحتاج الى شىء من التفكير اذا قرأت هذه القصة لتشعر شعورا قويا واضحا بأنها خليقة ببيت موليير ، ففيها كل ما يلائم هذا البيت من شدة الأسر وقوة الفكر وهذا الجد الذى تلذه دون أن يثقل عليك والذى تمتاز به الآثار الفرنسية القيمة • ولعل من الحق أيضا أن ألاحظ أنى لم أقرأ فى هذه الأعوام الأخيرة قصة حديثة أحدثت فى نفسى من الأثر ما أحدثته هذه القصة ، لا أستثنى الا ما يكتبه « فرانسوا دى كوريل » من حين الى حين •

فلست أقول شيئا جديدا ان قلت ان النقاد الفرنسيين يلاحظون أن فن التمثيل قد أصابه شىء من الفتور غير قليل فى هذه الأيام ، فقلما تجد فى عشرات القصص التى ينتجها الكتاب فى كل عام بل فى كل فصل قصة تملك عليك عواطفك ، وتأخذ عليك طرق الحياة والتفكير ، وتكرهك على أن تقف عليها وحدها حياتك العقلية والشعرية أثناء قراءتها فى مكتبك أو مشاهدتها فى الملعب ، انما هى قصص سهلة يسيرة ، فيها عبث ولهو أو فيها تفكير غير متقن ، وحوار خفيف لذيذ يمس الموضوعات فى غير اثقال ولا أناة ولا اعتصار لخلاصتها • فأنت تقرأ أو تشهد هذه القصص ، وأنت تجد فى هذا شيئا من اللهو والفكاهة أو تحتاج الى شىء من التفكير لا تلبث أن تنصرف عنه متى انصرفت عن

القصة . وأنت لا تكاد تنصرف عنها حتى تنسى موضوعها وحوارها واشخاصها ، وحتى ليحدثك فى أمرها محدث بعد أن يمضى على ذلك شهر أو بعض شهر فاذا أنت لا تكاد تذكر فيها شيئا ، فأما هذه القصص التى تقرؤها فاذا أنت تحفظ بعض حوارها حفظا ، واذا أشخاصها كلهم أو بعضهم قد ارتسموا فى نفسك ارتساما ، فأنت تراهم يقظان ، وأنت تتوهمهم نائما ، واذا موضوعها قد نصب أمام عقلك نصبا ، وأقسم لا يزول ولا ينتقل حتى تفكر فيه تفكيرا متصلا وحتى تجد له حلا يلائم عقلك وهواك . هذه القصص قد بعد العهد بها منذ مات « بول هرفيو » وانصرف كبار الكتاب الى مجدهم يلهون به ويستمتعون بثمراته ، كما يلهو اله ارسططاليس لأنه لا يعلم الا نفسه ولا يعجب الا بنفسه . حتى بعض الكتاب الذين عرفوا قبل الحرب بالقوة والأيد وشدة التأثير فى نفوس النظارة والقراء .

والذين لم ينصرفوا الى مجدهم وانما ظلوا عمالا لفن التمثيل يجدون فيه بعد الحرب كما كانوا يجدون قبل الحرب واثناءها ، قد أصابهم الضعف وأدركهم الفتور . فأنت تقرأ مايكتبون الآن فلا تحس ما كنت تحس من قبل ، بل أنت تنكر هؤلاء الكتاب انكارا وان كان النقاد قد مهدوا لقصصهم بالفصول الطوال ملؤها الثناء والتقريظ اللذان لا حد لهما . ويكفى أن تنظر الى ما يكتبه « برنستين » الآن وما كان يكتبه قبل الحرب لنقتنع بأن هذه الظاهرة حقيقة لا بد من ملاحظتها والتماس أسبابها للذين يعنون بهذا الفن من فنون الأدب الفرنسى . ولكنى لن أضيع وقتك ووقتى فى التماس العلل لهذا الفتور الذى طرأ على كتاب التمثيل ، فان هذا الفتور ليس مقصورا على التمثيل وحده وانما يتناول الأدب الفرنسى كله بعد الحرب ، ويجب أن تلتمس علله فى الحرب نفسها وما تركت فى نفس هذا الجيل من أثر . انما أردت أن ألاحظ أن هذه القصة التى أعنى بها اليوم تمتاز من هذه القصص الكثيرة التى تظهر وتختفى من ملاهى باريس دون أن تترك أثرا قويا أو ضعيفا . هذه القصة خليقة بالبقاء وستبقى ، وما أرى الا أنها ستعمر طويلا ، لأنها ـ كما

قلت ـ قد جمعت هذه الخصال التي تمتاز بها الآثار الأدبية الفرنسية القيمة .

ولننظر قبل كل شيء الى موضوع القصة ، فليس هو من هذه الموضوعات الضخمة الفخمة التي تخلبك لما لها من ضخامة وعظم شأن . وليس هو من هذه الموضوعات النفسية الدقيقة التي تسرف في الدقة حتى لا يلاحظها الا علماء النفس والذين وقفوا أنفسهم على تحليل ما لبعض الناس من ألوان العواطف والشعور الخاصة التي تدرس في المستشفيات . انما هو موضوع عادي في نفسه يراه كل انسان ويحسه ويشعر بآثاره ، لا يحتاج من ذلك الا الى حظ عادي من الذكاء والملاحظة ودقة الحس . وأي انسان لا يعرف أن كل امرأة ، مهما تكن مقسمة النفس بين أسرتها الجديدة وأسرتها القديمة . أي الناس لا يعرف أن كل امرأة تتعرض لهذه الأزمة أزمة الخصومة بين حياتها الزوجية وحياتها المنزلية الأولى !! ثم أي الناس لا يعرف **ان كل أسرة تتأسس فهي انما تتأسس على الأنقاض ، وهي إنما تقطع شيئا كان متصلا لتصل شيئا كان مقطوعا . فالفتاة حين تدخل في أسرتها الجديدة تقطع الصلة بين أبويها قطعا صريحا او غير صريح ، وتنشيء صلة جديدة مع زوجها وهذه الصلة يقويها الحب ان كان هناك حب ، ثم تقويها الحياة اليومية ثم يقويها الولد يوم يأتي الولد** . وقد أرادت الطبيعة الانسانية أن يكون الحب والمنفعة المشتركة بين الزوجين ، والولد وضعفه وحاجته الى التربية والتعليم ، ثم الأثرةالتي فطرنا عليها ، عناصر من شأنها ان تقوى الصلة الجديدة ، وتهون على لرجل والمرأة احتمال « عملية البتر » التي يحدثها الزواج بينهما وبين ابويهما . ولكن نفوس الناس جميعا ليست مستوية الحظ مع هذا الاحتمال ، وظروف الناس جميعا ليست متشابهة ، فقد يوجد الحب ويكون من القوة والشدة بحيث يلهى الزوجين عن قدميهما ويفنيهما في الجديد . وقد يكون هذا الحب قويا شديد التأثير ولكنه يصادف مزاجا قويا وفيا يستطيع ان يتسع للقديم والجديد ، وأن يزعم الوفاء للأسرة والزوج . وقد لا يوجد الحب أصلا ، فيظل

الزوجان متأثرين بقديمهما وتكون الخصومة بين هذا القديم وبين المنفعة الجديدة التي تستتبعها الحياة الزوجية ٠

ونحن لم نفكر الى الآن فى الزوجين ٠ فاذا فكرنا فى أسرتيهما فسنرى أن هاتين الأسرتين لا تقبلان فى رضا واطمئنان هذه القطيعة التى يحدثها الزواج بينهما وبين أبنائهما ٠ فأما اسرة الزوج فساخطة أشد السخط ، متألمة أشد الألم ، ذاكرة ما بذلت من جهد وما احتملت من تضحية فى تربية ابنها وتنشيئه ، حتى اذا استقام له كل شىء لم يجز أبويه الا بالعقوق ، واذا هو يؤثر عليهما امرأته ، واذا هو لا يحس أو لا يكاد يحس ما بينه وبينهما من صلة وما يعطفهما عليه من عاطفة ٠ وأما أسرة الزوجة فساخطة أشد السخط على هذا الزوج نفسه ، لأنه قد أخذ ابنتها من ناحية فقطع الصلة بين الأبوين وبين هذه الفتاة التى بذلا فى سبيلها ما بذلا من جهد ، واحتملا فى سبيلها ما احتملا من تضحية ٠ ثم هو لا يقطع هذه الصلة فحسب ، ولكنه لا يزال يحب أسرته ويعطف على أمه ، واذا فهو لا يحب امرأته كما ينبغى ! واذا فهو متصل بأسرته القديمة أكثر مما هو متصل بأسرته الجديدة !

كل هذه المعانى معروفة شائعة يحسها الناس جميعا ٠ وهى من الآلام الطبيعية التى تقوم عليها حياتنا الاجتماعية مهما تختلف الأزمنة والأمكنة ٠ وقد يكون من ألذ المباحث الأدبية التماس ماتركت هذه الخصومة بين الأسرة الجديدة والأسرة القديمة من الآثار الأدبية شعرا ونثرا فى مختلف اللغات ٠

والمعروف أن المرأة أشد اتصالا بأسرتها وأكثر وفاء لأبويها وأحفظ للمودة من الرجل ٠ وأنها فى الوقت نفسه شديدة الغيرة من أسرة زوجها ، تخاصم أمه خصاما شديدا ، وما تزال جادة فى هذا الخصام حتى تنتهى الى الفوز وتظفر لأسرتها الجديدة بالاستقلال ٠ ولكنها لا تحاول أو لا تكاد تحاول تحقيق هذا الاستقلال بالقياس الى أسرتها هى ، فالصلة بينها وبين أبويها قوية ، والمودة متصلة ، وهى تظهرهما من

أمرها على كل شيء وتستشيرهما في كل شيء • وزوجها يرضى حينا ويسخط حينما ، ويظهر الغفلة حينا ، وينتهي دائما الى الاذعان •

وقد اختار كاتبنا من كل هذه المعاني ومن كل هؤلاء الأشخاص المنبثين في الأرض كلها طائفة ضيقة صغيرة ، عرضها علينا في قوة ومتانة ودقة تفكير • وشيء من التعقيد جديد ما كنا ننتظره نحن ، ولكنه رفع القصة من مستوى القصص العادية ، كما يقولون الى مستوى القصص الممتازة بدقة البحث عن عواطف النفس وأهوائها • ذلك ان الكاتب محا أسرة الزوج محواً تاماً • فنحن لا نعرف أباه ولا أمه ، وانما نعرفه هو وحده ، ونعرفه قويا له من الارادة حظ عظيم جدا ، شديد السلطان على نفسه ، راغب في التسلط على غيره ، موفق في ذلك توفيقا عظيما ، وهو في الوقت نفسه هادئ المزاج حاد العاطفة ، هادئ في حياته العادية قلما يظهر عليه الاضطراب أو الغضب ، ولكنه حاد العاطفة • يحب فلا يستطيع أن ينظم حبه ولا أن يضبطه • ويريد فلا يستطيع أن يضعف ارادته ويحولها عن وجهها • وتقع الخصومة بين حبه وارادته فيندفع في الحب الى أقصاه ، وفي الارادة الى أقصاها • ولا يستطيع أن يغلب أحدهما على الآخر ، فيظل موضوع النزاع العنيف بينهما ، ولولا أن تعنى الظروف بانقاذه لذهب ضحية هذا النزاع • وهو الى هذا كله عالم طبيب يعنى بطبه عناية العلماء في المعمل ، منصرف الى تجاربه ، محاول ان يستكشف من هذا العلم مايغير وجه البحث عنه وطرق العلاج فيه • وهو قوى في علمه قوته في حبه وفي ارادته ، فهو عبد لهذه الأشياء الثلاثة : الحب ، والعلم والارادة • هذا الزوج هو « بيير ريجو » •

أما امرأته « فريدريك » فهي في السادسة والعشرين من عمرها ، جميلة خلابة ككل نساء القصص ، ولكنها قوية الارادة أيضا ، شديدة الكبرياء ، اذا همت فليس ما يصرفها عن همها مهما تكن النتائج • وهي محبة قوية الحب ، ليست أقل حبا من زوجها كما انها ليست أقل ارادة منه • ولكن ارادتها فيما يظهر أقوى من حبها ، فهي تستطيع أن

تسلو ، بل هى تستطيع أن تألم ، وتألم فى غير حد . ولكن حبها هذا مقسم ، فهى لا تحب زوجها وحـده ، وانما تحب أباهـا مع زوجها . ولنلاحظ أنها فقدت أمها وهى حـديثة السن ، فعنى أبوها بتربيتها عناية مضاعفة . ولنلاحظ أيضا ان أباها هذا شخص لا كالأشخاص : له حظ من قوة وبأس ، هو طبيب عالم كصهر ، ولكنه متقدم فى السن الى حد ما ، يدانى الخمسين ، وهو على ذلك قوى له حظ من شباب ، حلـو الحديث فتان للنساء ، مفتون بهن مقرب أليهن . يتهالـكن عليه ويتفانين فى حبه . وهو قد عنى بابنته عناية شديدة ، فأحبته ابنته حبا شديدا ، وأحبها هو كذلك . ولكن فى هذا الحب شيئا غريبا ، فهو لا يشـبه ما يكون بين الأب وابنته من البر والرحمة ، وانما يشبه ما يكون بين الزوجين من الحنان والفتنة . وآية ذلك أنك تبدأ فى قراءة القصة وتمضى فى الحوار بين الأب وابنته فلا تشك فى أنه حوار بين زوجين أو بين عاشقين ، ويأخذك الدهش حين تستكشف بعد صحف من القصة أنهمـا أب وابنته .

فأنت ترى موضع الخصومة ، وأنت تحس منذ الآن أن هذه الخصومة ستكون عنيفة لأن المختصـمين جميعا أقوياء ، ولأنهم جميعا يحبـون فيحسنون الحب ، ويريدون فيحسنون الارادة . وأنت ترى أن الأمر لو وقف عندما تعرف من هؤلاء الأشـخاص لما أمكـن أن تنحل الخصومة بينهم الا بشر وتضحية ، فيجب أن يضحى بالأب فى سبيل الزوجين ، أو بالزوج فى سبيل الأب وابنته ، أو بالقوم جميعا .

ولكنى لم أكشف لك من شخصية الأب الا عن وجه واحد . وهناك وجه آخر يؤثر فى حيـاة هؤلاء المختصمين وان كان شرا فى نفسـه وفى ظاهر الأمر بنوع خاص . هذا الرجل أثر مسرف فى الأثرة ، يدفعـه حبه لنفسه الى الكذب والتضليل واقتراف مايشبه الاثم ، وهو مضطر الى ذلك اضطرارا ، فقد رأيت أنه يحب ابنته هذا الحب الغريب ، وهو يلهـو مع طائفة من النساء ، ولـكنه يحب امرأة أخرى حبا طبيعيا حادا ، كما تحب ابنته زوجها . وكما يحب هذا الزوج امرأته . وهنا الحب الطارىء

هو الذى ينتهى بالقصة الى أرقى منازل العنف ، وهو الذى ينحدر بها ، ولـكن فى رفق ولـين ودعـة ، الى حيث الرضا والطمأنينة واستئناف الحياة الهادئة فى لذة وابتسام ، وشىء مع ذلك من المرارة غير قليل ٠

وفى القصة ، الى هؤلاء الأشخاص ، أشخاص آخرون ، نذكر منهـم « جاستون » أخا « فريدريك » ، طالب مسرف فى لهوه وعبثه ، يلهـو ويلهى النظارة بمزاحه وسخريته وجهله ٠

ونذكر منهم « كودريه » جد « فريدريك » لأنه شيخ ، رقيق ، سمح ، رزين ، حسن النصح ، قيم المشورة ، محب لحفيدته وزوجها حبـا مؤثرا حقـا ٠

ونذكر منهم هـذه الدوقة التى نراها فى الفصل الأول ، جميلة ، فتانة ، لعوبا ، تعبث بأبى « فردريك » وتعبث بنفسـها أيضا ، وتعنى بما يمكن وما لا يمكن ، لأنها تحب الاستاذ الطبيب وتريد أن تلهـو معـه ٠

ثم نذكر آخر الأمر « مسز ونتون » هذه الاميركية ذات الثروة الضخمة والجمال الرائع والادارة القوية والحب العنيف أيضـا ٠ كان زوجها عالما مخترعا ، وكان قد ضيف « جان لوى مارتنييه » بن « فريدريك » فأحبتـه وأحبها ، ثم مات زوجها وأقبلت الى باريس تريد أن تتـزوج حبيبـها ، فيصطدم حبها بهذه الخصومة بين الأب والزوج والزوجة ٠

فأنت ترى الى هذه القصة كيف اختار الكاتب موضـوعها من هـذه الموضوعات الشائعة المبتذلة ، ثم لم يكد يخلق أشخاصها ويبعث فيهـم الحيـاة وينفـخ فيهم من روحه حتى صورهم أقوياء ممتازين ، لهـم من العواطف والأهواء ما للناس جميعا ، ولكن مع شىء من الدقة والتعقيد ليس للناس جميعا ٠ وماهى الا أن يقف هؤلاء الأشخاص بعضهم لبعض حتى ترتفع القصة وتقوى ، وتحس أنك فى بيئة ممتازة من كل ناحية

دون أن يمنعك هذا الحس أن تجد نفسك وعواطفك وحياتك ممثلة فى هذه القصة من كل الوجوه أو من بعضها ٠

والآن وقد صـــورت لك هؤلاء الأشخاص تصويرا مقاربا أستطيـــع أن أوجز لك خلاصة هذه القصة ٠ ولكنى ألفتك منذ الآن الى أن هـــذا التلخيص لن يغنى عنك شيئا والى أنك لن تجد اللذة والمنفعـــة آلا فى قراءة القصة نفسهـــا ٠

* * *

نحن فى بيت « جان لوى مارنييه » أول الليل ٠ ينصرف آلقوم عـــن المائدة وقد أخذوا يأتون الى غرفة الاســـتقبال ٠ وكان أول القـــادمين « كودريه » وحفيده « جاستون » ٠ ونحن نرى الشاب يعنى بالشـــيخ عناية لا تخلو من غلو ، ويمهـــد له ويقدم اليه البيبـــة ، ويتلطف له فى الحديث ٠ ويحس الشيخ أن هذه العناية لم يرد بها وجه الله ، وما هى الا لحظة حتى تفهـــم أن الشاب فى حاجـــة الى الفرنـــكات لأنه يريد أن يشترى سيارة ٠

ثم يأتى « جان لوى » وقد قدم ذراعه الى ابنته ، فلا يكادون يتحدثون حتى يضـــيق الفتى ذرعا بأبيه الذى أخذ يسأله فى الألمانية ، وبأختـــه التى أخذت تظهر جهله بهذه اللغة ، فينتحى بجده الشيخ ناحيـــة ليلعب النرد ٠ ونرى الأب يجلس الى ابنته ويتحدثان ، ونحن نرىالفتاة تعنى بأبيها ولكنها عناية لا تخلو من دعابة وفكاهة ٠ والرجل يجيب على هـــذه الدعابة والفكاهة بمثلهما ، ثم لا يلبث هذا العبث أن يستحيل الى جد ٠ فقد ظهرت غيرة المرأة ، ووقف الرجل موقف الدفاع عن نفسه ٠ ذلك أن الخـــادم قد حمل اليه رسالة ، تقـــرؤها المرأة فاذا هى من آلدوقة التى أشرت اليها آنفا ٠ وهى تنبىء الأستاذ بأنها ستزوره بعد العشاء لتقص عليه أخبارا مهمة متصـــلة بانتخابه فى المجمـــع العلمى ٠ فلا تكاد « فردريك » تقرأ هذه الرسالة حتى تثور وتأخذها غيرة حادة ، وتحصى للرجل سيئاته وآثامه ولهوه ، وتعلن أنها قد صفحت عن هذا كله لأنه

لم يكن شيئا يذكر ، انما كان لهو ساعة أو بعض ساعة ، وانها لم تخف حقا الا مرة واحدة حين ذهب الأستاذ الى أحد المؤتمرات فى أمريكا فأحب « مسز وتتون » امرأة مضيفة ، فى هذه المرة خافت حقا ، وأحست أن الأستاذ سيفلت من يدها · وهى ثائرة ، فقد كانت تقدر أنها ستنفق مع الأستاذ شطرا من الليل فى خلوة لذيذة ينصرفان فيها الى العمل ، تقرأ هى المسودات ويصحح الأستاذ · وانظر اليها كيف أجلست الأستاذ فى مجلس حسن ، وجلست هى بين يديه فى شىء من الظرف والدعابة · ولكن هذه هى الدوقة تنذر بمقدمها ! ·· لن يكون هذا · وهى تأمر الخادم بأن يسرع الى التليفون فينبىء الدوقة بأن الأستاذ مريض لا يستطيع أن يلقى أحدا ، والأستاذ يعارض ويمانع ، ولكنه مضطر الى الاذعان · على أن الخادم لا يلبث أن يعود ويعلن فى أسف أن الدوقة وزوجها الشيخ قد خرجا من قصرهما وهما فى الطريق · فانظر الى ثورة المرأة وحدتها وانظر الى الأستاذ يهدئها ويتوسل اليها فى ألا تسىء استقبال الدوقة · وهذه هى الدوقة تقبل مسرعة ومعها زوجها ، فلا تكاد ترى الأستاذ حتى تتحدث معه بلسانين : لسان يسمعه الناس جميعا وفيه أحاديث عادية ، ولسان آخر يسمعه الأستاذ وحده وفيه مودة وتعريض بمواعيده · و « فريدريك » تتحدث الى الأستاذ بلسانين أيضا : لسان عادى يسمعه الناس ، ولسان آخر فيه نذير وتحذير · وانظر الى هاتين المرأتين تتقارضان جملا ظاهرها فيه الود والتحية وباطنها فيه البغض والعداء · وقد أقبل « بيير ريجو » زوج « فريدريك » فتنتهز الدوقة هذه الفرصة وتطلب الى الأستاذ أن يرافقها الى « البيانو » لتلعب هى ويغنى هو ، فهى تحب صوته الرخيم ولا سيما حين يغنى القطعة الروسية · ويحاول الأستاذ أن يعتذر لأن ابنته تلح عليه فى الاعتذار من طرف خفى ، ولكنه لا يفلح ، فهو يذهب اذا الى البيانو حيث يسمع غناؤه من بعد · وفى هذه اللحظة تخلو « فريدريك » الى زوجها ، فلا يكادان يتحدثان حتى نحس أن « فردريك » مشغولة بأبيها وصاحبته ، وأن زوجها يرى ذلك فيغتم له ويثور ولكنه يكظم غمه وثورته ، ويلح على امرأته فى أن تتلطف بالدوقة ولا تظهر هذه

الغيرة المنكرة . وامرأته منصرفة عنه ، ماضية فى الاعجاب بصوت أبيها والسخط على هذه المرأة ، حتى يعود الأستاذ ومعه صاحبته ، فتلتقفه ابنته التقافا ، وتمضي الدوقة الى بيير تتحدث اليه ، وتنظر معه طائفة من الصور في دعابة وتلطف . و « فريدريك » منصرفة الى أبيهـا تلومه وتداعبه ، وتلاحظ في الوقت نفسه زوجهـا والدوقة ، وتلفت أباها الى هذه المـرأة التى تداعب زوجها وتعبث بشعرها فى وجهه . والأستاذ مضطرب بين ابنته صاحبته . ثم تنهض الدوقة للانصراف ، ويخـرج الأستاذ وابنتـه لتشييعها ، ويخلو « بيير » الى « كودريه » . فنفهـم من حديثهما انه ساخط على حميه شديد الغيرة منه ، وأنه سيكون له معه شـأن بعد حين . فاذا عاد الأستاذ وابنته تعجـل « بيـير » فعرض عليهما موضوع هذا الشأن الذى يريد أن يتحـدث فيه ، وهو أنـه ضيق الذرع بباريس . وبمعاملها ، وقد سنحت له فرصة تمـكنه مـن العمل الجدى المنتج بعيدا عن باريس . ذلك أن غنية امريكية هى « مسز ونتون » قد أنشأت في أحد الأقاليـم مستشفى عظيما للسل ، وفيـه معامل حسنة النظام غنية بالأدوات ، وقد عرض عليه أن يعمل فى هذا المستشفى فقبل . ونحن نفهم أن صاحبنا انما يريد أن يتـرك باريس لا حبا فى العلم طبعا ، ولـكن ليستأثر بامرأته بنوع خاص ، فلا يـكاد يعرض هذا الأمر حتى يثور الأستاذ ثورة عنيفـة ويعلن أن ابنتـه لن تترك باريس . وتمالئه ابنته فى هذا ، وتسلك لاقناع زوجـها طـرقا مختلفة ، فيها اللـين والشدة ، وفيها الاستعطاف والانذار فلا تفلح ، ويوشـك الأمر أن يفسد بين القوم لولا توسـط الشيخ ، ولولا أن « بيير » قد نهض للانصراف . فاذا خلا الشيخ الى صهره حاول اقناعه وحمله على أن يدع ابنته تترك باريس فلا يوفق . وهنا حوار بديع بين الشيخ وصهره فى الصلة بين الآباء والأبناء ، وما يجب على الآباء من التضحية بأنفسهم لأنهم لا يملكون أبناءهم ، ولا ينشئونهم لـلذة والمتاع ، وانما ينشئونهم لأنفسهم قبل كل شيء .

* * *

فاذا كان الفصل الثـانى فقد مضت ساعات قليلة على ماكان فى

الفصل الأول . ونحن في بيت « بيير » في غرفة النوم . وقد أوت « فريدريك » الى سريرها والخادم تحدثها فتنبئها بأن سيدها يعمل في مكتبه ، وقد أمر فأعد له خادمه مضجعا في المكتب فيقع هذا الحديث من نفس « فردريك » موقعا تحس أنه مؤلم . وأنظر اليها وقد صرفت الخادم ولكنها لا تستطيع النوم ، فهي قلقة مضطربة تتسمع حركات زوجها في مكتبه . ولهذه اليقظة المضطربة من هذه الظلمة المدلهمة في نفسها أثر قوي ، ولكن بابا يفتح ونورا يغمر الغرفة . وقد ظهر الزوج فتتكلف صاحبتنا النوم ، وكأنها قد استيقظت فزعة . ولكن زوجها يعلم أنها لم تنم . وقد أقبل يعتذر اليها ويتلطف بها ويستغفر مما قدم ، واطمأنت هي الى ذلك ، وصفا مابين الزوجين الحبيبين واطفىء من النور أكثره ، ولم يبق منه الا شيء ضئيل يلائم نجوى المحبين آخر الليل ، وما يكون بينهما من عتاب واستعطاف ثم رضا واطمئنان . وهما في ذلك وهو يشكو غيرته من أبيها ، وهي تدافعه في لطف ورقة ، ولكن التليفون يدق فيحاول أن يمنعها من النهوض له فلا يوفق ، وقد نهضت الى التليفون فاذا أبوها قد عاد ، وهو يسأل عنها ويلح عليها في ألا تسافر مع زوجها ، وهي تجيبه بحديث متقطع يظهر فيه أنها مقسمة بين الرجلين ، تحب زوجها وتريد أن ترضيه ، وتحب أباها وتكره أن تفارقه ، حتى اذا فرغ هذا الحديث بعد مشقة عادت الى زوجها تريد أن ترضيه وتصل معه الى اتفاق معقول . ولكن لم يبق الى ذلك من سبيل ، فقد دخل الأب بينهما فأفسد كل شيء . وكيف بهذا الرجل يدخل بين الزوجين حتى آخر الليل وحتى أوقات الصفو والرضا ، وقد انتهت الثورة بصاحبنا الى الظلم ، فهو ينكر على امرأته أنها تحبه ، وهو يسرف في ذلك ، وهي تتلطف حينا وتشتد حينا ، حتى يصل الأمر بهما الى أقصاه . فهو يعرض عليها السفر ، وهي تأبى ، وهو يعلن أنه مسافر وحده ، وهي تنذر ، وهما في هذا واذا الخادم يطرق الباب ، يتحدث الى سيده بأنه قد أعد له أمتعته ، وبأن القطار سيسافر ساعة كذا ، فاذا سمعت « فريدريك » هذا الحديث وفهمت أن زوجها كان قد أزمع السفر دون أن يظفر برضاها وقع ذلك في نفسها موقعا أليما ،

تغلب في العناد والاصرار ، وغلا هو أيضا في اللجاج ، وافترقا متغاضبين وانسدل الستار ، وانا لنسمع زفرات هذه المحبة المعذبة بين حبها وكبريائها ، بين أبيها وزوجها .

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحسن في بيت « جان لوى مارنييه » أول النهار . نرى « فريدريك » جالسة الى مكتب في يدها ورق وقلم كأنها تحصى شيئا ، وقد دخل عليها أخوها الشاب ، وفهمنا من حديثهما أن هذا اليوم هو يوم الانتخاب في المجمع العلمي ، وهي تحصي الأصوات التي قد يظفر بها أبوها والأصوات التي قد تخطئه . وهي تلاحظ لأخيها أن الأستاذ قد عاد متأخرا في الليلةالماضية وانه متعب ، وانها قد أمرت الخادم ألا يوقظه الا اذا تقدم النهار . ولكنها لا تكاد تفرغ من هذا الحديث حتى يدخل الأستاذ كأحسن ما كان قوة ونشاطا مستعدا للخروج ، فتلقاه ابنته في دعابتها وفكاهتها ، ويلقاها هو بمثل ذلك . وانظر اليها تطلب اليه يومه وليلته تريد أن يفرغا من المهنئين بعد الانتخاب ، وأن يفلتا الى أحد المطاعم ثم الى أحد الملاعب ، وهو يجيبها في غموض : « سنرى ... »

ويبدأ فيعلن اليها أنه لن يتغدى معها وينتحل لذلك المعاذير ، وهي مغضبة في دعابة . ولكن جدها قد أقبل . من مكان بعيد ليشهد يوم الانتخاب ، فينفلت الأستاذ ويترك ابنته مع الشيخ . ولا تكاد المرأة تتحدث الى جدها حتى يذكر « بيير » ونرى من الحديث انها تألم ولكنها تكظم ألمها ، وهي غير موفقة في هذا الكتمان : أليست قد أحصت الأيام منذ سافر زوجها ؟ أليست مغضبة لأنه لم يكتب اليها كتابا واحدا وقد مضى على سفره نيف وثلاثون يوما ؟! أليست كانت تنتظر أن تراه في باريس يوم الانتخاب ؟! هي مغضبة واجدة ، وكانت تحب أن ترى زوجها لتتفق معه على الطلاق فليس الى استمرار الزوجية من سبيل وقد أنبأها المحامي أن قضية الطلاق لا تحتاج الى أكثر من شهر الا أن

يقاوم زوجها ، وما تظن أنه يقاوم · فاذا أراد الشيخ أن ينبئها بأنها ما زالت تحب زوجها غضبت وزجرت جدها كأنها تشفق من هذا الحديث ·

ولكن الخادم قد دخل ومعه بطاقة · تنظر فيها فاذا هي بطاقة « مسز ونتون » ويقول الخادم ان هذه لسيدة تلح في أن ترى مولاته ، فتأذن لها وتخلو اليها · فتسألها هذه : ما بالها لم تجب الى دعوتها وقد طلبت اليها الزيارة غير مرة ؟ فتعلن اليها « فريدريك » دهشة أنها لم تتلق دعوة ولم تعلن بوجودها في باريس · فتسألها : ألم يخبرك الأستاذ بأني في باريس منذ حين ، واني أراه كل يوم وكل ليلة واني أكلفه دعوتك الى زيارتي واني معتزمة أن أسافر معه الى روما ، وان زوجي قد مات · وأن الأستاذ يريد أن يتخذني له زوجا ، واننا نفكر في أن تصلح بينك وبين زوجك ؟ ! وتقع هذه الأنباء كلها من « فريدريك » موقع الصاعقة ، ويظهر لهاتين المرأتين أن الرجل قد كذبهما وعبث بهما ، فتتفقان فجأة على مقته والسخط عليه ، وتنشأ بينهما فجأة مودة قوية مصدرها فيما يظهر تشابههما في الحب والارادة والصراحة واستقامة الخلق · وهما في ذلك اذا الأستاذ قد عاد ، فاذا رأى صاحبته أخذه الاضطراب ولم يحسن الحديث ، ثم تتركه صاحبته لابنته · فيكون بينهما موقف عنيف مؤلم ، يظهر فيه مقدار ما تحب النفس من التأثير في حياة الناس : هذا الرجل الذي كان يحب ابنته ويسرف في حبها حتى ليضحي بها في سبيل نفسه ، وهذه المرأة التي كانت تحب أباها وتسرف في حبه حتى لتضحي بزوجها في سبيل هذا الحب ، وقد وقفا الآن موقف الخصومة وجها لوجه ، لأن امرأة أخرى قد دخلت بينهما فاستأثرت بقلب هذا الرجل · وهذه بنته تتهمه بالكذب والقسوة والأثرة والخداع ، وهو يتهم ابنته بالعقوق والاثم ·

وهي تعلن اليه أنه لن يتزوج من المرأة ، وهو يعلن اليها أنها ستعود الى زوجها ، وسيقترن هو بهذه المرأة ، كل ذلك في قوة وعنف مؤثرين حقا ·

ويقبل الشيخ فينقطع هذا الحوار العنيف ، وتنصرف الفتاة . فاذا خلا الرجلان قال الأستاذ لحميه : يجب أن تسافر وتعود ومعك « بيير » فيجيب الشيخ : ان « بيير » في باريس وهو في بيته ، بين هذه الاشياء التي تمثل حبه يألم ويأسى . فيقول الشيخ : اذهب فأنبئه ان امرأته تنتظره . فاذا تردد الشيخ وألح عليه الأستاذ وأقسم انه لصادق فينصرف الشيخ مسرورا مترددا معلنا أن الأمر متصل بسعادة حفيدته ، فيقول الأستاذ وكأنه يحدث نفسه : وسعادتي أنا أيضا .. !

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فلم يمض على هذا كله الا دقائق . ونحن نرى « فريدريك » متهيئة للخروج ، ولكن الخادم ينبئها أن زوجها يستأذن، فتأذن له في دهش وحيرة تقدرهما أنت قدرهما . فاذا رأته سألها : أأنت قد دعوتنا ؟ فتجيب في دهش : نعم ! .. ثم تقبل عليه معتذرة مستعطفة متلطفة . ونحس نحن أن هذا كله يهز الشاب هزا عنيفا ، وانه لو استسلم لعواطفه لقبل ورضي بل لاعتذر واستعطف . ولكن له ارادته وكبرياءه ، فهو يكظم تأثره ويظهر الشك ، حتى اذا فرغت امرأته أو كانت تفرغ أعلن اليها في صراحة ملؤها الجفوة والحب معا أنها انما تستعطفه لأن أباها يريد أن يتزوج ، لأنها تحس أنها ستصبح وحيدة ، فهي تعود الى زوجها حتى اذا عاد اليها أبوها رجعت اليه . وهو دهش لأنها لا تعلم من أمر هذا الزواج شيئا . ولكن دهشه سيزول ، فهذ الأستاذ قد أقبل محزونا منكسر النفس قد ظهر عليه الضعف والاستسلام ، فيخبر بأنه هو الذي دعا « بيير » ، ثم يخبر بأنه فاز في الانتخاب ولكنه على ذلك محزون منكسر النفس . وذلك أن حبيبته قد قطعت مابينهما من صلة ، وأعلنت اليه أنها تاركة باريس مساء اليوم ، وأبت عليه حتى أن يودعها بل أن يراها مرة أخيرة قبل سفرها . وهو يلوم ابنته لأنها مصدر هذا كله .

ثم انظر اليه يستعطف ابنته ويتوسل اليها ، فهي وحدها تستطيع أن تغير رأى هذه المرأة ، وهي وحدها تستطيع أن تردها اليه فترد اليه

الغبطة والسعادة والحياة ٠ وهو ويعتذر ويلح فى الاعتذار ، ويعترف بأنه كان أثرا آثما مسرفا فى حب نفسه ، ولكنه لم يكن يحس هذا كله ولا يقدره ، وابنته لا تجيبه الا فى قسوة وعنف حتى يرق « بيير » نفسه ويلومها على ذلك فى لطف ٠ وقد انتهى الامر بهؤلاء الناس الى حرج ليس بعده حرج ٠ فأما الاستاذ فمذعن مستسلم بعد أن ظهر له أن ابنته لن تشفع له ٠ وأما « بيير » فمستمسك بكبريائه ٠ لم يقتنع بعد بأن امرأته تحبه هذا الحب الذى يمكنها من التضحية بأبيها ، وأما « فريدريك » فقد أعلنت فى حزم وقسم أنها تاركة هذا البيت مساء اليوم ولن تعود اليه مهما يكن من شىء سواء أتم الصلح بينها وبين زوجها أم لم يتم ٠ وانظر الى استسلام الشيخ وقد نهض معلنا انه ذاهب الى الدوقة لأنها جمعت الى الشاب طائفة من المعجبين به يهنئونه بالفوز فى الانتخاب وهو يداعب صهره فى حزن فيطلب اليه ألا يهزأ بشيوخ المجمع العلمى ٠

وقد أقبل صديق « بيير » يتعجله ليسافرا ، فيتردد قليلا ثم يجيب بأنه لن يسافر الآن ٠ وتقع هذه الجملة من نفس « فريدريك » الموقع الذى تقدره أنت ، فقد أحست أن زوجها قد رضى وثاب اليها ٠ ولكن زوجها يسألها : ألا ترين أن أباك يحب هذه المرأة حبا مبرحا ؟فتجيب : بلى ، ولكنه لا يستحق هذه المرأة ٠ فيلح وانظر اليه يستعطفها ويتوسل اليها فى أن تشفع لأبيها عند حبيبته ، فتقبل كارهة ، ولكن على أن يشاركها فى هذه الشفاعة لتعلم هذه المرأة أن سعيهما صادق وانهما قد تصافيا حقا ٠


الثعلب الأزرق
قصة تمثيلية وضعها الكاتب المجرى
فرنسوا هرزج

يقول النقـادالفرنسيون لهـذه القصة انها وضعت منذ خمس عشرة سنة فلقيت فوزا عظيما في بودابسـت ثم ترجمت الى لغـات مختلفـة فاعجبت بها الجمـاهير في فينـا وبرلين وروما ولندن وأمريكا ، ولكنها لم تمثـل في باريس الا هذا العام ..

والنقـاد الفرنسيون يجمعـون او يكادون يجمعون على أنها قصة جيدة متقنة الوضع بديعة التنسيق والتاليف .

ولكن هذه القصة لم تنقل الى الفرنسية كما وضعها صاحبها ، وانما صاغها الكاتب الفرنسي صيغة جديدة فجعل أشخاصها فرنسيين وأجـرى حـوادثها في ضاحية من ضـواحي باريس ، ولاءم بـين نظامها الـذوق الفرنسي في التمثيل . ومن هنـا يتفاوت النقاد الفرنسيون في تقدير ما ينـال المؤلف والصـائغ من حظ في الاحسان والاجادة ثم من حظ في الثناء والتقريظ . فمنهم من يضيف جمال القصـة الى المؤلف المجـرى ويأسف أسفا كثيرا أو قليلا لأن الصائغ الفرنسي لم يـكن أمينـا في الترجمة والنقـل . ومنهم من يضيف هذا الجمال الى الصائغ الفرنسي ويرى أنـه قد أحسن الاحسان كله حـين غيرها وعرضها على الفرنسيين في هذه الصيغة الجديدة التي تلائم ذوق باريس .

وقد يكون من العسـير علينا أن نحكم في قضية كهذه لأننا نجهـل الأصل المجرى ولم نوفق الى ترجمة ألمانية أو انجليـزية لنقـارن بين الأصل وبين الصـيغة الفرنسية لهـذه القصـة . لا سيما والنقاد الفرنسيون يحدثوننا بأن الكاتب الفرنسي قد غيرها تغييرا شديدا وبدل أشخاصها تبديلا باعد بينها وبين الأصل الى حد ما .

على أن النقاد مهما يختلفوا فيما بينهم متفقون على أن الكاتب المجرى نفسـه متـأثر في قصته هـذه وفي غيرها من القصص التمثيلية بالأدب

الفرنسى . وهم يذكرون تأثره بموباسان ، وهنرى بيك ، وماريفو . فهى اذن فى رأيهم قصة فرنسية عادت الى فرنسا

ومهما يكن من شىء فان من المحقق أن هذه القصة على جمالها ودقة موضوعها ، وعلى ما فيها من قوة فى التصوير لا تخلو من شىء غير قليل من ضعف التأليف . فأنت حين تقرؤها لا تستطيع أن تنسى أنك تقرأ قصة وضعت للتمثيل بحيث لا يستطيع جمالها الفنى أن يشغلك عن تأليفها وعما تكلف الكاتب فيها من هذه الحيل التى يتكلفها أصحاب التمثيل للملاعب . فحركات الأشخاص مثلا حين يدخلون ويخرجون ، وحين يذهبون ويجيئون ، وحين يظهرون ويستخفون ، ليست حركات طبيعية وانما هى فى كثير من الأحيان حركات متكلفة ، نرى تكلفها ونحسه، حتى ليخيل الينا أن هؤلاء الأشخاص قد اتصلوا بحبل أو سلك يجذبه شخص خفى ليظهروا حين يجب أن يظهروا وليستخفوا حين يجب أن يستخفوا ، وما هكذا يكتب أفذاذ الكتاب فى التمثيل . أذلك عيب الكاتب أم ذلك أثر الصائغ ؟ هذا شىء لا نستطيع الفصل فيه كما قدمنا .

وموضوع القصة نفسه مطروق ، سبق الكاتب اليه غير مرة ، سبق اليه فى قصص مختلفة منها المضحك ومنها المحزن ، ومنها ما هو بين بين . ولكن هذا كله لا يمنع أن هذه القصة جيدة يجد قارئها لذة قوية ويضطر الى أن يقف عند بعض فصولها وقفة التفكير والتأمل . وليس أدل على ذلك من هذا الفوز العظيم الذى ظفرت به فى عواصم أوربا وامريكا .

وليس فى هذا شىء من الغرابة . فقد يطرق الموضوع الواحد مرات ومرات دون أن يحول ذلك بينه وبين الجدة وقوة التأثير فى نفوس الأفراد والجماعات . ذلك حين يكون الموضوع نفسه قويا قوة لا تذهب بها الأيام ولا يعمل فيها تغيير الظروف ، وحين يكون الموضوع شائعا مألوفا نشهده فى مواطن كثيرة وفى ظروف مختلفة .

ولست فى حاجة الى أن أذكرك بهذه الموضوعات الخالدة التى تناولها الشعر القصصى اليونانى وأخذها عنه الشعر التمثيلى اليونانى فزادها

قوة وتأثيرا ، ثم أخذها عنه التمثيل الحديث والقصص الحديث فى فرنسا وألمانيا وانجلترا فلم يزدها الا قوة وقوة على الأخذ بمجامع النفوس كما يقولون

والموضوع الذى طرقه كاتبنا من هذه الموضوعات التى لم تكن شائعة مألوفة فى بعض البيئات التى قلما يختلط فيها الرجال بالنساء ، فهى شائعة مألوفة فى كثير من البيئات الأوربية · وهو موضوع يسير جدا : زوجان لم يصل بينهما الحب ولا ما يشبه الحب ، وانما قامت صلاتهما الزوجية على المنفعة أو على المصادفة ليس غير · فهما يعيشان عيشة هادئة وادعة لولا أن لهما صديقا قد اتصل بهما وقويت بينه وبينهما الصلة ، فهو يلازمهما لا يستطيع أن يقضى يوما دون أن يراهما ولا يستطيعان هما أيضا أن يحتملا الحياة اذا لم يرياه ·

وهو خير ليس بالشرير ولا بصاحب المجون والدعابة · ولكنه على ذلك صاحب قلب يخفق ونفس تحب · فلا يستطيع الا أن يحب صديقه وامرأة صديقه · وهو يخفى على نفسه هذا الحب ويصوره فى صورة الصداقة والمودة الخالصة · وربما كان صديقه مثله مخدوعا أو ربما لم يكن مخدوعا ، ربما خدعت المرأة نفسها ، وربما عرفت حقيقة الأمر وأحبت هذا الصديق ولكنها تجاهد هذا الحب وتنتصر عليه ، تسلك الى ذلك ما تستطيع أن تسلكه من طريق · ولعلهم يستطيعون جميعا ان يعيشوا مطمئنين الى هذه الحال الغامضة الواضحة معا · هم سعداء أو هم يحسبون أنفسهم سعداء · ولعلهم يستطيعون أن ينفقوا حياتهم كلها فى مودة كلها صفو مطرد لولا أن يعرض لهم من الظروف ما يزيل الغشاوة عن الأبصار ويشق الغلاف عن القلوب فيروا ·· وهم اذا رأوا قد يسعدون وقد يشقون ·

هذا الموضوع مألوف فى البيئات الأوربية تنشأ عنه فى كثير من الأحيان ألوان من التعقيد فى حياة الأسر وصلات الأصدقاء · منها ما ينتهى الى السلام والدعة ، ومنها ما ينتهى الى الشر والنكر · وقد

طرقه كاتبنا هذا فصوره تصويرا حسنا مؤثرا ، ولكنه لا يخلو كما قلنا من تكلف ومن غلو احيانا

وأنا ـ كالنقاد الفرنسيين ـ شديد الاعجاب بشخصية هذه المرأة التي تدور القصة حولها أو قل بقدرة الكاتب على اختراع هذه الشخصية الغريبة التي استطاعت أن تقاوم مهارة الصائغ الفرنسى فاحتفظت بشيء غير قليل من طبيعتها المجرية ، فهى غامضة أحيانا أشد الغموض ، وهى واضحة أحيانا أشد الوضوح ، وهى ضاحكة مغرقة فى الضحك ولكنها فى الوقت نفسه تكفكف عبراتها وتمسح دموعها مسحا رقيقا .

ولست أدرى الى أى حد وفق الكاتب والصائغ فى شخصية الزوج فأنا أفهم أن لا يخلو الرجال ولا سيما العلماء من ضعف وسذاجة ، ولكنى أرى أن الكاتب قد صور هذا الزوج تصويرا اعتمد فيه على خياله أكثر مما اعتمد فيه على الحقائق الواقعة

* * *

نحن فى سان كلو (Caint=Cloud) ضاحية من ضواحى باريس ، فى بيت تظهر عليه النعمة والثروة ، وفى غرفة يظهر عليها الترف ولين الحياة كما يظهر عليها الجد والعمل . ونحن نجد فى هذه الغرفة رجلا قد جلس الى مائدة بين الكتب والأوراق ، وهو يتحدث ويتحدث لا يكاد يقف ولا يستريح . هذا الرجل هو العالم النباتى فرنسوا دوجلى (François Dugley) وهو يتحدث آلى مصوره الذى اتخذه ليصور له أنواع النبات فى كتاب يهيئه للنشر . ولا نكاد نسمعه يتحدث حتى نتمثل العالم بما فيه من عيوب وخلال . فهو يتكلم مندفعا فى موضوعه لا يلوى على شيء ولا يثنيه عن الحديث شيء . وهو يتكلم لأن الموضوع يلذه لا لأنه يريد أن يفيد سامعه ، وسامعه ، متبرم به يريد أن يتخلص منه ليدرك القطار الذى سينقله الى باريس . وهو يحتال فى هذا التخلص فلا يوفق اليه الا بعد مشقة شديدة . وهو يخلص وقد استيأس من ادراك القطار .

فاذا انصرف هذا المصور وخرج الاستاذ من غرفته لحظات اقبلت الى هذه الغرفة فتاة ظريفة ، حسنة الصورة ، متجملة ، ظاهرة الرغبة في أن تعجب الأستاذ وتقع من نفسه • تدخل فما أسرع ما تهوى الى علبة الحلوى فتزدرد منها شيئا وتخفى شيئا آخر فى حقيبتها • ثم تقف منتظرة أن يعود الأستاذ • فاذا عاد وتحدث اليها عرفنا أنها كاتبته التى تنسخ له ما يهيىء من فصول كتابه •

وهو يتلقاها مبتسما لها مبتهجا بلقائها يسألها عما كتبت ، فاذا هى قد أتمت عملها على أحسن وجه فيقدم اليها بعض الحلوى فترفض معتذرة بأنها لا تحب الحلوى • فاذا قدم اليها السجارة اعتذرت بأنها لا تدخن • ثم يتركها لحظة وقد ترك سجارته على المائدة فما أسرع ما تهوى اليها فتزدرد منها جرات ثم تردها حيث كانت • ويعود الأستاذ فيستأنف معها الحديث • واذا هى تظهر له رسما من عملها فيه صورة نبات فلا يكاد الأستاذ يراه حتى يفتن به وحتى يعلن اليها رغبته فى أن تكون مصورته وان تضع له هى صور الكتاب • وهى سعيدة مغتبطة تصفق بيديها وتكاد تقبل الأستاذ فرحا وابتهاجا • ولا تسل عن سعادتها حين يعلن اليها الأستاذ أنها ستقيم معه منذ غد ، فتكتب له وتصور وتنسخ على الآلة امكاتبة •

وهما فى هذا الحديث واذا رجل يقبل وهو « جان دى فلييه » صديق الأسرة وخليطها • كان قد سافر يقضى الصيف فى الألب ولكنه استثقل السفر فعاد الى باريس • وهو سعيد بهذه العودة لأنه سيرى صديقيه وسيأخذ مكانه بينهما كدأبه فى كل يوم • وهو يسأل صاحبه عن امرأته ، فيحدثه هذا بأنها ذهبت الى باريس تصيد الثعلب الأزرق لأنها مفتونة به ، ولن تستريح حتى تظفر بهذا الصيد • ولكنها لا تصيده من الغابات ولا من الحقول وانما تصيده من المتاجر • فهى لا تلتمس الثعلب وانما تلتمس فرو الثعلب • وهى تخرج فى طلبه كل يوم اذا أصبحت ولا تعود الا اذا أقبل المساء • وهو يدعها وما هى فيه من صيد لأنه مشغول عنها ببحثه عن النبات •

ويمضيان في العلاقة حتى يصلا الى اللون من الطعام يحبه هذا الرجل الذى أقبل ، وانها الفتاة الكاتبة المستعارة تزعم أنها تحسنه وتعد بعمله اذا كان الغضب فلا تعمل من ابتهاج الاستاذ بهذه الفتاة النادرة الكلفة المصورة الطاهية معاً ، ويتم الاتفاق بينهم على أن تهيئ لهم الفتاة من الغد هذا اللون من الوان الطعام ، ثم تتركهما يتحدثان

والرجل يقص على صاحبته انه رأى سيارة الراقص المعروف ريالتو فأعجبته ، ولن يستريح حتى يشتريها منه ، وقد ذهب ليتحدث اليه في ذلك فلقي خادمه يحمل زجاجات الشمبانيا والوانا من الطعام ولكن الخادم أنبأه أن سيده مشغول ، فانطلق وهو يعلم أن سيده مشغول باحدى السيدات لا يستطيع أن يستقبله ، ذلك أن ريالتو هذا أستاذ رقص ، وهو أجنبي جميل الطلعة تفتتن به تلميذاته عادة

ثم يمضي جان في حديثه فيقول انه انصرف من بيت الراقص الى الغابة ، فما هي الا ان رأى الراقص في سيارته ومعه امرأة لم ير منها الا ساقها وحذاءها ، وقد استقرت في نفسه صورة هذا الحذاء ، فهو يصفه ويحقق وصفه حتى يسأم صاحبه ، وجان هذا موسيقي بارع فهو يجلس الى البيانو ويأخذ في التوقيع وقد انصرف عنه صديقه الى عمله

وهما في هذه الحال اذ تقبل الزوجة ، سيسيل ، وكأنها قد سمعت توقيع البيانو فعرفت وجود صديقها ، فدخلت في رفق ووقفت الى جانبه وأخذت تسمعه وهو يوقع ، فيلتفت ، ثم تكون التحيات ، ثم الحديث ثم تقع منه نظرة على ساقها وحذائها واذا هو صعق أو كالصعق لانه عرف الساق وعرف الحذاء ، وهو يعود فيصف الحذاء مرة أخرى لصاحبه ويذكر الراقص وتسمع سيسيل هذا فتضطرب قليلا ، ثم تخفي من أمرها ما تستطيع ، وهي تبالغ في الاخفاء وهو يبالغ في الوصف والاعادة والتكرار حتى يسأم الزوج فينصرف الى عمله ويدعهما يتحدثان كدأبهما دائما ، فاذا خلا بعضهما الى بعض كان بينهما حوار ينتهي بأن يتهم جان صاحبته بالاثم ، وهي تدفع عن نفسها وتغلو في الدفاع .

وهو يتهمها ويسرف في الاتهام حتى يفسد الأمر بينهما أو يكاد. ونحس نحن من هذا الحوار أن الصلة بين هذين الصديقين ليست صلة مودة وصداقة وانما هي صلة حب يخفيها كل منهما على نفسه وعلى صاحبه . ثم يدور الحوار ويشترك فيه الزوج مرة أخرى فيذكر أمر الكاتبة المصورة ومهارتها في الطهي وما تقرر من اعداد هذا اللون اذا كان الغد . واذا جان يعلن أنه سيدعوا لراقص ريالتو ليتناول معهم العشاء وليذوق من هذا اللون البديع

وكان المعقول أن يبقى جان حتى يتناول العشاء معهما ، ولكنه ضيق الصدر فهو ينصرف ويترك الزوجين لما بينهما من شأن .

* * *

فاذا كان الفصل الثاني فنحن في غد ذلك اليوم . وقد دنا الليل أو كاد ، والزوجان ينتظران مقدم جان ومقدم الراقص ، وسسيل مضطربة محزونة تدخن فتسرف في التدخين ، وزوجها يحاول أن يتعرف من أمرها فلا يظفر منها بشيء . وهو يعتذر اليها لأنه منصرف عنها الى علمه ونباته وهي لا تكاد تسمع له فان سمعت فلا تكاد تجيبه . وقد أقبل جان فتلقاه الزوج مبتهجا ، وتتلقاه الزوجة محزونة مضطربة ، فاذا خلا بعضهما الى بعض كان بينهما حوار كحوار أمس فيه اتهام ودفاع ، ثم فيه ما يشبه الاعتراف ، ثم فيه ثورة الصديق .. ولكن الراقص قد أقبل فيتلقاه الزوج وجان وسسيل لقاء مختلفا : هذا مبتهج ، وهذه مضطربة منكرة ، وجان يدبر في نفسه أمرا . فأما الراقص نفسه فقد أقبل لا يقدر شيئا ولا يفكر في شيء . وهو يتكلم ويمضي في كلامه مثنيا على الزوج مرة وعلى الزوجة مرة أخرى وعلى صديقهما مرة ثالثة وعلى البيت مرة رابعة ، حتى اذا فرغ من هذا الحديث الطويل المضحك التفت اليه جان واخذ يذكر حب النساء له وكلفهن به ، والرجل ينكر ذلك في ضعف ورفق . ولكن جان يلح ويذكر حظه عند هذه وحظه عند تلك .. ويسرف من هذا . وهو في أثناء الحديث يرقب الراقص مرة وسسيل مرة أخرى وكل شيء على وجه سسيل يثبت اضطرابها وتورطها

وقد خـــرج الأستاذ لبعض شـأنه وخـلا الثلاثة الى أنفســهم ، فاذا الراقص قــد عرف المكيدة ، واذا سسيل تطلب اليه أن ينصرف • فيتردد فتلح وتطرده طردا ، فينصرف وقد ثبت كل شيء ولم يبق شك في أنهـا قد أثمت معه

ويعود الأستاذ فاذا لم ير الراقص سأل أين هـو ؟ فيقال انه انصرف ويتكلف جان تأويل هذا الانصراف فلا يحفل الأستاذ بهذا • ولكن جان نفســه يريد أن ينصرف فيدهش الأستاذ لـذلك ويسأل في شيء من الغفلة : « ماذا يحدث ؟ » فتجيبه امرأته في دعـة وهدوء : « يحدث انى قد خنتك » •• فيتلقى هذا الخبر في دهش هادئ ويحاول أن يتبين الأمر فتتركه امرأته معلنـة اليه أن جان سيخبره بكل شيء لأنه استكشـف كل شيء •

فاذا خـلا الى جـان لم يتردد هذا في أن يخبره بكل شيء في غضب وحقد وثورة ولا يعدلها الا هدوء الزوج ودعته واطمئنانه • والزوج يرثى لامرأته ويشفق عليها ، ولايؤثم الا نفسه• فهو قد انصرف من امرأته الى العلم وتركها مهملة لا يحفل بها • فليس غريبا أن تفتن هذه المرأة • ثم يثـور الزوج ولكن لا على امرأته ولا على نفســه بل على صديقــه • ذلك لأن صديقه قد سافر وأهمل سسيل وتركها وحـدها وكان من الحـق عليه أن يبقى معهـا وأن يرعـاها ويحوطها • فاذا أنكر الصديق عليه هذا القول ولفتــه الى أن هـــذا واجب عليه هو أجـابه : « أنت تعـلم أنى مشغول بالنبـــات ••• »

وجـان يغـريه ويذكى في نفســه نار الحفيظة ، ينصح له مرة بالطلاق وأخرى بمبارزة الراقص • والأستاذ يسمع هذا كله في هدوء وسخرية • ثم يجيب بحديث له قيمتـه يمثل ذكاء وفطنة وبصرا بالأمـر واذعـانا للقضاء • فالأستاذ يعلم حق العـلم مصدر هذا الغيظ وهذه الحفيظة ، وهو يقدر حب هذا الصديق لامرأته ولا يتردد في أن يقول له : « ان

[illegible] أنها [illegible] بل [illegible] في أن يقول له [illegible] على [illegible] عن الأفكار [illegible] التي تنغص على الحياة وتصرفنى عما أنا فيه من عمل وبحث »

[illegible] فإذا ما سألها زوجها إلى أين تريد أن تذهب ، أعلنت إليه أنها ذاهبة إلى بيت عمها تنتظر فيه الطلاق . ثم تطلب إليه أن يرافقها إلى هذا البيت فليس ينبغى أن تخرج وحدها ، فيقبل . وبينما يتهيآن للخروج تلتفت إلى جان قائلة : « لقد أردت المأساة فهذه هي المأساة ولقد أردت أن تؤلمنى فقد ظفرت ولكن قد آن أن تألم أنت وستألم كثيراً .. »

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فقد مضت سنة على ذلك اليوم وتغير كل شيء في بيت الأستاذ وقد تزوج الأستاذ من كاتبته ومصورته ونحن نراها في أول الفصل تنهر الخدم وتتصرف تصرف السيدة المسيطرة ، وتدخل على زوجها فإذا هو منكب على كتبه . فتتحدث إليه في رفق ولكن في سلطان وتغلب ، وهو مذعن مطيع ولكن على كره .

[illegible] تطلب إليه [illegible] إلى باريس [illegible] ثم تعلن إليه أن [illegible] العمل [illegible] تعينه بالكتابة والتصوير ، وانها ستلتمس له الكاتب والمصور . ثم يعلن إليها الأستاذ أن قد وصلت إليه أخبار من سيسيل فيظهر عليها الحنق والموجدة وتهم بالنيل من هذه المرأة فيمنعها الأستاذ من ذلك وينبئها بأن سيسيل قادمة الآن لتتفق معه على زيادة المرتب الذى فرضه لها [illegible] الآن [illegible] البيت [illegible] ولكن الأستاذ قد وجد الحل الملائم [illegible] الزوجان [illegible]

وقد أقبل جان وعهد إليه صديقه بقضاء هذه المهمة فيأبى ثم يقبلها ونحن نرى أنه قد تألم كثيرا وقد تغيرت حاله حتى ينكره الأصدقاء

وقد خرج الزوجان وتركاه وحده يتردد في الغرفة ذاهبا جائيا ثم يجلس إلى البيانو ويأخذ في التوقيع الذي كان يوقعه في الفصل الأول . ولو هنا تحسن القصة حقا وتخلص من التكلف والتصنع وترقى إلى الجمال البديع المؤثر

فهو إلى البيانو في توقيعه وإذا سسيل قد أقبلت فتقف كما كانت تقف وترافق كما كانت ترافقه ، ويحس بها فيلتفت وقد بلغ التأثر منه ومنها أقصى مداه وكأنهما قد نسيا كل شيء لحظة وخيل إليهما أنهما في عهدهما القديم ثم يفيقان فيتبادلان أسئلة وأجوبة قصارا ثم يعرض عليها ورقة تركها زوجها القديم لتمضيها فتقرأ فإذا هو يعلن أنه يلح عليها على أن تعيش عيشة امرأة شريفة . فتمضي معلنة في سخرية أنها تؤجر على الشرف بينما يؤجر غيرها على الإثم

ونحن نحس أنها لا تملك نفسها من التأثر والاضطراب وأن صاحبها لا يملك نفسه أيضا وقد أمضت وخرجت مسرعة لأنها مدعوة إلى العشاء . فتنسى أحد قفازيها فيهوى إليه جان فيحمله إلى أنفه يقبله بالكلية ، وكأنها ذكرت ما نسيت فتعود غير منتظرة فترى . فتطلب قفازها فيدفعه إليها ثم تطلب إليه الورقة التي أمضتها فإذا دفعها إليها مزقتها تمزيقا . فإذا سألها عن ذلك أخبرته أنها ليست في حاجة إلى هذا المرتب وأنها مخطوبة وأنها ستتزوج من رجل غني

فقدر أنت وقع هذا في نفس جان . وهي تريد أن تمضي ، ولكنها لا تستطيع .. وهي تتحدث إلى جان حديثا قصيرا فيه ابهام وغموض وفيه جلاء ووضوح . ولكنها لا تلبث أن تفاجيء جان بأنها تعلم ما في نفسه حق العلم ، وتقدر أن تألم ألما لا حد له . وهي تعلم من أمره كل شيء ، وهو يعلم كذلك كل شيء . وقد أجلسته في المكان الذي تعود

الجلوس فيه من قبل • وجلست أمامه كما كانت تفعل وأخذت تتحدث اليه لينة مرة عنيفة مرة أخرى ، معلنة اليه أنها أحبته منذ ست سنين حين كانت خطبا لزوجها • ولو قد دعاها في ذلك اليوم لأسرعت اليه ولكنه لم يفعل ايثارا لمودة صاحبه • وهى ما زالت تحبه وترى زوجها صديقا ليس غير •• وهى لم تخن زوجها وانما خانته هو • واذا هو ينكر أن تكون قد خانته ويزعم أنه كان مخطئا « كذابا » • وهى تؤكد له أنه لم يخطىء ولم يكذب ، فيجيبها بأنها ان كانت آثمة فهو يحب الاثم ويكره الفضيلة ، وان كانت كاذبة فهو يحب الكذب ويكره الصدق •

وينتهى بهما هذا الحوار الى شيء من الذهول يدفع كل منهما الى صاحبه • واذا هما قد اعتزما السفر معا واستئناف حياة جديدة فيها الحب الصريح الذى لا تكلف فيه ولا غشاء عليه • ولكنها تذكر أنها تعرف من أمره ومن خلقه ما تعرف ، وأنها تؤثر أن يكون الزواج بينهما قبل السفر • فلن يعيشا خليلين • فيفيق عند هذا ويذكرها بخطيبها الغنى وما أنبأته به من الزواج • فتضحك وتعلن اليه أنه هو خطيبها وأنه سيكون زوجها وأنها تدبرت ذلك كله منذ رأته • وهما يتهيئان للخروج واذا الأستاذ قد اقبل ومعه امرأته الجديدة فيدهش وتدهش امرأته ولكنها تقبل على سسيل لتحييها كارهة • وهى تلتمس لها اسما تدعوها به فلا تجد ، فتجيبها سسيل ان انتظرى أياما فستدعينني مدام دى فلييه • فانظر الى ابتهاج الأستاذ والى قوله : « لقد أضعتما الوقت فى انتظار هذا اليوم • وما كان أحراكما أن تصلا اليه منذ أمد بعيد »


زوجا ليونتين
قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسي
ألفريد كابو

نعم هى ...
قصة فكاهية ولكن كلها جد ... ولن تخطئ اذا قلت هذا ،
ولن تخطئ اذا قلت ان الفكاهة في هذه القصة مع انها روح
القصة و... انتها ... الأمر ... الى الجد ،
وسيلة الى هذا الجد الذى يحسن الا يعمد اليه مباشرة ،
والا يعمد اليه الكاتب في غير احتيال وتكليف للطرق
المعوجة ، اما لأن الكلام قد كثر فيه حتى اصبح حديثا
معادا مملولا ، فلابد من عرضه في صور جديدة لم يألفها
الناس ، واما لأنه من هذا الجد الذى تأبى الأخلاق العامة
والأوضاع الاجتماعية أن يهجم عليه الكاتب في غير
احتياط ... النظارة والقراء ، فهو مضطر الى ...
يحتال ... يسمعك ما يريد دون أن ...
او يسوءك ... يشق ...



والجد الذى يقصد اليه كاتبنا في هذه القصة ويتخذ ... وسيلة
الى ادخاله ... نفس القراء والنظارة لا يخلو ... ،
فقد كثر الكلام فيه حتى سئمه الناس ... ذلك
دقيق لا يخلو ... شأنه أن ... من
الأوضاع الاجتماعية ... لكنه على ... وقته
ومخالفته لما ألف الناس من خلق ... تفكير
لم ... الى رأى ... أن
القصاص ... المثل وغير ... المرأة
اللعوب التى تخون زوجها ... ذليلة
مجسمة ولكن لها من دون تلك العبث ... قابلة
للصلاح والطهر . وأنت تعلم أيضا أن هذه المرأة على كثرة ما أ... عنها
القصاص والأدباء والفلاسفة لا تزال ... الناس ممقوتة
أمام ما اتفق الناس على أنه الأخلاق والعادات ... أن
تطمئن ، فما أريد ان أدافع عن هذه المرأة ، وما أريد أن أثير فى
الأخلاق ، ولا أن أمس هذه العادات بخير ولا بشر ، فلست أنا من هذا

كله فى شيء ، وما أنا بالذى يفكر فى نقد النظام الاجتماعى وتغييره قليلا أو كثيرا • انما هى قصة أعجبتنى ، وأظن أنها ستعجبك ، بل أتمنى أن تعجبك ، ولهذا ألخصها لك ، وأعرضها عليك فى غير حكم ولا تأييد •

فى هذه القصة خفة ورشاقة ، وفيها مجون ودعابة • ولكن من الذى حظر على الناس أن يعمدوا الى القصص الخفيف الرشيق الذى تزيده الدعابة خفة ويزيده المجون رشاقة فيقرءوه ويشهدوه ؟ ومن الذى يستطيع أن يزعم أن الأدب لا يكون أدبا الا اذا كان جدا كله ؟ ومن الذى يستطيع أن ينكر أن الدعابة والفكاهة قد تبلغان من التأثير فى النفس ومن اذاعة الخير وتحبيبه الى النفوس ما لا يبلغه أشد الجد حموضة وعبوسا ؟

على أن قصتنا ليست من هذه الدعابة الممقوتة ، ولا من هذه الفكاهة التى تضيق بها نفس الرجل الخير المتشدد فى حب الخير • فهى تقارب العبث وتدنو منه فتسرف فى الدنو ، حتى يخيل اليك أنها ستتورط فيه ولكن الكاتب ماهر حريص على الخلق ، حريص قبل كل شيء على حس الجمهور ، وعلى حسه من ناحية الخير ، فهو لا يريد أن يؤذيه فهو يدنيك من هذا العبث حتى تكاد تلمسه ، ثم ما هى الا حركة يدفع بها قلمه فاذا أنت بعيد من الاثم كل البعد ، واذا أنت لم تشهد منه الا هذه الناحية التى تضحكك من الشر وترغبك عنه •

وهى فوق هذا كله تعرض لطائفة من الموضوعات الاجتماعية القيمة التى لن يوفق الناس لأن يتخذوا لهم فيها رأيا قاطعا • تعرض لموضوع الطلاق مثلا ، فمما لا شك فيه أن الناس سيظلون مختلفين فى الطلاق ، يراه بعضهم خيرا لأنه يرفه على الناس ويفصل بين الزوجين اللذين لا سبيل الى أن يعيشا مؤتلفين ، ويمكنهم بذلك من حماية كرامتهم وشرفهم وآدابهم • ويراه بعضهم شرا لأنه يفصم عروة قد أحكمها الدين كما يقول المسيحيون ، ولأنه أبغض الحلال الى الله كما يقول المسلمون •

وسيظل أولئك وهؤلاء فى خلاف وجدال ما احتاج الناس الى أن يكون بينهم الزواج والطلاق • ولكن هناك وجها من وجوه الطلاق لا يفكر فيه الناس كثيرا ، وربما لم يفكروا فيه بوجه من الوجوه ، وهم مع ذلك يحسونه ويجدون فيه اللذة حينا والألم حينا آخر • ذلك أن الطلاق فى حقيقة الأمر وسيلة قانونية للفصل بين شخصين لا يستطيعان الحياة مؤتلفين ، كما أن الزواج وسيلة قانونية للجمع بين شخصين يحبان أن يعيشا مجتمعين • ولكن المسألة هى أن نعرف أيستطيع الطلاق بعد أن يحقق هذا الفصل القانونى أن يحقق فرقة أخرى صحيحة فيقطع الصلة قطعا باتا بين الزوجين كأن لم يعرف أحدهما الآخر ؟ كما أن هذه المسألة نفسها تعرض بالقياس الى الزواج ، فالزواج يجمع الزوجين جمعا قانونيا ، ولكنه قد يعجز فى كثير من الأحيان عن أن يؤلف بينهما تأليفا صحيحا قويا • ولعلك تذكر أنى قد حدثتك منذ حين عن قصة لهذا الكاتب نفسه عرض فيها للطلاق وعجزه عن أن يفرق بين الزوجين اذا جمع بينهما الحب الصحيح • وهذه القصة هى قصة « المذهبين » التى رأيت فيها رجلا خان امرأته فأسرف فى خيانتها ، حتى طلبت الطلاق وظفرت به وهمت أن تتخذ لها زوجا آخر ، ومضى زوجها الأول فى اثمه وعبثه ، ثم التقيا فظهر أن الطلاق لم يفرق بين قلبيهما وان فرق بين جسميهما ، وظهر أنهما مضطران الى أن يستأنفا حياتهما الأولى •

وكاتبنا فى هذه القصة التى نحن بصددها يعرض للطلاق من هذه الناحية وان كان لا ينتهى الى مثل النتيجة التى انتهى اليها فى القصة الأخرى ، بل ينتهى الى نتيجة مناقضة من وجه ما لتلك النتيجة • فسنرى زوجين لم يستطيعا أن يعيشا مؤتلفين ، لأن المرأة خانت زوجها فأسرفت فى الخيانة ، حتى طلب الزوج الطلاق فظفر به • ولكن هذا الرجل طيب القلب ، خير الطبع ، فهو يعطف على زوجه بعد الطلاق ، ويمدها بما تحتاج اليه من معونة ، وهو ينالها بالبر والمودة اكثر مما كان يفعل قبل الطلاق ، وهو يحس ان هذا العطف وهذه المودة يناقضان أشد المناقضة ما الف الناس من عادة وقانون ، فهو مضطرب بين ارضاء

طبعه وعاطفته وارضاء العرف . وهو يذعن فى كثير من الأحيان للطبع والعاطفة ، ولكنه يذعن مرة للعرف فيفر من امرأته المطلقة ، ويخيل اليـه أنه بهذا الفرار سيريح نفسه من هذا الجهاد العنيف . ولـكنك تعـلم أن « الفريد كابو » صديق للمصادفة ، فهو يرى أن لهـا أعـظم الأثر فى تدبير حيـاة الأفراد والجماعات ، وقد بينت لك هذا فى كل ما حللت من قصصه . وهو هنا يعرف للمصادفة هذا السلطان ويسخرها فى قصته . واذا فيستطيع صـاحبنا أن يفـر من زوجه المطلقة ، فالمصادفة كفيلة بأن تكرههما على اللقاء ، واذا فسيظل الجهاد متصلا بين هـذه العاطفة التى تعطف الرجل على زوجه بعد الطلاق ، وهـذا العرف الذى ينكر ذلك ويراه اثما او شيئا يشبه الاثم ، ولا بد من تدخل المصادفة لوقف هذا الجهاد عند حد ما .

فأنت ترى أن هذا الوجـه من وجوه الطلاق خليق فى نفسـه بالعناية والدرس ، وبأن الكاتب مهما يصطنع من الفكاهة والمجـون لدرس هـذا الموضوع وتقريبـه الى الناس فليس مسرفا ولا غاليا فى العبث . ذلك الى أن الأمر فى نفسه حقيقة من الحقـائق الاجتمـاعية التى لا تقبـل الشك . فكلنا يعلم أن الطلاق كثيرا ما يعقب الندم والحسرة . وكلنـا يعلم أن قد كان لهذا أثره فى آداب الأمم المختلفـة ، فى آدابنا العربيـة وفى الآداب الأجنبية على كثرتها واختـلافها . واذا فهى حقيقـة من الحقـائق الاجتماعية يجب أن تدرس ، وأن يتخذ الأدباء اليهـا الوسـائل المختلفة : قصصا حينا وتمثيلا حينا آخر ، جدا مرة ، وفكاهة مرة أخرى ، ذلك الى أن هناك أشخاصا من حق الأديب او من الحق على الأديب أن يصورهم للناس ، فقد يكون فى تصويرهم ، الى جانب النفع الفنى ، نفع خلقى واجتماعى . قد يكون هؤلاء الأشخاص أخيارا ، ففى تصويرهم ما يدعو الى القدوة ، أو أشرارا ففى تصويرهم ما ينفر منهم .

والحق أن الأشخاص الذين صورهم الكاتب فأحسـن تصويرهم فى هذه القصة قليـلون . هم أربعة ليس غير ، ومن حولهم أشخاص آخرون لا يمتازون بشىء . وهؤلاء الأشـخاص الأربعـة قد أحسن الكاتب

تصويرهم حتى أصبح من اليسير جدا ان ننقل اليك صورهم فى غير اطناب ولا اطالة .

فأما أولهم فهو « أدولف ديبوا » رجل من أوساط الناس ، له ثروة ولكنها ضئيلة ، يعمل فى ديوان من دواوين الحكومة ، خير الطبع ، رضى النفس ، مستقيم الخلق ، ضعيف الارادة ، يكره الشر ولكنه لا يستطيع مقاومته فى يسر ، ويحب الخير ولكنه يخب نفسه أيضا ، فهو لا يستطيع أن يعتمد على نفسه فى شيء وانما هو محتاج الى من يعينه ويرشده ويوجهه الى سبيل الخير . وهذا الرجل هو الزوج الأول .

وأما الشخص الثانى فهو البارون « ادوار دى لاجامبيير » شاب من الأشراف ، ضخم الثروة ، ولكنه كصاحبه خير ضعيف الارادة ، لا يستطيع المقاومه ولا يقوى على الجهاد الا فى ناحية واحدة ، وهى الناحية المضادة لميول الأشراف وما توارثوا من عادة وسنة ، فهو يكره عادات الأشراف ولا يحرص على تقاليدهم ولا يحفل بها .

والشخص الثالث هى « ليونتين » امرأة جميلة فتانة ، ولكنها كصاحبيها ضعيفة الارادة خيرة ، غير أنها لا تستطيع مقاومة الشر ، أو قل لا تكاد تميز بين الخير والشر ، سلطان الغريزة عليها أقوى من سلطان العقل ، محبة للفكاهة مندفعة فيها ، أو هى ترى الحياة كلها فكاهة ، حتى تعلمها المصادفة أن هذه الفكاهة قد تستحيل الى جد ، فتستفيد من هذا الدرس ، واذا هى صاحبة جد ولكنه جد باسم لا يكاد يخلو من الفكاهة .

والشخص الرابع هى الماركيزة « دى بريساك » شيخة من الأشراف ، هى عمة البارون دى لاجامبيير ، محافظة ، مسرفة فى المحافظة ، سيئة الخلق ، طويلة اللسان ، ميالة مع هذا الى الخير ..

هؤلاء هم الأشـــخاص الذين تقـع بينهم القصة • وهناك اشخاص آخـرون كثـيرون تأتي بهم المصادفة ليتم تدبير ماسيقع من الحوادث دون أن يكون لهم في أنفسهم خطر •

* * *

فاذا كان الفصل الأول فنحن عند « أدولف » في بيته في باريس ، نشهد شابا قد أقبل يطالب بقسط من الأقساط المالية ، فتظن الخادم أنه يطالب بالقسط المستحق من ثمن البيانو الذي اشـــتراه سيدها ، فتدفع أليه خمسين فرنكا ، فيضحك ويطلب ألفين • فاذا سمعت الخادم هـــذا الـرقم جـــزعت وفـــزعت الى ســـيدها ، فيقبـــل ويعـــد الشاب بالأداء بعد دقائق • وما هي الا أن يصل صديق له عضـــو في مجلس النواب اسمه « بلانتين » يحمل اليه هذا المقدار فيأخذه ويدفعـه الى الشــاب • والخادم سـاخطة تلوم سيدها لومـــا عنيفا ، فهي تعلم أين يذهب هذا المال ، هو يذهب في حاجات زوجه المطلقة • ومع ذلك فقـد أضاعت هــذه المـرأة على زوجها أكثـــر ثروته ، ثم خانته فأسرفت ، حتى اذا طلقها اتخذت صناعة الموسسات ، وهي مع ذلك لا تستحي أن تلجأ الى زوجها القديم كلما مسها الضيق ، وزوجها القديم لا يستحي أن يعينـها كلما لجأت اليه • ثم تنصرف الخادم مغضبة ، ويأخذ النائب في النصح لصديقه ألا يفعل ، وصديقه يرى رأيه ويقبل نصحه • ولكن الخادم تعود فتعلن الى سيدها أن زوجه مقبلة ، فيضيق الرجل ذرعا ولكنه يستقبلها • فـاذا دخلت رأيت امـرأة خفيفة الروح ، حلوة الحديث ، مستخفة بكل شيء ، قد أقبلت على زوجها القديم مطمئنة واثقة تتحدث اليه في غير تكلف ، وزوجها يخشى أن تكون قد أقبلت تطلب بعض المـــال فهو يدافعها عن ماله • ولكنها لم تقبل لشيء من هذا ، انما اقبلت لشيء آخر ، ذلك أنها غضبت على صاحبها فطردته ، أو غضب عليها صاحبها فانصرف عنهـا ، وكانت قد استدانت فعجزت عن أداء الدين ، وباع الدائنون متاعها ، وأصبحت وليس لها مأوى ، وهي تبحث عن بيت ، ولكنهـا تريـد مأوى حتى تجد هذا البيت وتهيئه للسكنى • وقد فكرت في صديقاتها ولكنـها

استحت منهن ، فلم تجد الا زوجها • فيدافعها الرجل عن بيته ، ويشجعه صاحبه على الدفاع • وتقبل المرأة رفض زوجها راضية غير مكترثة فى فى ظاهر الأمر ، حتى اذا انصرف النائب عنهما اقبلت الى « البيانو » ، فأخذت تعزف لاعبة باكية فى وقت واحد • وعجز صاحبنا عن المقاومة فأذن لها أن تبقى عنده • وهو يفكر فى تدبير الأمر فسينزل لها عن غرفته وسينام فى غرفة الاستقبال • أماهى فلاتريد أن يفسد النظام فى غرفة الاستقبال بهذا السرير الذى سيضاف اليها ، وهى لا ترى بأسا ان تقاسم زوجها غرفته ، ولكن الزوج يرى فى ذلك البأس كل البأس ، فتقبل منه ذلك ضاحكة غير حافلة • وهل تحفل بشىء ؟

وانظر اليها قد نهضت فنظرت فى غرفة الاستقبال فلم يعجبها تنسيق المتاع ، فهى تقترح تغيير النظام ، تريد أن تنقل هذا المتاع من مكانه وتضع مكانه متاعا آخر • وزوجها يرى رأيها وكأنه قد نسى الطلاق وخيل اليه أنهما فى حياتهما الأولى • وانظر اليها بعد هذا تطلب الى زوجها شيئا من النقود ، وتكلف الخادم أن تشترى شيئا من الزهر تزين به هذا البيت • ثم انظر اليها تداعب زوجها ، وهو يقاوم أول الأمر ثم تضعف مقاومته حتى يوشك أن يزل ، لولا •• زيارة تفصل بينهما • فقد أقبلت صديقتان لزيارة « ليونتين » وكانت قد أنبأتهما أنها ستلجأ الى عمها فتقيم عنده حتى يجعل الله لها من ضيقها مخرجا ، فتقبلان وتقدم اليهما « ليونتين » ادولف على أنه عمها •

فاذا خلا النساء الى أنفسهن قالت احدى الصديقتين لليونتين : ان الله قد هيأ لهما مخرجا من هذا الضيق ، فان البارون « ادوار دى لاجامبيير » الذى رآها منذ سنة مفتون بها ، وهو يلتمسها ويريد أن يتخذها خليلة له ، وهو مقبل لزيارة بعد حين ، تقولان ذلك وتنصرفان • ويأتى الزوج وهو مضطرب فى دخيلة نفسه ، واثق بالزلل أن أقام مع امرأته ، عاجز عن أن يرى لنفسه مخرجا من هذه الأزمة • ولكن صديقه النائب قد عاد يخبره بأنه مسافر ، فيطلب اليه أن يصطحبه ليخرج من هذه

الأزمة ، ويقبـل النائب • وانظر اليـه يعلن الى زوجـه أنه مسافر الآن لأمر طرأ ، وأن سفره قد يطول ، وانهـا مطلقة التصرف فى البيت مـــا لم تسىء السيرة ، وأن خـادمه متصلة بشخصهـــا ، وأنه تارك لها مقدارا من المال يقترضه من صاحبه • وهو يهيىء حقيبته وينصرف •

وما هى الا أن يقبـــل البارون ومعه صـــديق له أستاذ فى مدرســة من مدارس الزراعة فى الأقاليم • فاذا استأذنا وأذن لهما انتظـــرا لحظة نراهما فيها وحدهما فتعرف أن البارون على ذكائه ومهـــارته فى تصريف الحديث مفحم أمام النساء ، ولا سيما حين يعجبنه ويقعن من نفسه •

وما هى الا أن تدخل « ليونتين » حتى يظهـر اضطرابه وعجزه وحتى نسخر منه فى نفسها ، ويظهر فى الوقت نفسه لسن هذا الصديق الأستاذ وفصاحته ، واذا « ليونتين » مفتونة بهذا الأستاذ • ولســت أطيل عليك بتلخيص مايقــع بينهم من حديث ، ولكن الأمر ينتهى بدعوة الى العشاء وقبول لهذه الدعوة وخروج الثلاثة الى حيث يطعمون •

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى مدينة من مدن الأقاليم ، فى دار الأستاذ الــذى رأينـــاه فى الفصـــل الأول ، وقد أقبلت لزيارتــه واستشارته المركيزة « دى بريساك » ومعها ابنة اخ لها جميلة يقال لها « أورتنس » • وأورتنس هـــذه تنبىء عمتها أنهـــا كادت تفقد الحياة لولا أن رجلا أنقذها ورد عنها فرسا جامحا كاد يقتلها • وعمتها تســخر منها ومن صاحبها الذى أنقذها ، كما تسخر فى غضب وسخط من ابن أخيهـا البارون « دى لاجامبيير » الذى تزوج امرأة مطلقة من باريس خارجا بذلك على تقاليد الأشراف وأصـــول الدين • وهذه الشيخة مغضبة محنقة عـــلى كل شىء ، ترى أن لنظام الجمهـورى مســئول عن كل الشرور حتى التى لا عمل للناس فيها • أليست الجمهورية هى التى استحدثت هذه العلل التى تصيب الكروم فتفسدها ! ! وقد أقبلت هـــذه المرأة تستشير أستاذنا

الزراعى فى احداهما !! ولكن الأستاذ قد أبطأ ، فتنصرفان على أن تعودا بعد حين ٠

ويقبل الأستاذ ويقبل البارون ويتحدثان ٠ فنفهم من حديثهما أن البارون لم يكد يرى « ليونتين » حتى فتن بها واعتزم أن يتخذها له زوجا ، تردد فى ذلك أياما ثم صحت عزيمته فتزوجها ، لم يحفل بأحد ولم يدع أحدا ، وهو سعيد بهذا الزواج منذ ثلاثة أشهر ، وامرأته سعيدة أيضا ٠٠ وهو يلتمس لها العذر فيما اقترفت من اثم قبل أن يتزوجها ، فذنب ذلك على زوجها الأول ، ذلك الرجل المجرم الذى كان يشرب حتى اذا سكر عاد الى بيته فأذاق امرأته ألوان العذاب ٠ وآية ذلك أن المحكمة حكمت عليه بالطلاق لا على زوجه ٠ هو اذا راض عن حظه مغتبط به ، وصاحبه الأستاذ يهنئه ويغبطه ، وهو يعلم زوجه اصطناع البسكليت ، وهو معجب بجمالها فيما تتخذ لهذا الغرض من زى ، معجب بذكائها وسرعة اتقانها لهذا الفن ٠

ثم نفهم من حديثهما أنه ساع لصديقه الأستاذ فى أن ينال أحد الأوسمة ، وأنه لابد لذلك من عريضة يوقعها أعيان الاقليم ٠ والأستاذ قد هيأ هذه العريضة وسيمضيها البارون ويحمل عمته على امضائها ، فسيكون لذلك أثره ، وان كانت عمته ساخطة عليه مغاضبة له ٠ وقد أقبلت « ليونتين » فى زى البسكليت جميلة خلابة مبتسمة للحياة ، راضية عن كل شىء ، حلوة الحديث ، لذيذة الفكاهة ، فتتحدث حينا ، ونفهم من الحديث ان زوجها مضطر الى أن يغيب عنها ساعات تقضيها هى فى دروس البسكليت ، ثم ينصرف الزوج حينا ، فاذا بين الأستاذ وبين « ليونتين » اثم قديم العهد لأنها أحبته منذ رأته وأحبها هو أيضا ولكنه خائف ، أما هى فلا يعرف الخوف الى نفسها سبيلا ٠ وانظر اليها قد أخذت تداعبه ، وهو يجيبها كارها ، ثم تدنو منه وما تزال تدنو حتى تكون بين ذراعيه ، وهو يقبلها وهى تقبله ، وهى تكرهه على أن يضرب لها موعدا اذا انصرف زوجها ، وهو يتأبى ، ولكنها تكرهه وتلح عليه وتقول له فى قبلة : « الى اللقاء بعد حين » ٠

وفى أثناء ذلك يفتح الباب وتظهـر الشيخة ، فاذا رأت هـذا المنظـر انصرفت مغضبة وافترق العاشقان ولم يحسا شيئا ٠

ثم يعود البارون وتنصرف امرأته الى البسـكليت ٠ وبينـما هو فى حديث مع الأستاذ اذ تستأذن الشيخة فتدخل فى جد وحشمة ، وتطلب الى الأستاذ ان يزور زراعتها غـدا او بعد غدا وتهم بالانصراف ٠ ولكن ابن أخيها يستوقفها ويريد أن يتقرب اليها ، فيتركهما الأستاذ حينـا فيتحدثان ٠ ونفهم من حديثهما أنها لا تعترف بزواجه ، وانما ترى أنـه اتخذ له خليلة وليس فى ذلك بأس ٠ غير أن الشاب يطلب اليها توقيـع العريضة فتأبى فى غضب لأنها تزدرى هذا الأستاذ ، وكيف لا تزدريه وقد رأت بين ذراعيـه منذ حين امرأة جميلة فى زى البسكليت ما ترى الا أنها من مومسات باريس !! يدهش الشاب لأنه كان يرى صـديقه الأستاذ أبعد الناس عن العبث واللهو ٠ فاذا ألح فى هذا الدهش وألحت عمته فى الوصف والتفصيل ٠ تطرق الشك اليه فيستوصف عمته ٠ فتفصل الوصف ، فيستحيل الشك يقينا ، واذ هو مصعوق ، واذا عمته تقول فى سخرية : أخشى أن أكون قد أسأت اليك عن غير عمد ٠ ولكن صاحبنا يريد أن ينتقم وهو يريد البينة قبل الانتقام ، وقد أخبرته عمته أن العاشقين تواعـدا على أن يلتقيـا بعد حين ، فيخرج وتخرج معه عمته للاستعانة بصاحب الشرطة ، وقد عاد الأستاذ الى غرفتـه ، وهو يحدث نفسـه كارها لهذا الموعد ، معلنا أن الدرس والمرأة لا يجتمعان ٠

ولكن المرأة قد أقبلت ٠ فتداعب وتعبث حتى تصرف الرجل عن درسه ، ثم تنسـل فى لطف الى غرفـة النوم وقد تجردت من ثيابها ، وهى تدعو اليها صاحبها فى دعابة ورشاقة ، وصاحبها يقبل عليها كارها ٠ ولكنه يسمع وقع أقـدام ، ثم يحس طرق الباب ، ثم يستيقن انه الزوج قد أقبـل ومعه صاحب الشرطة ، فيضطرب ويشتد اضطرابه ، ويحاول أن يحمل صاحبته على الفرار ٠ ولكن كيف تفـر وهى عريانة !! أما هى فهادئة مطمئنة ، تأمر صاحبها ان يفتح الباب ٠ وقد فتح الباب ، ودخل الزوج ودخـل صاحب الشرطة ومعه كاتبـه ، ولكننا لا نكاد نرى صاحب

الشرطة حتى يأخذنا الدهش ثم الاغراق في الضحك ، ذلك أن صـاحب الشرطة هو « ادولف ديبوا » الزوج الاول لليونتين ، أرادت المصادفة أن يكون مدير الشرطة في هذه المدينة منذ ايام .

يأخذ صاحب الشرطة في كتـابة المحضر مستعينا بكاتبه ، حتى اذا اراد أن يرى المرأة الخائنة أنبىء أنها لا تستطيع أن تظهر له فيسجل ذلك في المحضر . وبعد حين يفتح باب الغرفة وتخرج « ليونتين » ... فقدر دهشـــها ، وقدر بنوع خـــاص دهش صـــاحب الشرطة وقد رأى امرأته في هذا الموقف . ولكنهما يجتهدان في اخفـــاء هـــذا الدهش ، ويحاول الرجل ان يمضي في عمله فيأخذ في سؤال « ليونتين » فتطلـب اليه « ليـونتين » ان يأذن لها في توجيه الكلام لحظة الى هذين الرجلـين زوجها وعاشـقها . فتسـأل الزوج ماذا يريد ؟ يجيبها الطلاق في أسرع وقت . وتسأل الأستاذ ماذا يريد ان يصنع ؟ فيجيب أنه لا يريد شيئا فهو رجل درس ، وكل مايعنيه ان ينصرف الى علمه . هو اذا متخـل عنهـا ... هو اذا رجـل لا شرف له ولا مروءة وقـد كانت أحبته لأنهـا كانت ترى فيه جدا واستقامة . أما زوجها فيسألها ماذا تريد ان تصنع هي ؟ تجيبه وما يعنيك من هذا ؟ فيقـــول : انك ستظلين زوجي حتى يفرق الطلاق بيننا ، فمن الحق ان أعرف الام تصيرين . عجيب ! سأذهب الى حيث كنت ، الى بيت عمي فهو خير كريم . ولا يكاد صاحب الشرطة يسمع هـــذا حتى يملكه غضـــب لا حد له ، فهـــو يحس أن « ليونتين » ستعود اليه ، وهو انما ترك باريس فرارا من « ليونتين » وهو يريد أن يتقيهـــا ما استطاع الى ذلك سبيلا . وانظر اليه يأبى ان يمضي في كتـــابة المحضر على وجهه ، ويعلن انه لم ير اثما وانما رأى سيدة محتشمة عند الأستاذ . فلا تسل عن سخط الزوج وحنقه . ولكن صاحب الشرطة ملح ، ثم ينتهي الأمر بأن يطلب صاحب الشرطة الى الزوج أن يتحـــدثا لحظة على خلوة ، فيتفرق عنهما الناس ، ويأخذ « أدولف » في النصح لهذا الشاب بأن يعدل عن الطلاق ، وما يزال بـه يبغض اليه الطـلاق ويحبب اليه العفو والمغفرة حتى بلغ منه ما أراد . وقد عادت المرأة ، فيتركهما لحظة يتم فيها الوفاق بينهما ، ويعود وقـد

اســـتقام له الأمر كما كان يحب ، فلن يكون طلاق ولا خصومة ، ولن تلجأ اليه « ليونتين » . ولكن الزوجين قد أحباه لأنه أصلح بينهما وأحبه الزوج بنوع خـاص ، فهو يدعوه الى العشاء ، وامرأته تلح في الدعوة . واذا فقـد كان يريد ان يفلت من « ليونتين » فأصبح مكرها على عشرة « ليـونتين » .

* * *

فاذا كان الفصل الثـالث فقد مضـت ايام على هذه الحادثة . ونحن في قصر البـارون نرى « ليونتين » تؤنب خدمها في رفق وفكاهة ، وقد أقبـــل « أدولف » مدعـوا الى الغداء ، فتلقـــاه « ليونتين » مبتهجـة بلقائه وهو ضيق الصدر بهذه المـودة ، ضيق الصدر خاصة بمـكانه من البارون الذى يجهل كل شيء مما كان بين « أدولف » وليونتين » وهو ينبيء « ليونتين » بأنه قد غير اسمه الخاص عندما سأله عنه البـــارون ، وبأنه يلتمس طريقا للانتقال من هذه المدينة حتى لا يضطر الى معاشرة الزوجين . ولكن « ليونتين » لا تريد أن يفارقهمـــا ، وهى لا ترى فى شيء مما كان بأسا . ونحن نحس فى كل أحاديثها أن قد تغيرت حقا منـــذ تلك الحادثة التى رأيتها في الفصل الثانى ، تغـــيرت فأصبحت خيرة طيبـــة النفس ، طاهرة الطبع شديدة البغض للاثم والخيانة ، محبة لزوجها شديدة الحرص على الـوفاء له ، عافية عن الآثمين متجاوزة عن آثامهم ، وقد أقبل الزوج فاذا هو أشد من امرأته حبا لأودلف ووفاء لهواعترافا بجميله . والرجل مضطرب ضيق الصدر بين هذين الزوجين . ولكن حب البارون لأدولف لا حد له ، فهو يريد أن يلتمس له زوجـا ويضمن به عـــلى هذه الحياة التى تنغصها الوحدة ، وآمرأته تشاركه فى هذا الرأى . وما هى الا لحظة حتى يهتدى الزوجان الى القرينة الملائمة . وما الذى يمتـع « أدولف » من أن يتزوج ابنة عم البارون « أورتنس » فهى جميلة غنيـة خيرة ! أما أدولف فلا يرى فى هذا الا نوعا من المزاح .

ولكن « أورتنس » قد أقبلت ، فلا تكاد ترى « أدولف » حتى تدهش . فهو الذى أنقذها من الموت . وما يكاد ابن عمها يخلو اليهـــا ويحدثها فى

هذا الزواج حتى تظهر الرضا والاطمئنان ، فالقوم جميعا سعداء ، ولا سيما بعد أن أقبل النائب « بلانتين » يزور البارون فيلقى صديقه « أدولف » وصاحبته « ليونتين » ويكون فى هذا كله اضطراب غريب مصدره حرص « أدولف » على ألا يظهر اسمه الحقيقى ، وحرصه أيضا على ألا تظهر المعرفة و « ليونتين » • وتكلف هؤلاء القوم جميعـــا الحيلة فى اخفاء الأمر عـلى البارون • هم ينجحون فى هذا التكلف ، وهم كما قلت لك سعداء ينتظرون الدعوة الى المائدة • ولكن المصادفة لم تفرغ بعد من عملها ، فقد اقبلت عمة البارون الشيخة ، فخلت الى ابن أخيها لحظة تسأله عن أمر الطلاق ، فـلا يستطيع أن يخبرها بأن قد تم الصلح بينه وبين امرأته ، فيزعم لها ان القضية تجرى مجراها • ولكن الشيخة قلقة لأن ابنة أخيها « أورتنس » مشغوفة بحب هذا الرجل الشرطى الذى أنقذها من الموت ، وهى تخشى أن ينتهى هذا الحب الى الزواج • فاذا سألها ابن أخيهـا وأى بأس فى ذلك ؟ أجابت انها الفضيحة ، فان هذا الرجل قد طلق امرأته • فيدهش الشاب لأنه كان يقدر أن صاحبه لم يتزوج ، فتـؤكد له عمته ذلك وتخـرج له وثيقة استخلصتها من المحكمة فى باريس وفيها أن هذا الرجل واسمـــه « أدولف ديبوا » قد كان سكيرا يضرب امرأته ، فطلقت امرأته عليه ، ثم أثبتت لابن أخيها أن هذا الرجل هو بعينه الذى عين منذ أيام مدير اللشرطة• فقدر أنت دهش الشاب واضطرابه حين يعلم أن صاحب الشرطة هو الزوج الأول لامرأته ، واسمع لعمته تقول له الآن كما قالت له فى الفصل الثانى : أخشى أن أكون قد أسأت اليك عن غير عمد يا ابن أخى ! • وقد انصرفت عنه وتركته فى هياج واضطراب • فانظر اليه وقد دخل عليه « أدولف » ومعه « ليونتين » كيف يستقبل صاحبه مضطربا ساخطا صاخبا ، يعلن اليه اسمه وصناعته الأولى فى باريس وقضيته مع امرأته ••• والرجل يعترف بكل شئ فى وجوم ودهش ، حتى اذا فرغ من هذا أعلنت « ليونتين » أن « أدولف » لم يكن فى يوم من أيام حياته سكيرا ولا شريرا ، لم يضربها ولم يسئ اليها، وانما هى التى خانته فأراد الطلاق ، وكره أن يكون الحكم عليها فقبل أن يتهم نفسه وأن يقع الطلاق عليه هو • ثم تتبع امرأته بعد

الطلاق بالبر والعطف ، حتى كان هذا الحادث الأخير · وانظر اليها ترفق بزوجها وتترضاه فى خفة ودعابة وطهــر حتى تأخذ يده فتضعها فى يــد زوجها الاول · وتدخل « أورتنس » ومعها النائب يستعجـــلان الغداء · فيضع البارون ذراع « أدولف » فى ذراع « أورتنس » وقد سماه باسمــه هذه المرة · فاذا سمع النائب ذلك أظهر الدهش ، فينبئه صاحبه أن قد عرف الرجل كل شىء وهم يتقدمون الى المائدة والخادم مقبلة وفى يدهـــا زهر تقدمه الى سيدتها كأنما تهدى هذا الزهر الى هذين الخطيبين ·


لافتات النيون
هى الزينة فى أضواء المدنية
جميع لافتات النيون
والزخارف الجميلة المضاءة
بمختلف بلاد الشرق الأوسط
من تصميم وتنفيذ
شركتى
الاعلانات : المصرية
الشرقية
خامات ممتازة
وصيانة دائمة

المربي

قصة تمثيلية للكاتب الفرنسي

مارسيل بانيول



ليس هذا العنوان ترجمة دقيقة للعنوان الفرنسى ، وربما لم يكن ترجمة مقاربة • فالعنوان الفرنسى يشير الى نوع خاص من اللهو ، هو هذا الضجيج الأمريكى الذى شاع فى الحانات والملاهى والذى يسمونه الجازباند • واذا كنت لم أعن بالترجمة الدقيقة لهذا العنوان ، فذلك لأن هذا العنوان نفسه لايدل على القصة ولا يختصرها ولا يدل على جزء مهم من أجزائها ، انما يدل على شىء اضافى مر فى القصة عرضا • ومن حقنا أن نتساءل : لم اتخذ الكاتب لقصته هذا العنوان ؟ وما باله لم يلتمس لها عنوانا يلائم موضوعها أو أشخاصها ملاءمة صحيحة ؟ على أن هذه الخصلة ليست وحدها الخصلة الغريبة فى هذه القصة ، فالقصة كلها غريبة فى حقيقة الأمر : غريبة فى تصورها ، غريبة فى عرضها ، غريبة فى نتيجتها ، ولكنها على ذلك قيمة لذيذة ، أوقل انها لذلك نفسه قيمة لذيذة •

والحق أنك فى حاجة الى أن تقرأ هذه القصة مرتين ، وربما احتجت الى أن تقرأها أكثر من مرتين ، لالتفهمها ففهمها سهل يسير ، ولا لتشعر بقيمتها الفنية فأنت شاعر بهذه القيمة متى بدأت فى القراءة ، ولكن لتتبين الغرض الذى اليه قصد الكاتب حين وضع قصته • ولست أدرى أمن اليسير بعد القراءة مرة أو مرتين أو ثلاثا أن تقطع بالغرض الذى قصد اليه الكاتب • ومن يدرى ! لعله لم يقصد الى غرض بعينه ، ولم يفكر الا فى أن يعرض عليك قصته كما تصورها ، تاركا لك أن تستنبط منها ما تشاء •

ومهما يكن من شىء فأنت مضطر الى أن تلاحظ فى هذه القصة أمرين : أحدهما نعى شديد على العلماء الذين يقفون حياتهم على العلم وحده وعلى العلوم التى تمس الآداب بنوع خاص •

فموضوع القصة رجل من هؤلاء العلماء وقف حياته على اللغة اليونانية• والكاتب لايعرض علينا أمر هذا العالم وحده ، ولكنه يعرض علينا من قريب أو بعيد أمر قوم آخرين يعملون فى كلية من كليات الآداب منهم الأستاذ

ومنهـم الطامع · والثـــانى صراع عنيف بين الحيـــاة العلمية الجـــافة والحياة العملية التى لاتخلو من لذة ودعة ولين · فهل قصد الـكاتب الى أن يبغض الى الناس هذه الحياة العلمية الخشنة التى يسرف فيهـا بعض العلماء حتى يجعلوها أشـبه برهبانية الرهبـان ونسك الناســكين ، مزدرين فى سبيلها عواطف النفس وأهواءها ، وحاجات الجسـم وما تستتبعه هــذه الحاجات من لذة وألم ؟ أم هل قصد الـكاتب الى أن يسخر من هــذا اللون من ألوان البحث العلمى ، ويبين أنه اذا كان هناك نوع من العــلم خليق بأن يقف الانسان عليه حياته فليس هو هذا النوع الذى يفرغ له الباحثون عن اللغات وعن اللغات القديمة بنوع خاص ؟ أم هل قصد الى أن يســخر من البحث العلمى بوجه عام ؟ أخشى أن يكون قصد الى هـــذا كله فى وقت واحد ، أخشى أن يكون قد قصد الى ما يقصد اليه الشبان فى هذا العصر الحديث ، ولاسيما بعد انتهاء الحرب الكبرى ، من تمجيد الحياة العملية والاعراض عن هذه الحياة العلمية الخالصة ، بحجة أن هذه الحياة العملية هى وحدها المنتجـــة ، وهى الملائمة لطبيعة الأشياء وحاجات الناس ومذهب المنفعة بعبارة موجزة ·

ومهما يكن الغرض الذى قصد اليه الـكاتب فان قصته لا تخلو من لذة قوية ونفع كثير · ولو لم يـكن للـكاتب الا هؤلاء الأشـــخاص الذين قد صورهم فأحسن تصويرهم لكانت قصته خليقة بالعناية ، فكيف وقد وفق فوق هذا لطائفة أخرى من المعانى تبشر بأن ســيكون له فى فن التمثيل مستقبل لابأس به ·

على أنى لا أحب أن أبدأ فى تحليل القصة وعرض أشخاصها عليك قبل أن ألاحظ أن الفصل الثانى من هذه القصة خليق أن يمحى ، فليست اليه حاجة فنية ، وربما كان من الاتقان الفنى أن يترك الـكاتب للقــارىء أو للنظارة تقدير ما جاء فيه · على أن هذا الفصل نفســه لايخلو من فــكاهة رائقة وتفكير عميق · ولعل هذا هو الذى حمل الـكاتب على أن يضحى بالفن التمثيلى فى سبيل الفن الأدبى الخالص ·

* * *

الأشخاص الذين يستحقون أن يعرضوا فى هذه القصـــة أربعة ، أولهم

« جان بليز » وهو رجل فى السابعة والخمسين من عمره ، أنفق حياته كلها فى درس اللغة اليونانية ، ووفق فى هذا الدرس الى حظ من الفوز فتن به الناس جميعا فنال أوسمة الشرف كلها من حكومته الفرنسية ، وهو يوشك أن ينتخب عضوا فى المجمع العلمى وأن يختار أستاذا لليونانية فى السوربون • وهو فى سبيل هذا المجد العلمى قد أخذ نفسه بألوان من الشدة فى حياته ، فرفض الحب رفضا قاطعا وانصرف عن النساء وعن لذات الحياة كلها • ثم لم يكتف بهذا بل خيل اليه أنه من هذه الطائفة المختارة التى خلقت لتقود الانسانية وترقيها • وهو مطمئن الى هذه المكانة مقتنع بأنه قد أصبح من الخالدين ، وهو يزدرى الحياة العملية والذين يضطربون فيها ، لايؤمن لهم الا بأنهم خدم يهيئون للعلماء حاجاتهم فيعينونهم على تأدية مايؤدونه من نفع هذا النوع الانسانى • وهو بهذا كله مؤمن ، مقتنع بايمانه ، لايقبل فيه جدالا ولانزاعا • ولكن نفسه على شدة اقتناعها بهذا كله لم تستطع أن تقهر حسه ولا أن تفله ولا أن تلطف من حدة شعوره فهو فى جهاد متصل بين العلم والهوى • وأكبر الظن أنه انما أمعن فى العناية بالعلم ووقف حياته عليه حين أحس الاخفاق فى الحب وأشفق ألا يعجب النساء • وآية ذلك أن هذا الجهاد قد بلغ من العنف أن آذاه وأضناه وظهرت آثار هذا الأذى فى مجموعته العصبية التى نشعر منذ الفصل الأول بأنها قد أخذت تضعف وتضطرب حتى أشفقت عليه خادمه أن يكون قد أصيب بأحد أمراض المعدة • وقد وفق الكاتب توفيقا غريبا لأن يعرض علينا شخصية هذا الرجل عرضا قويا ، فقد ألف هذا الرجل من شخصين مختلفين : أحدهما هو هذا العالم الذى عرضته عليك، والآخر شاب يمثل هذا الرجل حين كان طالبا وحين كانت نفسه تنازعه الى الحب والنساء ، وجعل الصراع بين هذين الشخصين ماديا خارجيا يرى بالعين •

الشخص الثانى عميد كلية الآداب ، وهو رجل متقدم السن عالم ولكن فيه عيوب أمثاله من العلماء الذين يشغلون المناصب ويحرصون على أن يرضى عنهم الجمهور والرؤساء ، فهو حسود مسرف فى الحسد ، وهو

منافق ، غال فى النفاق ، وهو الى ذلك جبان عظيم الحظ من الجبن ، وهو يتقن العلم ويظهر الايمان به ولكنه فى حقيقة الأمر يزدريه ويشك فيه ٠

الشخص الثالث فتاة فى ريعان الشباب هى « سسيل بواسييه » طالبة فى الجامعة تدرس اللاتينية واليونانية ، جميلة ولكنها فقيرة ، تعنى بأن تعيش ، ولا تكاد تفكر فيما يفكر فيه الفتيات من حب أولهو ، مستعدة كل الاستعداد للتضحية ، ولكنها لاتكاد تحس الحب حتى تظهر فيها الأثرة ويظهر عجزها عن التضحية ٠

الشخص الرابع فتى صربى هو « ستيبانوفيتش » كان من جنود الحرب الكبرى ، أبلى فيها بلاء الأبطال ، فلما انتهت عاد الى مهنة التعليم التى كان يعيش منها ، ثم بدا له فجاء الى فرنسا يتم درس اليونانية ، وهو كبير النفس صبور محتمل المكروه فى سبيل العلم ، لا يتردد فى أن يتخذ صناعة الحمال فى محطة السكة الحديدية ليتمكن من الدرس ٠ وهو رقيق النفس قوى العاطفة ، ولكنه يعرف كيف يكتم حبه ، فاذا ظهر له أنه يستطيع أن يعلن هذا الحب دون أن يتجاوز الحق والعدل مضى فى ذلك غير مشفق ولا متردد ولا محجم عن أشنع أنواع القسوة ٠

هؤلاء هم أشخاص القصة ، فلننظر كيف يضطربون فيها ٠

* * *

نحن فى مدينة جامعية من مدن الأقاليم ، فى دار «جان بليز» آخر النهار ، وقد ذهب الأستاذ الى الجامعة ليلقى درسه ٠ فاذا رفع الستار رأينا خادمه تتحدث الى صديق أقبل ليزوره ومعهما عميد كلية الآداب قد جاء وكأنه يحمل نذير سوء ٠ ثم ينصرف هذا العميد منذرا بعودته ٠ فاذا خلت الخادم الى صديق سيدها أخبرته بأن سيدها متعب مضطرب الأعصاب قد يتحدث الى نفسه اذا جنه الليل ، وعللت ذلك باضطراب فى المعدة ، وعلل الصديق ذلك بالوحدة ٠

ثم يأتى الأستاذ فاذا كانت بينه وبين صديقه التحية المألوفة وجلسا يتحدثان فهمنا أن هذا الأستاذ قد ذهب مرة الى مصر فوجد فى بعض

أديرتها نسخة قديمة كتب عليها الانجيل باللغة اللاتينية ، ثم تبين أنه قد كان مكتوبا قبل الانجيل شيء باللغة اليونانية ، فمحا الانجيل وأخضع نسخته لعمل كيميائي مكنه من كشف الأصل لهذا النص اليوناني فاذا هو كتاب من كتب أفلاطون يقال له « فايتون » . ولكن هذا الأصل كان مضطربا قد عبث به الزمان فلم تبق منه الا كلمات وجمل منها التام ومنها المبتور ، فجد في ذلك حتى أصلحه وأتمه . وقد أنفق في هذا العمل أعواما طوالا ، ثم نشره فاضطرب له العلماء في أقطار الأرض وكادوا يجمعون على أن هذا الأستاذ قد أخرج للناس أقوم أثر من آثار أفلاطون من الوجهة اللغوية والأدبية والفلسفية . وعرفت الحكومة الفرنسية لهذا الأستاذ حقه فكافأته بالأوسمة ، وهي تريد أن تنقله الى السوربون وهو يوشك أن يكون عضوا في المجمع العلمي . ويحدث بهذا كله صديقه الذي لايكاد يفهم منه شيئا لأنه يعمل في التجارة . فاذا ظهر منه عجزه عن الفهم كانت بينه وبين صاحبه مناقشة رأينا منها كبرياء الأستاذ بعلمه وازدراءه لغيره من الحياة والأحياء .

وبينما هما كذلك اذ تقبل «سسيل بواسييه» احدى تلاميذ الأستاذ تريد أن تستعير من أستاذها كتابا فيعيرها اياه . ولكنهما لايكادان يتحدثان حتى نحس من الأستاذ ميلا خاصا الى هذه الفتاة وعطفا عليها ومن الفتاة اعجابا بالأستاذ . والفتاة لم تأت في حقيقة الأمر لتستعير الكتاب ، انما جاءت لتعرض على أستاذها أن رفيقا لها من الطلبة هو «ستيبانوفيتش» قد ضاقت به سبل الحياة فهو مضطر الى أن يعود الى وطنه ، وقد تعاون رفاقه فيما بينهم فجمعوا له مقدارا من المال ، ولكنهم لايعرفون كيف يدفعونه اليه لأنه شديد الكبرياء ، فهم يتوسلون بالأستاذ ليؤدى اليه هذا المقدار . فاذا سمع الأستاذ هذا ، رد المقدار الى الفتاة ووعدها بأن يصلح من أمر الفتى ، ثم أخذ يلومها لأنها لم تحسن كتابة الموضوع الذى طلب اليها كتابته باليونانية . وتنصرف الفتاة ، ويأتي الفتى الصربي مودعا الأستاذ ، فلا يمكنه الأستاذ من أن يتكلم ، بل يفجؤه بأن يعلن اليه أنه سيطبع كتابا من كتب «كسينوفون» ، وقد أعد لهذا الكتاب شرحا وتعليقا،

ولكن أوراقه فى حاجة الى الترتيب والنسخ ، فهو يكلفه هذا العمل ويأجره عليه ويدفع اليه بعض هذا الأجر مقدما ، والفتى مغتبط بهذا لأنه يمكنه من اتمام الدرس وتأدية الامتحان دون أن يؤذى كبرياءه •

فاذا خرج الفتى وهم الأستاذ أن يستأنف حديثه مع صديقه أقبـــل عميد الكلية ، فيتلقاه الأستاذ عابسا منقبضا ، ويسرع العميد فينبئه بأنه جــاء يحمل اليه نبأ سيئا ويأخذ فى تعزيته وتشجيعه • فاذا ألح عليــه ليعرف هذا النبأ أعلن اليه أن العالم الانجليزى «كولسون» قد ذهب الى مصر واستكشف فيها نسخة من كتابه « فايتون » وكانت نسخة صـــحيحة واضحة لاعيب فيها ، وظهر من قراءة هذه النسخة أولا أن الكتاب ليس لأفلاطون وانما هو لنحوى من أهل الاسكندرية كان يقلد أفلاطـــون فى القرن الأول للمسيح أى بعد أفلاطون بأربعة قرون ، ثانيا أن كل ما اقترحه الأستاذ لاصلاح النص وتكميل جمله وألفاظه وتصحيحها خطأ • وهـذا العالم الانجليزى ينشر نسخته التى استكشفها ولكنه يرسل منها مسودة ليقرأها الأستاذ قبل أن تظهر للناس • ثم يدفع العميد هذه المسودة الى الأستاذ ، ويأخذ هذا فى قراءتها والاضطراب يملكه شيئا فشيئا ، وقد ظهر ذلك عليه ، فنهض صديقه ، وخرج العميد ليتركا الرجل منفردا الى مسودته •

وفى أثناء ذلك يظهر فتى كأنما انشق عنه الحائط وهو رث شاحب ، فيقف خلف الأستاذ وينظر محزونا كأنه يقرأ المسودة •

* * *

فاذا كان الفصل الثانى فقد مضت أيام على هذه القصة وظهـــر أمرها للناس ، وافتضح الأستاذ فضيحة منكرة ، وانقسم فيه العلمـــاء الذين كانوا يعجبون به ، فمنهم من يتهمه بالجهل المنكر ، ومنهـــــم من يتهمه بالتدليس القبيح • وقد كانت هذه الفضيحة صدمة للرجل حالت بينــه وبين الذهاب الى الجامعة أياما • وكأنه قد استرد قوته فعزم أن يستأنف دروسه ، وأقبل الطلبة مضطربين يريدون أن يروه وأن يسمعوه وهم فى

أمره مختلفون اختلاف العلماء والجمهور · ولكن العميد يحاول أن يؤخر استئناف هذا الدرس ، فيغرى أحد الخدم بأن يصد الطلبة عن قاعة الدرس ، ويعلن اليهم أن الأستاذ قد أجل درسه ، ولكن بعض الطلبة يأبون الا أن يقتحموا غرفة الدرس · وهم جلوس وقد رأى العميد أن لابد من استئناف الدرس ، فأقبل يخطب الطلبة يعيب أستاذهم وكأنه يرثى له ، ويغريهم به وكأنه يعطفهم عليه ·

ويأتى الأستاذ فيتخذ ثوبه الرسمى ويجلس الى مائدته ، واذا الفتى الذى رأيناه فى آخر الفصل الأول قد ظهر ووقف فى آخر الغرفة تجاه الأستاذ · وبدأ الأستاذ يتكلم فاذا هو يعترف بأنه قد أخطأ فى كل شىء فليس الكتاب لأفلاطون ، وليس تصحيحه لهذا الكتاب حقا ولا مقاربا ، وانما يشتمل على أكثر ثمانمائة غلطة · ولكن هذا الكتاب حقا ولا مقاربا ، بالخطأ قد خدع الذين يعنون باليونانية جميعا سواء منهم اللغويون والأدباء والفلاسفة ، كلهم قبله ، وكلهم أظهر الاعجاب به · وينتقل الأستاذ من هذا الى أن العلم ليس شيئا ، وانما هو وهم فى وهم وضلال فى ضلال ، وأن العالم أشبه الناس بالرجل الذى اهتدى الى كنز فى مكان مظلم فاتخذ المصباح ليصل اليه ، ولكنه شغل بالمصباح عن الكنز ، فأخذ يرفع ذبالته حينا ويخفضها حينا آخر · وليس العقل الانسانى الا هذا المصباح الذى يشغل العلماء عن الحياة وما فيهــا من لذة ومتاع ، واذا الأســـتاذ يحث تلاميذه على الاعراض عن العلم والاستمتاع بلذات الحياة ، ويمضى فى ذم العلم ومدح اللهو الى حيث يوشك أن يكون متصوفا ، ثم ينهض فيلقى عنه ثوب الأستاذية ، ويعلن الى تلاميذه أنه مستقيل ·

* * *

فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى بيت الأستاذ مساء هذا اليوم ، وقد تغيرت غرفته فخلت من الكتب خلوا تاما · وهو جالس الى مكتبه ينظر فى أوراق ثم يمزقها ، وقد جاء العميد يسأله عن كلمات زعموا أنه قالها فى درسه وهى لاتليق بالعالم ولا بالأستاذ ، فلا ينكرها بل يزيد عليها ويرفع الى العميد استقالته من الأستاذية · ويلح العميد عليه مخلصـــا فى أن

يسترد هذه الاستقالة فيأبى · وهنا تنكشف لنا نفس العميد ، فهو يتخذ العلم ورياسة كلية الآداب صناعة لا أكثر ولا أقل ، وهو لايؤمن بعلم ولا يؤمن بجامعة وانما يؤمن بالحياة : بامرأته وولده · وهو يشبه العلمـــاء حين يظفرون بالحق فيفرحون ، أو يردون عنه فيحزنون · بالأطفال الذين يتحاربون لاعبين فيخيل اليهم أنهم يجدون واذاهم يطلبون الفوزويفرحون به حقا ويكرهون الهزيمة ويحزنون لها حقا · ولكن الأستاذ مصر عـــلى استقالته فينصرف عنه العميد · ويخلو الرجل الى نفسه حينــا ، واذا الشاب الذى رأينا فى الفصلين الماضيين قد مثل أمامه ، فيكون بينه وبين الأستاذ حوار بديع مؤثر حقا · فليس هذا الشاب فى حقيقـة الأمر الا الأستاذ حين كان طالبا وحين كان يكره نفسه على العلم ويصرفها عن الحب واللهو · وقد تمثل هذا الشاب القوى الفتى المحـروم فى شخص هـذا الفتى ، وأقبل يعرض على الشيخ ذكرى هذا الحرمان والشيخ يدافعه ثم لايلبث أن يمضى معه فى الذكرى · فانظر اليه حين كان يستيقظ قبـــل آخر الليل فيقبل على اليونانية يقرأ ويكتب ويســتظهر · وانظر اليـــه كيف كان يغدو مع الصبح فيسلك الى الجامعة أبعد الطرق عن الفتنـــة منصرفا عن ضوء الشمس وجمال الربيع وابتهاج المدينة · وانظـر اليه كيف كان يلوى وجهه عن هذه الفتاة الحسناء تمر الى جانبه · وانظر اليه كيف أحب وعبث الحب بقلبه ولكنه مع ذلك أبى أن يعلن حبهوأخذ يخادع نفسه عن هذا الحب ، وأخذ يتجاهل ميل صاحبته اليه فلايحييها ولا يظهر الميل اليها · وانظر اليه مع ذلك كيف أهوى مرة الى زهرة ألقتها هـــذه الفتاة فاحتفظ بها منذ عشرين سنة فهى الآن جافة ذابلة ولكنه لايـكاد يلمسها حتى تتفتح وتسترد نضرتها · ثم انظر اليه كيف يعتذر الىشبابه فيزعم أنه لم يكن جميلا ولا وسيما ولا جذاباً للنســـاء · ولـــكن حركة يأتيها الفتى فاذا هو جميل وسيم حسن الطلعة مقتنع بأنه كان يستطيع أن يظفر بحب النساء · يعرض الفتى على الشيخ شبابه وما صنع فيه من لذة وما أهمل فيه من فرصة ، والشيخ يضطرب عليه شيئا فشيئا حتى يدنو من الجنون · واذا هو يستغيث ، فتقبل الخـــادم فـلا ترى أحـدا ويستخزى الشيخ ·

ولكن هــذه « سبسيل » قـد أقبلت تعلن الى الأستاذ باسمها وباسم رفاقها دهشهم مما سمعوا ، فيؤكد الأستاذ أنه لم يكن مازحا ولاعابثا ، ويعلن اليها أنه مستقيل ، فتلح عليه في أن يسترد استقالته فيــأبى • ويكون بينهما حوار نفهم منه أنه يحب الفتاة ويود أن يجد لحبه صـدى في نفسها ، وهو يتلمس هذا الصدى فلا يجده ، فهو يضطرب بين اللـين والشدة حتى اذا استيأس ترك الفتاة تنصرف • ولايكاد يخلو الى نفسه حتى يعود اليه الفتى فيلومه لوما عنيفا لأنه يحب هذه الفتاة وقد تركها تنصرف وقد كان يستطيع أن يعلن اليها حبه ، فينــكر هذا الحب ، ثم يعترف به ، ثم يعتذر عن أحجامه بأنه متقدم السن وقد ظهرت عليه آفات الكبر • ولكن الفتى يقنعه بأنه ما زال محتفظا بقوته قادراً على أن يستمتع بالحياة ، والفتاة عائدة بعد حين لأنها نسيت حقيبتها ، وهي انما نسيتها لأنها تحب الشيخ ، فاذا عادت فيعلن اليها حبه ، وليكن بها رفيقا ولها ملاطفا وفي حديثه اليها لبقا • وقدعادت الفتاة تلتمس حقيبتها ، فيدعوها الى البقاء حينا • وماهي الا أن يتخذ طريقه الى الحب فيعلنه الى الفتــاة ، فتدهش ويطلب اليها الزواج فتضطرب ثم تتردد ، ويكاد يستيئس منها ، فيعلن اليها هذا اليأس وأنه سيقتل نفسه ، فتشفق وتلين وتضــعف ، فيــدنو منهــا يريد أن يقبلهــا فتأبى وتفـزع وتتراجـع • فاذا رأى الفتى هذا قام مقامه في هذه المداعبة والملاينة فظفر من الفتاة باللثمة التي يرجوها ، واذا الفتاة مستأنسة مطمئنة قد جلست الى جانب الشــيخ وأسندت رأسها الى كتفه وهي تتنسم تلك الزهرة التي كانت جافة فعادت نضرة •

* * *

فاذا كان الفصل الرابع فقد مضت أيام على هذا ، وتم الاتفــاق بين الشيخ والفتاة على أن تكون له زوجا وعلى أن تقيم عنده أياما ، ثم يسافران الى حيث يقيم وصيها فيكون الزواج ، وسيسافران اليوم مع الظهر • ونحن نرى الشيخ قويا وسيما حسن الزى مطمئنا الى الحياة مبتسما لها يمشي في غرفته مشية المطمئن الراضي • ولكن العميد قد اقبل يعلن اليــه أن الناس يتحدثون بمقام الفتاة عنده وينكرون ذلك ، وقد كتبت فيه صحف

السوء واتهمت كلية الآداب كلها بالعبث والمجون ، وذلـــك شر يرغب الناس عن الكلية وأساتذتها ، وقد أصبحت الكلية حديث الناس وشك فيها الجمهور حتى ان امرأته قد أعلنت اليه أنها لن تدعه يذهب وحده الى الكلية . ولكن الشيخ لايحفل بكلام العميد ولا بكتابة الصحف ولابسخط الجمهور ، فهو سعيد ، وهو يريد أن يتخذ الفتاة له زوجا ، وهو سيبرح هذه المدينة وجامعتها وجمهورها .

فاذا انصرف العميد وأقبلت الخادم رأيناها ليست أقل من العميدسخطا على الأستاذ . وكيف لاتسخط وهو شيخ يريد أن يقترن من فتاة ، وهو يحتجز الفتاة عنده وليست زوجا ولا خطيبه ، والناس يتحدثون . أليست بائعة الفاكهة قد تحدثت اليها فى ذلك ساخرة ساخطة ! ! . ولكن الشيخ لايحفل بها ولا ببائعة الفاكهة .

وانظر الى الفتى قد أقبل ، ويسأله الشيخ فيم جاء فيأخـــذ الفتى فى لومه : أليس يحب هذه الفتاة ؟ أليست هذه الفتاة تحبه ؟ فما باله لايظفر منها بما يطمع فيه المحبون ؟ وما باله يدعها تقضى الليل وحيدة فى غرفتها وهو فى غرفته مسهد يضنيه الحب وتعذبه الشهوة ! . والفتى يغـــريه والشيخ يدافعه . ولكن انظر اليه كيف أثر فيه الاغراء ، فملكت الشهوة عليه أمره ودنا من غرفة الفتاة تدفعه اليها الرغبة ، وكاد يدخل لولابقية من شرف ووفاء ردته عن ذلك ، فينهر الفتى ويكبح شهوته ويؤثر انتظار الزواج .

وهذه الفتاة قد أقبلت فيلقاها باسماً ، وترد تحيته فى دعة واطمئنان وتعرض عليه أن يكون الزواج فى هذه المدينة ، وأن يكون الفتى الصربى من شهود هذا الزواج . ثم تأخذ فى الثناء على الصربى وذكـــر بلائه فى الحرب ، فيحس أن فى نفسها من هـذا الفتى شيئا ، وقد خرج الأستاذ لبعض شأنه على أن يعود بعد حين .

وأقبل الفتى ألصربى يريد أن يرد الى الأستاذ كتابه وماله لأنه مسافر ، ولايكاد يتحدث الى الفتاة حتى تفهم أنه لا يسافر زهدا فى العلم ولا عجزا عن الاقامة ، وانما يسافر يأسا وقنوطا ، فهو يحب الفتاة ولكنه لم يعلن اليها حبه ، وقد مضى الوقت وجاء هذا الاعلان متأخرا والفتاة تدافعه وتعتذر عن نفسها بضعف الشيخ ويأسه ، وانها لاتعرف الحب ولم تحسه ، وقد أخذت نفسها بأن تعيش مع هذا الرجل كما تعيش الممرضة مع المريض . ويهم الفتى أن ينصرف ، فتمسكه ، ويمضيان فى الحوار ، حتى اذا استيقن أن لم يكن بينها وبين الشيخ اثم التمس الحب عندها فوجده فى قلبها تستحيى له الفتاة وتتراجع .

وهذا الأستاذ قد عاد فيرد الفتى اليه كتابه وماله ، ثم يعلن اليه فى لين لايخلو من القسوة أنه لايستطيع أن يتزوج من هذه الفتاة . وقد تركتهما الفتاة ، فيكون بينهما حوار عنيف فيه غيرة وحقد ، فيه غيرة الشباب الطامع فى الحياة يريد أن يستقبلها فى أمل ولذة . وفيه غيرة الشيخ اليائس يريد أن يظفر من الحياة بنصيب . وقد اتفقا على أن يحكما الفتاة نفسها ، فتدعى ويرد عليها الشيخ حريتها ويسألها أن تختار بينهما . فتسأله : والى أى حال تصير وحدك ؟ ... ويفهم الشيخ . فانظر اليه يائسا قد صعقه اليأس وانصرف عنه المحبان .

وانظر الى الفتى قد ظهر يزجره وينهره ، وهو الآن لم يأت ناصحا ولا رفيقا ، وانما جاء ثائرا محنقا يريد أن ينتقم لشبابه المضيع . وقد تغير المسرح بعض الشىء ، وأخذنا نسمع ونرى ضجيج الرقص وحركته وأصحاب اللهو يسرفون فى لهوهم ، والمومسات يتهالكن على الناس فتنة واغراء ، والفتى يدفع الشيخ الى هذا اللهو ، والمومسات يدعونه اليهن وقد كاد الشيخ يقبل لولا بقية من شرف وكرامة فهو يأبى ويتراجع . والفتى يدفعه منتهرا زاجرا منذرا معلنا اليه أنه قد افسد عليه شبابه فليفسدن عليه شيخوخته ! . ولكن الشيخ يأبى . وانظر اليه قد اعتصم آخر الأمر بكتب بقيت له ، فهو يلتمس عند العلم العزاء بعد أن يئس من الحب . وكذلك فعل شابا . ولكن الفتى ينازعه ويكون بينهما جهاد يصرع له

الشيخ . وتسمع الخادم فتسرع الى سيدها فاذا هو طريح ، فاذا أقبلت اليه لتسعفه نهض متثاقلا وأمرها أن تلتمس الطبيب فتخرج ويعمد الشـــيخ الى مسدسه فيخرجه وهو يعتصم بالمسدس حينا وبالكتاب حينا آخر . ولكن الفتى قد أقبل مرة أخرى ، وظهرت الحـانة والرقص والفتى يدعو الشيخ اليهما فيأبى ، ويطلق مسدسه على الفتى فلا يصيب منه شـيئا . وانظر الى الفتى فهو الذى يتناول المسدس وهو الذى يطلقه على الشيخ . وانظر الى هـذا الشباب المضيع وقد انتقم لنفسه من هذا الشـيخ فهـو يسقط صريعا .



استزد
من
البهجة
والمتعة
لك ولأسرتك
السينما
لم تعد ترهق ميزانيتك
تخفيض ٪
نطـلب ...
كوبونات الجمهورية للسينما
بدارى سينما راديو وسينما قصر النيل
حفلة الساعة ٣ يوميا
الكوبونات تنشر بجرائد الجمهورية والبروجريه والبورص والاجيبشيان جازيت ومجلتى التحرير والرسالة الجديدة

انتوانيت سابرييه

قصة تمثيلية : للكاتب الفرنسي

رومان كولوس



مثلت هذه القصة لأول مرة في أكتوبر سنة سنة ١٩٠٣ ، وما يزال الممثلون يلعبونها الى الآن . وأكبر الظن أنهم سيلعبونها زمنا طويلا أيضا. ذلك لأنها من القصص التي تعجب جمهور النظارة وتأخذ عليهم قلوبهم وألبابهم ، وتثير في نفوسهم من العواطف ما يدفعهم الى تشجيع الممثلين على الاحتفاظ بها واعادة لعبها من حين الى حين .

والحق أنك لا تكاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تلاحظ أمرين مختلفين ، ولكنهما خليقان بالاعجاب ، كفيلان بأن يطول بقاؤها في ملاعب التمثيل . أحدهما أن الكاتب قد راعى حين وضعها ، لا أقول أصول الفن ، وانما أقول أصول المنطق ونظام التفكير الانساني مراعاة دقيقة جدا . فأنت تتنقل بين مناظرها وفصولها ، كما تتنقل بين قضايا القياس المنطقي المتقن . قد وضع كل شيء فيها موضعه لا يستطيع أن يتجاوزه ولا ينبغي له أن يتقدم أو يتأخر . وأنت لا تفرغ من قراءة منظر حتى تتوقع المنظر الذي يليه ، وما تزال كذلك طوال الفصل الأول وطوال الفصل الثاني ، حتى اذا كدت تفرغ منه فجأتك المصادفة التي لم تكن تنتظر والتي لم تكن منها بد لتنشأ المشكلة التي تدور حولها القصة . فاذا كانت هذه المصادفة فقد نشأت هذه المشكلة وتعقدت وانتهت الى أقصى ما كان يمكن أن تنتهي اليه من العنف والشدة . ولكننا نعود في الوقت نفسه الى هدوء المنطق ، وتتصل الحوادث أمامنا مطردة مستقيمة يتبع بعضها بعضا وينتج بعضها من بعض حتى تنتهي الى نتيجتها الطبيعية المعقولة ، وهي نتيجة محزنة ، يألم لها الجمهور ، ويعجب بها ، ويحرص على أن تتكرر أمامه في الملاعب .

هذا أحد الأمرين . الأمر الثاني أن القصة كلها صراع عنيف بين طائفة من العواطف والواجبات قد ألفها أوساط الناس واطمأنوا اليها وتعودوا أن يقبلوها كما هي لا يضعونها موضع المناقشة ولا الجدال . فمما يعجبهم أن يظهر الكاتب هذه العواطف والواجبات وقد اصطدمت وتناقضت ووقف

بعضها من بعض موقف الحرب والخصومة القوية . فنحن نرى فى القصة صراعا بين الحب والصداقة ، وبين الحب والواجب ، وبين الصداقة والواجب ، وبين الحب المشروع والحب الذى لا يبرأ من الاثم والخيانة ، وبين الوفاء الزوجى وهذا الحب الآثيم ، ثم بين الشرف والمنقصة ، ثم بين الشرف والحب والحياة . وكل هذه العواطف والواجبات قد مثلها الكاتب تمثيلا قويا صادقا ، وتخير لها أشخاصا يتقمصونها تقمصا ، ان راقك هذا التعبير . ونحن نلذ أن نرى هؤلاء الأشخاص يختصمون ويجاهد بعضهم بعضا ، ويجاهد كل واحد منهما نفسه . ونحن نقف أمام النتيجة الأخيرة لهذا كله موقف المطمئن المستسلم الذى يقول مع الشاعر العربى القديم : « لا بد مما ليس منه بد » والذى يستطيع فى الوقت نفسه أن يمضى الى ما وراء القصة ويعرف ما يتم بين هؤلاء الأشخاص من توادع وتراض يقومان على الحزن والاستسلام لهذه القوانين الصارمة التى تدمر حياة الانسان .

فاذا أضفت الى هاتين الخصلتين خصلة ثالثة هى الاتقان الفنى من الناحية الكتابية الصرفة وحسن تخير الألفاظ والمهارة فى تدبير الحوار ، استطعت أن تتبين السر فى أن هذه القصة لم تتجاوز شبابها بعد وان كانت قد نيفت على العشرين .

ولنبدأ فى تحليلها كما تعودنا البدء فى تحليل هذه القصص بعرض أشخاصها عليك فى ايجاز لأنهم كثيرون .

أول هؤلاء الأشخاص وأحقهم بالعناية هى بطلة القصة التى سميت باسمها وهى « أنتوانيت سابربيه » . تعرفها ولما نقرأ من القصة أسطرا ، ونعرف فى الوقت نفسه أنها امرأة قوية الشخصية لأنها بثت الحسد من حولها ، وأطلقت ألسنة النساء بالقول المختلف فى سيرتها وحظها ووفائها وما يتصل بذلك . وهى فى حقيقة الأمر امرأة قوية الشخصية ، عظيمة الحظ من الارادة ، قادرة كل القدرة على أن تضبط نفسها وتسير سيرة تلائم الواجب والخلق ومكانتها الاجتماعية الرفيعة وان لم تلائم مثلها الأعلى

فى الحياة وحاجتها الى ما يطلب النساء من اللذة ونعيم العيش . هى متوسطة السن ليست شابة ولكنها محتفظة بجمال الشباب وروعته وقوته أيضا . خفيفة الروح ، جذابة ، راجحة الحلم ، يظهر عليها الهدوء والرزانة والرضا ، ولكن قلبها جذوة من النار مضطرمة أشد الاضطرام وقلما يحس ذلك أحد غيرها . وهى كما قدمنا مالكة لهذا القلب ، قادرة على تصريفه كما تحب وحيث تحب الا أن يعرض لها شخص آخر أشد منها قوة وأبعد منها أثرا .

تزوجت من رجل يشبهها من بعض الوجوه ويخالفها من بعضها الآخر ، وهو « جرمان سابربيه » قوى الارادة مثلها ، متقد القلب مثلها ، ضابط لنفسه مثلها أيضا ، ولكنه قد عرف طريقه فمضى فيها اندفاعا ، وأذعن له الفوز فى كل ما حاول من الأمر . كان ضئيلا فقيرا يعمل فى سوق الأوراق المالية ، فماهى الا أن اندفع فى هذا الطريق حتى أصبح من كبار الماليين فى أقل من عشرة أعوام . وهو اليوم زعيم من زعماء المصارف وملك من ملوك البورصة ، يتقرب اليه الناس ويتهالكون عليه ويحسدونه ويتربصون به المكروه . وهو مطمئن الى حظه ، واثق بالمستقبل ، لا يشفق ولا يخاف ، ولا يتردد ولا يحسب اذا أراد أن يقدم على شىء . وهو يحب امرأته حبا قويا حادا ولكنه غريب ، فهو لا يظهر لامرأته هذا الحب على النحو المألوف ، وانما هو مقتنع بأنه يرضى امرأته وعواطفها وميولها اذا أغناها وضمن لها حياة مترفة خلابة تبعث الحسد وغبطة النساء . وهو يخيل اليه أنه مصيب من حب امرأته ما أراد ، لايسأل نفسه أراضية هى أم ساخطة اقانعة أم محرومة ؟

وبين هذين الزوجين شخص ثالث هو « دوراى » متقدم فى السن بعض التقدم ، قوى الارادة جدا ، قادر على ضبط نفسه ، فى قلبه جذوة تضطرم من الحب ، ولكنه قد سيطر عليها واستطاع أن يلطفها حتى يجعلها جذوة وفاء ومودة بريئة طاهرة . أحب « انتوانيت » وحاول أن يظفر بحبها فلم يوفق . ولكنه ظفر منها بالمودة فقنع ، ورضى من حياته بساعات ينفقها من كل يوم مع هذه المرأة فى حديث برىء ونصح ومودة راضية ،

يجدان فى هذا كله لذة لا تشـبهها لذة • وانطلقت ألسنة الناس فيهما بألوان القول ، ولكنهما لا يحفلان بذلك ، ولا يحفل بذلك الزوج نفسـه لأنه شديد الثقة بامرأته ، شديد الثقة بصديقه •

ولهذا الصديق أخت شابة هى « ايلين » رائعة الجمال ، خلابة المنظر ، شديدة التسلط ، قوية الارادة ، مضطرمة المزاج ، قد بلغت العشرين من عمرها ، وليس لها الا أخوها هذا ، فهو يقوم منها مقام الأب والأم والمربية • حتى تظفر بما يليق بهـا فى الزواج • وهى تحـب رجلا ليس أقل من الذين تقدموه قوة ارادة ولا حدة عاطفة ولا اضطرام قلب ، هـو « رينه دانجين » ، غنى ، ضخم الثروة ، وسيم الطلعة ، محبب الى النسـاء بعيد الأثر فى نفوسهن ، مفتون بالأدب والفن والقراءة ، منصرف عن حياة أبيه الصناعية المالية ، قد أغضب أباه اغضابا شديدا وانقطع عما يتردد عليه أمثاله من الاندية ومجالس اللهو والعمل • تحب الفتاة هذا الرجل ، وهو يظهر لها ميلا شديدا تحسبه الحب وليس هو من الحـب فى شيء ، انما هو من العطف والمودة والانس اليها •

هؤلاء هم أشخاص القصة أو قل أبطالها كما تعود نقـاد التمثيل إن يقولوا • ومن حولهم أشخاص كثيرون قد اختطفهـم الكاتب اختطافا ، ولمح لك بصورهم النفسية تلميحا ، فبلـغ فى ذلك ما شاء من الاجادة والاتقان : منهم هـذه المرأة الباريسية التى نجدها فى أول القصـة تتحدث الى زوجها ورجل آخر فى دعابة ودل باريسيين ، وهى تطلـق لسانها فى « أنتوانيت » وزوجها وصديقها ، وهى تظهر غيرة على الفضيلة والشرف والعفة والوفاء ، ولكنها لا تكاد تلمح الرجل الذى يعجبها حتى تبتذل هذا كله ابتذالا وتنزل عنه فى ابتسـامة أقل ما توصـف به أنهـا تحمل على الابتسام •

ومنهم هذا الصحفى الذى حملته صناعته على أن يتتبع مثالب النـاس ويلم بدخائلهم حتى أصبح صاحب الفتوى من هـذا النوع من الغيبـة ، يلجأ اليه المغتابون ليجدوا عنده ما يحتـاجون اليه من الوان الطعـن

والتشنيع . وهو على هذا كله يحاول أن يكون رجل جد وصدق ووفاء بالمودة . فاذا سئل عن مثالب « انتوانيت » أعلن فى حزم أنه لا يعرف عنها الا خيرا . ولكنه لا يكاد يتبين الاغراء فى عين محدثه حتى ينسى الجد والصدق والوفاء ويقع فى « أنتوانيت » بما تشاء صاحبته من الطعن والثلب .

ومنهم هذه الصديقة الوفية التى تخلص لصديقتها الحب والمودة وتنصح لها جادة رفيقة ، ولكنها أضعف من أن تنصر الواجب وتمضى فى نصره الى النهاية ، فهى لا تكاد ترى صديقتها مبتهجة سعيدة بهذا الحب الآثم حتى تدعها وما تريد طالبة اليها ألا يصرفها الحب عن مودتها .

ومنهم هذا الشخص الأخير الذى نلم به المامة قصيرة لأنه شائع بين الناس فى جميع أطوارهم وبيئاتهم ، هذا الذى يحبك ويقدم اليك ما تحتاج اليهمن معونة وتاييد لأن له عندك حاجة ، فاذا لم يظفر منك بما يريد تخلى عنك فى سهولة وقسوة لا يحفل من أمرك بشىء ، وربما استحال عدوا لك لا يرضيه الا أن تنزل بك النازلة ، لا يتأثر فى شىء من ذلك بخلق ولا واجب ولا رحمة ولا شىء من هذه العواطف التى يتأثر بها أخيار الناس .

هؤلاء هم أشخاص القصة أو هم كثرة هؤلاء الأشخاص ، وأحسبنى أستطيع بعد ذلك أن الخص لك . واحسبك تستطيع أن تفهم هذا التلخيص الموجز فى غير مشقة .

* * *

نحن فى ضاحية من ضواحي باريس ، فى قصر فخم ، قد استأجره الزوجان ليقضيا فيه الصيف . وهما يحتفلان هذا اليوم بعض الاحتفالات التى يقيمها الأغنياء ، وقد دعى الى هذا الاحتفال سراة باريس واصحاب المكانة فيها ومعهم النساء الحسان يفتن الناس بجمالهن ودعابتهن وتنطلق السنتهن بما فيه لذة وسحر .

ولا يكاد يرفع الستار عن هذا الفصل حتى نرى هذه المرأة الباريسية بين زوجها وصديقه ، تتحدث اليهما فى أمر الزوجين ، فتقع فى الرجـل بأنه موفق فى حياته الماليـــة وانها تكره الموفقين وتشبههم باللصوص ، وتقع فى المرأة بانها آثمة تعين زوجها بالاثم على مايسعى اليه من ثروة • فينكر عليها الرجلان هذا • ويأتى الصـحفى فيستفتونه جميعا فى أمر « انتوانيت » فيجيبهم بالخير ، ولكنه لا يكاد ينظر فى عين صاحبته حتى يرى الاغراء والاطماع ، فيتحول عن الوفاء ويقع فى « انتوانيت » ، وبعد أن كان يريد أن ينصرف الى صحيفته لأداء عمله نراه يؤثر البقاء ويكتفى بالتليفون •

ونحن نرى المدعوين يترددون فى القصر وحديقته يقف كل فـــريق منهم وقفته على المسرح ، يتحدثون أمام النظارة وقتا قصيرا ليبينوا فيـه بعض ما قدمت لك من نفسية هؤلاء الأشخاص جميعا •

فلنمر بهذا الفصل لا نقف منه الا عنـد منـظرين أو ثلاثة لا بد من الوقوف عندها حينا • نقف عند هذا المنظـــر الذى يمثل لنا « أنتوانيت » قد أقبلت على صديقها « دوراى » مضطربة كأنها تلتمسه لتشكو اليــه بعض الأمر ، فيسألها فتتردد ، ثم تخبره فى استحياء بأن « جاملانى » هذا المالى العظيم الـذى لابد لزوجها من معونته قد أرادهـا على السـوء فامتنعت عليه فى رفق ، فانصرف مغيظا محنقـــا • ونقف عند هـذا المنظر الذى يمثل لنا « دوراى » وهو يقدم صديقه « رينه دانجـين » الى صاحب القصر ، ويمثل لنا صاحب القصر وهـو يعرض على هذا الرجـل الاشتراك معه فى بعض الأعمال المالية فيعتذر اليه • ثم نمر مسرعـين بهـــذا المنظر الذى يمثل لنا « أنتوانيت » وقد لقيت هذه المـرأة الباريسية التى رأيناها فى أول القصة ومعها صاحبها الصحفى قد استسلم لهـــا استسلاما ، فيقع بين المرأتين حوار فيه الحسد والتعريض المر ، وفيـــه من ناحية « أنتوانيت » الدفاع عـــن النفس فى رشـــاقة وترفع • ثم تخلو « أنتوانيت » الى صديقتها فتتحدثان ، فنفهم من هذا الحديث أنها لا تحـب زوجها ولا تظفر عنده بما تريد ، ولكنها مع ذلك حريصة على الوفاء له ،

لم تخنه ولن تستطيع أن تخونه ، وهى تعـاشره وتشاطره الحياة ، واذا قدر لها أن تظفـر بالحب فلن تذوق لذته حتى تقطع الصلة بينها وبين زوجهـا • ثم نقف آخر الأمر عند هذا المنظر الذى يمثل لنـا « أنتوانيت » وقد لقيت « رينه دانجين » فلم يكادا يتحدثان حتى وقـع من نفسهـا ووقعت من نفسه ، وكان بينهما هـــذا الحب الفجائى الـــذى يسميه الفرنسيون « وقع الصاعقة » واذا هما مضطربان أشد الاضطراب ، يقع بينهما حوار قصير يريدان أن يتناولا به كل شيء فلا يتناولان فيه الا أنفسهما وسوء حظهما فيمامضى من حياتهما ، وينتهيان وقد تواعدا على المـودة •

* * *

وتمضى ثلاثة أشهر ، ويرفع الستار عن الفصل الثانى • فاذا نحن فى القصر نفسه آخـــر النهار ، وقد جلســـت « أنتوانيت » الى منضـــدة ترتب طائفة من الأوراق ، ودخلـت عليهـا صديقتها التى رأيناهـــا فى الفصل الأول ، فتسأل « أنتوانيت » فيم كتبت اليها تدعوهـــا لزيارتها • وتجيبها « أنتوانيت » بما كنا نتوقعه فى آخـــر الفصل الأول من أنهـا قد أحبت صاحبها حبا لا تجـــد الى مقاومته سبيلا ، وأحبهـا هـو كذلك ، وانتهى هذا الحب الى نتيجته الطبيعية ، وهى أنهما قد اعتزما السـفر من فرنسا الى حيث يجدان الحـرية • وهى لم تخـن زوجهـــا بعـد ، وما ينبغى لها ان تخونه ، وهى تعاشره وتعيش فى بيته • فاذا ذكـرت لها صديقتها أن هذا لا يعفيها من الاثم • فهى مدينة لزوجهـــا بالوفاء حتى يطلقها ، وزوجها يحبـــها وهو لم يسىء اليها ، وليس من حقها أن تؤذيه أو تسوءه ، أجابت بلسان هـذا الحب القوى الآثم ان زوجهـــا لن يطلقها ان طلبت اليه ذلك ، وانها هى لا تحبه ، وهى تحب هـــذا الرجل ، ولها حقها فى الحياة ولذاتها ، فما ينبغى لها أن تضحى بنفسها وصاحبها فى سبيل هذا الزوج الذى لا تحبه • وفى الحق أن الحـــب قد فتن هذه المرأة ، وانتهى بها الى هذه الأثرة التى ينتهى اليها العشـاق عادة ، فهى تضحى بزوجها وصديقها « دوراى » وأخته « أيلـين » التى

تحب هذا الرجل · ولا عذر لها فى ذلك الا أنها تحب ، وأن صاحبها يحبها ، وأنها كانت تنتظر هذا الحب ، فما ينبغى أن تمتنع عليه وقد أتيح لها · وصديقتها تسمع هذا فلا تقتنع به ، ولكنها مترددة بين الدفاع عن الواجب والاحتفاظ بمودة صديقتها ، فتستسلم وتتمنى لصديقتها التوفيق · ولئن ضعفت هذه الصديقة عن أن تقف فى وجه الحب الآثم وتحتمل ثقل الدفاع عن الواجب ، فلن يضعف عن هذا صديقها « دوراى » ، فقد أقبل ومعه أخته · فماهى الا أن يخلو الى صاحبته ويتبين ما عزمت عليه حتى ينفجر انفجارا : يلوم صاحبته لوما عنيفا ، لأنها تضحى بزوجها ، ولأنها تضحى به هو ، ولأنها تندفع مع الأثرة الى غير حد ، وهو يرعد حينا ويستعطف حينا آخر ، ويستسلم مرة أخرى الى البكاء · ولكن الانتصار على هذا الرجل يسير ، فهو متهم فى غضبه للواجب ودفاعه عنه ، هو لا يدافع عن الزوج ولا عن الزواج ، وانما يدافع عن نفسه لأن صاحبته انصرفت عنه ، وستدعه وتنصرف الى حيث تستثمر الحب فى دعة وأمن ، فى حين يشقى هو بالوحدة والأسى والحرمان · هو يدافع عن نفسه ، واذا هو أثر ، واذا فليس هو بالصديق حقا · ولو كان صديقا حقا لقبل التضحية فى ألم طبعا ولكن فى رضا وآذعان وما أسرع ما تنتصر عليه وتلزمه الحجة ، وقد تقدم اليها وانصرف الزائرون ، وأقبل حبيبها فاتفقا على أن يفرا بعد حين قصير ، ينتهزان غيبة زوجها فى لندرة ويمضى بهما الأتومبيل الى حيث يركبان السفينة الى أمريكا · ويدعها صاحبها على أن ينتظرها أمام القصر ، وهى تدعو خادمتها فتصدر اليها أوامر قصيرة تتصل بهذا السفر وتصرفها · وانظر اليها قد نهضت وتهيأت للخروج الى حيث ينتظرها صاحبها وهى تلقى بنظرة وداع على الحجرة وما فيها · واذا فسيظل الواجب مهيضا وسينتصر عليه الحب الآثم ! وستمضى هذه المرأة مع رفيقها وسيعود الزوج فيرى نفسه فى هذا القصر وبين هذا الترف وحيدا · يتقوض من حوله كل شىء ؟ ·· كلا ! وما الذى يمنع الصداقة أن تدافع عن هذا الواجب ؟ انظر الى صاحبتنا تخطو لتخرج من الحجرة ، ولكنها

تصيح وتتراجع مذعورة ، لأنها رأت رجلا وهذا الرجل هو زوجهـا وقد أقبل من لندرة قبل ميعاد العودة . ولـــكن انظر اليه أنه مضطـــرب قد انهدت قواه وفقد ما كان يمتاز به من شدة وصلابة وثقة بنفسه وبالدهر. وامرأته تسأله : فيم عجل هذه العـــودة ؟ وهو يتردد في اجابتها ، حتى اذا وجد القوة على الكلام أخبر امرأته بأنه فى ضيق مالى منكر ، لآن شركاءه قد أسلموه واجمعوا على خيانته . وكان زعيم هذه الخيـــانة « جامانى » الذى رأيناه فى الفصل الأول يريد أنتوانيت على الســـوء وينصرف محنقا لأنها امتنعت عليه . والرجل لا يتبين سبب هـــذه الخيانة ، أما نحن فنعرفه حق المعرفة . ومهما يكـــن من شيء فان صاحبنا مضطر الى نصف مليون من الفرنكات يجب أن يؤديه بعد ثمانية أيام ، وقد سلك الى هذا المقدار كل سبيل فلم يظفـــر به . وهو ان لم يؤده مفلس ثم مقبوض عليه ثم ملقى فى غيابات السجن .

يقص هذا كله على أمرأته وهى تسمعه فى شيء يشبه الهدوء ، ولكنه يدل على ثورة عنيفة داخلية . وانظر اليها وقد تغيرت تغيرا تاما ، فهى تشجع زوجها وتنصح له بالجلد والمضى فى الجهاد ، وتعلن اليه أن ثمانية أيام ليســـت بالشيء القليل . وأنه واجد فيها مخرجـــا من هذا الضيق ، ويقع هذا الكلام من قلب الرجل موقعا حسنا ، ويمنحه قوة وجلدا فيعد باستئناف الجهاد . وانظر اليه وقد نهض قـــويا مستعدا للحـــرب ، وانصرف الى باريس وترك زوجه فى شيء يشبه الذهـــول . ينصرف الرجل وتغلق الباب من ورائه ، واذا صديقها قد أقبل يتعجلها ، فتعلن اليه أنها لن تسافر الآن . ويكون بينهـــما حوار عنيف ، نفهم منه أن هـــذه المرأة كانت تظن أنها ستدع زوجها غنيـــا قويا يستطيع أن يتعزى عن الحب بالثروة والقوة . فأما الآن وقد أعدم وضـــعف فلا تســـتطيع أن تدعه . وهى تحب صاحبها ، ولكنها تطلب الى هذا الحب أن يمهلها حتى يسترد زوجها قوته وثروته . ولكن الحب عجل لا يمهل ، وصاحبها يعلن اليها فى عنف أنه منصرف عنها الى حيـــث لن تراه . وأنهـــا لم تحبـــه كما يحبها . وانظر اليه وقد ولى منصرفا . واســـتولى الجزع على هـــذه المرأة ، فهى لعبة بين الحب وشهوته ، وبين الواجب وامره الذى لا يرد .

انهــا تدعو صاحبها ملحة عليه ، فاذا أقبـــل عليها تضرعت اليه فى أن يبقى فيأبى ، واذا هى قد غيرت من خطتها فجأة وضـــحت بالأمانة الزوجية فى سبيل الحب من ناحية وفى سبيل الوفاء لزوجها والاشفاق عليه من ناحية أخرى ، واذا هى تلقى بنفسهـــا بين ذراعى صاحبها وقد استسلمت للاثم ٠

* * *

وتمضى من الأيام الثمانية سبعة ولم يجد الرجل لنفسه مخرجا من ضيقه ٠ ونحن الآن فى مصرفه وقد أقبـل يائســـا مستسلما مستعدا للافلاس والمحاكمة والسجن ٠ وأقبل عليه صديقه « دورآى » ينبئه بأنه قد سعى عند كثير من الماليين فلم يوفق لشىء ، ولكنه وفق أخيرا لرجل لا يعمل فى المال ولا فى البورصة ، ولكنه مستعد لتقديم هذا المقدار ، وسيأتى بعد حين ليعرض المال على صديقه٠ وهذا الرجل هو «رينيه دانجين» فاذا سمع صاحبنا اســم هذا الرجل أخذه غضب شديد واعلن أنه لن يقبل منه هذه المعونة ٠ فاذا دهش صـــديقه لذلك أعلن اليه بعد تردد أن هذا الرجل قد أكثر التردد على قصره والتقـــرب من زوجه وقد عرف الناس ذلك وتحـــدثوا به ، فاذا عرف الناس أنه قد أعانه فسيتحدثون أنه قبل هذه المعونة ثمنا لما بين الحبيبين من صلة ٠ وهنا يغضب « دوراى » ويقف موقفا بديعا فى الدفاع عن « انتوانيت » فهو مؤمن بطهـــارتها ، مؤمن بأنها لم تخن زوجها وما كانت لتخونه حتى تفارقه ٠ وهو يمضى فى هذا الدفاع الى أبعد حد ممكن ، فيعلن الى صديقه أنه ان كان قـــد وصل الى هذا الحد من الضيق فذلك لأن امرأته امتنعت على « جامانى » ويعلن الى صديقه أنه هو قد حاول أعواما أن يصل الى « انتوانيت » فلم يظفر منها بشىء ٠ وقد كاد يقنع صديقه ببراءة زوجه وطهارتها ٠ وكاد يقنعه بأنه يستطع أن يقبل هذه المعونة ، وقد دعا الخـــادم وأمره أن يتحدث الى زوجه فى التليفون يطلب اليها أن تحضر ، وأقبل الرجـــل يعرض معونته ، فاذا خلا الى صاحبنا طلب اليه هذا : اتستطيع أن تقسم لى بشرفك أنى أستطيع أن أقبل هذه المعونة منـــك دون غضاضـــة أو

تعرض للدنية ؟ فيقسم له ويهيىء « الشيك » ويهيىء هو صكا بهذا المقدار ٠

وتقبل « أنتوانيت » ، فينبئها بأنه قد أخفق فى سعيه كله ، ولكن هذاالرجل يعرض عليه ما هو فى حاجة اليه ٠ فتحاول أن تشكر الرجل مضطربة وقد تم كل شىء ، ولم يبق الا أن يمضى صاحبنا الصك ٠ ولكنه يتجه الى امرأته وصاحبه قبل أن يمضى ويسألهما فى قوة والحاح : أيمضى هذا الصك ؟ فأما الرجل فيجيبه : نعم ٠ وأما المرأة فيأخذها الاغماء ٠ وأما صاحبنا فقد فهم كل شىء ٠ وانظر اليه محتقا قد ألقى ما فى يده وأخذ ينتهر الآثمين بشدة وعنف ، وما زال بالرجل حتى أخرجه وهو الآن أمام امرأته وحدها يأمرها أن تنصرف فتستعطف فلا يزيده استعطافها الا سخطا وحنقا ٠ ومع ذلك فالرجل فى محنة منكرة وقد جاهد أسابيع وضعف عن المقاومة ، وهو فى حاجة الى من يؤيده ويشد أزره ويعينه على هذه الأيام المرة التى يستقبلها ٠ فانظر اليه وقد عفا أو كاد يعفو عن امرأته ، ولكنه يريد منها أن تنصرف عن هذا الرجل وتنساه وتبقى له هو وحده ويسألها أتستطيع ذلك ؟ فلا تجد الى جوابه سبيلا ٠ فاذا ألح عليها فى السؤال عرف منها أنها لا تستطيع ٠ ٠ فانظر اليه ضعيفا مستسلما مغضبا مع ذلك شريفا ، يطرد زوجته وهى تأبى عليه ، وتعرض عليه ما تستطيع من أن تعيش معه حليفة معينة ولكن فى غير حب ، لأنها لا تملك هذا الحب ولا تستطيع اخضاعه لارادتها ٠ وهو يأبى عليها ويلح فى طردها ، فتنصرف معلنة اليه أنها ستنتظره فى البيت ، فاذا تركته نهض الى أبواب الغرفة فغلقها ، ثم يعود الى مكتبه ويخرج منه مسدسا ويرتب طائفة من الأوراق وقد طرق الباب فكان جوابه طلقة المسدس الذى تختم بها مثل هذه القصص ٠

كتب للجميع

كوبون

الاسـم

الجهـة

اسم الكتاب

املأ هذا الكوبون وارسله الى دار الجمهورية
للتوزيع بشارع نجيب الريحاني رقم ٥ مرفقا به
طابع بريد من فئة الخمسة قروش . يصلك
اى عدد من الاعداد التى تتضمن الفهرس
خالصا رسم البريد .

كتب للجميع

صدر منها حتى الآن

١ - « آبار فى الصحراء » : مجموعة قصص مصرية للاستاذ محمود كامل المحامى

٢ - « الضاحك الباكى » : احاديث عن الثورة المصرية للاستاذ فكرى اباظة

٣ - « ألف ليلة الجديدة » : اخراج جديد للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

٤ - « نساء من خزف » : مجموعة من القصص المصرية للاستاذ سعد مكاوى

٥ - « صندوق الدنيا » صورة فكهية للمرحوم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

٦ - « فرعون الصغير » : مجموعة من قصص مصرية طلية للاستاذ محمود تيمور

٧ - « الشرق والغرب » مجموعة قصص للدكتور محمد عوض محمد

٨ - « قضايا الحب » : مجموعة من أغرب وامتع القضايا للدكتور فائق الجوهرى

٩ - « جيشنا فى فلسطين » : تسجيل تاريخى لحرب فلسطين للصاغ السيد فرج

١٠ - « ألف ليلة الجديدة » : المجموعة الثانية للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

١١ - « فى المرآة » مختار المزايا فى السياسية الاسبوعية للشيخ عبد العزيز البشرى

١٢ - « غاديات رائحات » : مجموعة قصص مصرية للاستاذ محمود طاهر حقى

١٣ - « صانع الحب » : مجموعة قصص واقعية للاستاذ احسان عبد القدوس

١٤ - « دموع وضحكات » مجموعة قصص واقعية للاستاذ حلمى مراد

١٥ - « عندما تحب المرأة » : مجموعة قصص واقعية للاستاذ عباس حافظ

١٦ - « حاجي بابا الاصفهاني » : عن جيمس موريه للاستاذ مرسي الشافعي

١٧ - « جرائم ومرافعات » : مجموعة من اشهر القضايا للاستاذ يوسف حلمي

١٨ - « الطريق الى السعادة » : عن الفيلسوف الامريكي هنري لنك للصاغ ثروت محمود

١٩ - « موعد مع الجنة » مغامرات الابطال المصريين في حرب فلسطين للاستاذ حلمي سلام

٢٠ « نجيب الريحاني » : دراسه وافيه دقيقة للاستاذ عثمان العنتبلي

٢١ - « صور من الريف » صور صادقة لحياة الريف للاستاذ محمد زكي عبد القادر

٢٢ - « الحب في التاريخ » : أشهر قصص الحب التاريخيه للاستاذ سلامة موسى

٢٣ - « عشرة ايام في السودان » للدكتور محمد حسين هيكل

٢٤ - « من وراء القضبان » للاستاذ احمد حسين المحامي

٢٥ - « وارد من الشرق » : صور من الهند للاستاذ احمد قاسم جودة

٢٦ - « خبايا سياسية » : اسرار السياسة المصرية بقلم المرحوم الدكتور محمود عزمي

٢٧ - « جنة الحيوان » فصول في الادب والحكمة للدكتور طه حسين

٢٨ - « بائع الحب » باقة جديدة من الادب العاطفي للاستاذ احسان عبد القدوس

٢٩ - « حياة ثانية » قصة تصور متع الشباب ومآسيه للدكتور ابراهيم عبده

٣٠ - « ادركني يا دكتور » : صور واقعية لأدق الأسرار في حياة الناس للدكتور ابراهيم ناجي

٣١ - « مشاكل الحب والزواج » : ارشادات قبل الزواج وبعده للدكتور فائق الجوهري

٣٢ - « قصص تمثيلية » فصول في النقد والتحليل من مسرحيات فرنسية للدكتور طه حسين

٣٤ - « الوان من الحب » مجموعة قصص عاطفية تحليلية للاستاذ عباس حافظ

٣٥ - « يوميات مجنون » : مجموعة مختارة من كبار الكتاب للاستاذ عبد الرحمن الخميسي

٣٦ ـ « مهازل الحياة » مجموعة من القصص من مختلف بلاد العالم للأستاذ حبيب جاماتي

٣٨ ـ « فاتنة الشيطان » مجموعة من الصور الواقعية للحياة للدكتور سعيد عبده

٣٩ ـ « شهر في نيويورك » : دراسة ممتعة للحياة في امريكا للاستاذ احمد ابو الفتح

٤٠ ـ « الجاسوسية في مصر » : مجموعة من اسرار وحوادث الحرب الخفية

٤١ ـ « نساء في حياتي » : قصص حياة اثنتي عشرة امراة للأستاذ امين يوسف غراب

٤٢ ـ « فكرى اباظه في الراديو » : نقدات سياسية واجتماعية للاستاذ فكرى اباظه

٤٣ ـ « الشباب والجنس » محاولة علمية لتحطيم الجهل الجنسي للدكتور فائق الجوهرى

٤٤ ـ « القدر » : قصة فولتير ترجمها الدكتور طه حسين

٤٥ ـ « حكايات لمصر » في سبيل الحريه والكرامة والعدالة الاجتماعية للاستاذ احمد ابو الفتح

٤٦ ـ « المكافحون » مجموعتان من سير ابطال الوطنية والفكر للأستاذ عبد الرحمن الحميسى

٤٧ ـ « دنيا المراة » : الدور الخطير الذى تلعبه المراة في حياة الرجل للأستاذ محمود مسعود

٤٨ ـ « العقل والهوى » دراسة نفسية للحب لم يسبق نشرها للأستاذ احمد الصاوى محمد

٤٩ ـ « اسرار النفس » : خلاصة مبسطة لآراء اساطين علم النفس للأستاذ سلامه موسى

٥٠ ـ « طريق الحرية » كتاب الوطنية الصادقة والكفاح في سبيل التحرير والكرامة

٥١ ـ « جواسيس وفدائيون » سجل لما يحدث وراء الستار في الحروب الكبرى .

٥٢ ـ « بسمات ساخرة » صور من حياتنا الواقعية للأستاذ محمود طاهر حقى .

٥٣ ـ « الجريمة والعقاب » بحث من واقع الحياة في الجريمة للأستاذ محمد سعيد خضر

٥٤ ـ « حكايات علمية » عن المصادفات التى كان لها اكبر الأثر في الاكتشافات العلمية

٥٥ ـ « الصوم والنفس » بحث عن الصوم وتاثيره للدكتور امين مصطفى عبد الله

٥٦ ـ « الحـــرب ما رايت » للاستاذ حبيب جاماتي عن اعجب ما شاهده في رحلاته القيمة

٥٧ ـ « اصول الحـــب » للدكتور فائق الجوهري ـ وهو تقديم لكتاب « الالفة والآلاف »

٥٨ ـ « ملك ضد شعب » : صفحات خفية عن حيـــــاة فاروق الطـــامحية . . .

٥٩ ـ « حمار الحـــكيم » : قصة فلسفية ساخرة تتناول المجتمع المصرى بالنقد والتحليل

٦٠ ـ « ارض الاحـــــلام » : ملخص دقيق وتحليل رائع لأربع كتيبات عالميـــة

٦١ ـ « ادب الشعب » عرض جميل اخاذ لأدب الشعب للأستاذ حـــريم الغمراوى

٦٢ ـ « اديب » بحث في الأدب لعميد الأدب العربى الدكتـــور طه حســـــين

٦٣ ـ « في ظلال المشنقة » : مذكرات الاســـــتاذ احمد حسين التى اعترف فيهـــــا

٦٤ ـ « الحشيش ممنوع » : بحث يجمع بين الثقافة والطرافة عن المخـــــدرات وتاثيرها

٦٥ ـ « الجـــاسوسية الحمـــراء » اول كتاب من نوعه يكشف عن الجواسيس الروس

٦٦ ـ « الضاحك الباكى » : طبعة جـــديدة للاســـتاذ فكرى اباظة

٦٧ ـ « ٣٠ علما فى كفاح الجريمة » : اسرار عن الغرب حوادث الجريمة الواقعية فى مصر

٦٨ ـ « ادب الثورة » : عرض لطلائع المفكرين الذين مهدوا لاكبر الثورات فى التاريخ

٦٩ ـ « ثورات التحرير الكبرى » : بحث عن اكبر ثورات التحرير فى العالم الشرقى والغربى ، القديم والحديث ، وعن الافلاك والاجرام السماوية للواء احمد شوقى

٧٠ ـ « اطباء ومرضى » : بحث عن الطب وتاريخه والعـــلاقة بين الطبيب والمريض

٧١ ـ « رحلة الى الســـماء » دراسات قصصية للدكتور ابراهيم مصـــــطفى

٧٢ ـ « نفوس للبيـــع » نقد وتحليل لعميد الأدب العربى الدكتور طه حســـين

٧٣ ـ « طريق الخطـــايا » : مجموعة قصصية واقعية تتسم بالطابع المصرى الاصـــيل

٧٤ ـ « امة تبعث » : للأستاذ احمـــد حسين عن رحلته الى الهند ومشـــاهداته

في الحياة المصــــرية ـ الهـــندية

٧٥ ـ « مع المجرمين » : حوادث رهيبـــة لأقسى عصابات الاجـــرام في ريف مصر

٧٦ ـ « حقائق واحلام » : رحلات مع الزمن وقراءة من الكتب للسيد فتحي رضـــوان

٧٧ ـ « مع الزمـــان » : مجمـــوعة رائعة من قصص ابطـــال التاريخ في الشرق

٧٨ ـ « قضايا جنسية » : مجموعة من القضايا المثيرة التي وقعت بين يدي القضاء المصـــري

٧٩ ـ « مع النـــاس » : مقالات ممتعة في احـــوال النـــــاس وعاداتهم وامزجتهم

٨٠ ـ « اشباح وارواح » : مجموعة قصص واقعية من عالم الروح للأستاذ احمد فهمي ابوالخير

٨١ ـ « مذكرات جحـــا » : مجمـــوعة رائعة من نوادر جحا ودراســـة لحياته

٨٢ ـ « نساء العالم » : طباع النساء في جميع شعوب العالم للاستاذ الرحالة محمد ثابت

٨٣ ـ « جـــرائم جنســـية » مجموعة قضايا واقعية مثيرة نظرها القضاء المصري

في السنوات الأخيرة للدكتور محـــمد فايق الجوهري

٨٤ ـ « صفحات مجهولة » ادق الأسرار عن الثورة المصرية للقائمقام انور الســـادات

٨٥ ـ « ســـاحر النســـاء » مجموعة قصص عاطفية للأستاذ امين يوسف غراب

٨٦ ـ « شيخ المنـــافقين » : نقد وتحليل للاستاذ احمـــد الصاوي محمـــد

٨٧ ـ « ضحكات ابليس » : قصة تصـــور اغراء الشيطان للاســـتاذ صـــلاح ذهني

٨٨ ـ « قصة الأطباق الطائرة » بحث وتحليل للأستاذ عبد القـــادر السماحي

٨٩ ـ « راهبـــة من الزمالك » مجموعة قصص رائعـــة للأستاذ ســـعد مكاوي

٩٠ ـ « قلب غانيـــة » : قصة تصور حياة الغانيات للأستاذ محمود تيمور

٩١ ـ « نســـــاء امام القضـــــاء » للأستاذ انور العمروسى

٩٢ ـ « ســـــميرة هانم » مجموعة قصص مصرية للأستاذ يوسف جوهر •

٩٣ ـ « الجاسوسية والحب » مجموعة من اخطر قصص الجاسوسية للأستاذ اديب اســـكندر

٩٤ ـ « خبـــير بالنســـاء » باقة من روائع القصص العالمى للأستاذ عباس حافظ

٩٥ ـ « عشاق أمام القضاء » للدكتور فائق الجوهرى

٩٦ ـ « لاعبات بالنار » للأستاذ محمود كامل المحـــامى

٩٧ ـ نهــــــاية رجل ـ للاميرالاى محمد عبد الفتاح ابراهيم

موعدنا مع ..

الـكتاب القـادم

عذارى الليل

بقـلم

محمود البدوى

فى أول فبراير


ذوق القارئ وفهمه الجديد
للأدب .. والثقافة .. والفن
تشبعه
الرسالة الجديدة
لأنها تخرج به
من عالم الخيال البعيد الصلة بالواقع
إلى عالم الواقع القريب الصلة من الخيال

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

مدير المجلة : السيد ابراهيم

رئيس التحرير : دكتور فائق الجوهري

طريقة الدفع :

مصر والسودان : نقدا او بموجب الكوبونات او حوالات بريد اوشيكات
سوريا .... بالطائرات ١٢٠ قرشا سوريا
لبنان .... « ١٢٠ قرشا لبنانيا
العراق .... « ١٢٠ فلسا
المملكة الاردنية الهاشمية .... « ١٢٠ فلسا
المملكة العربية السعودية .... « ٢٥ قرشاسعوديا

الاشتراكات :

القطر المصري والسودان عن سنة ، ١٢ عددا ، ١٠٠ قرشا
سوريا ولبنان بالطائرات ١١٠٠ قرش سوري او لبناني
الاردن والعراق بالطائرات .... ١٢٠٠ فلس

ثمن العدد :

مصر والسودان .... ١٠٠ مليما
خارج القطر المصرى : حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة

المكاتبات بعنوان ٥ شارع نجيب الريحانى ت ٧٩٦٤٧

العدد ٩٨	يناير ١٩٥٦

دار الجمهورية للتوزيع

٥ شارع نجيب الريحاني - القاهرة

دار الجمهورية للطباعة